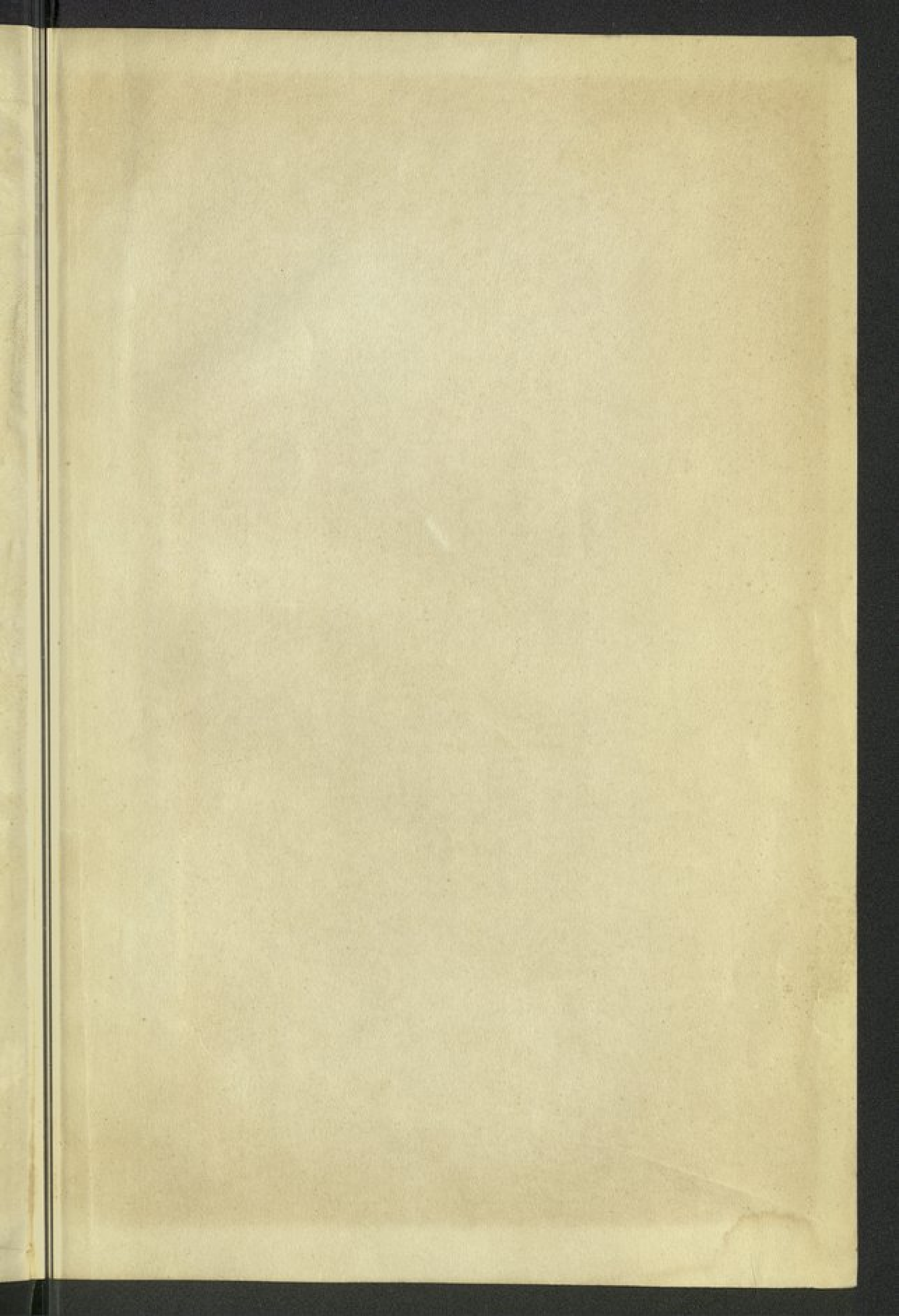
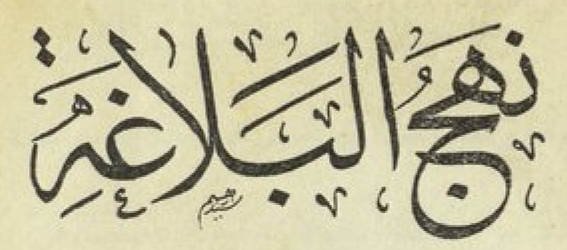
أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام

نهج البلاغة





وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي
ابن الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين
أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام

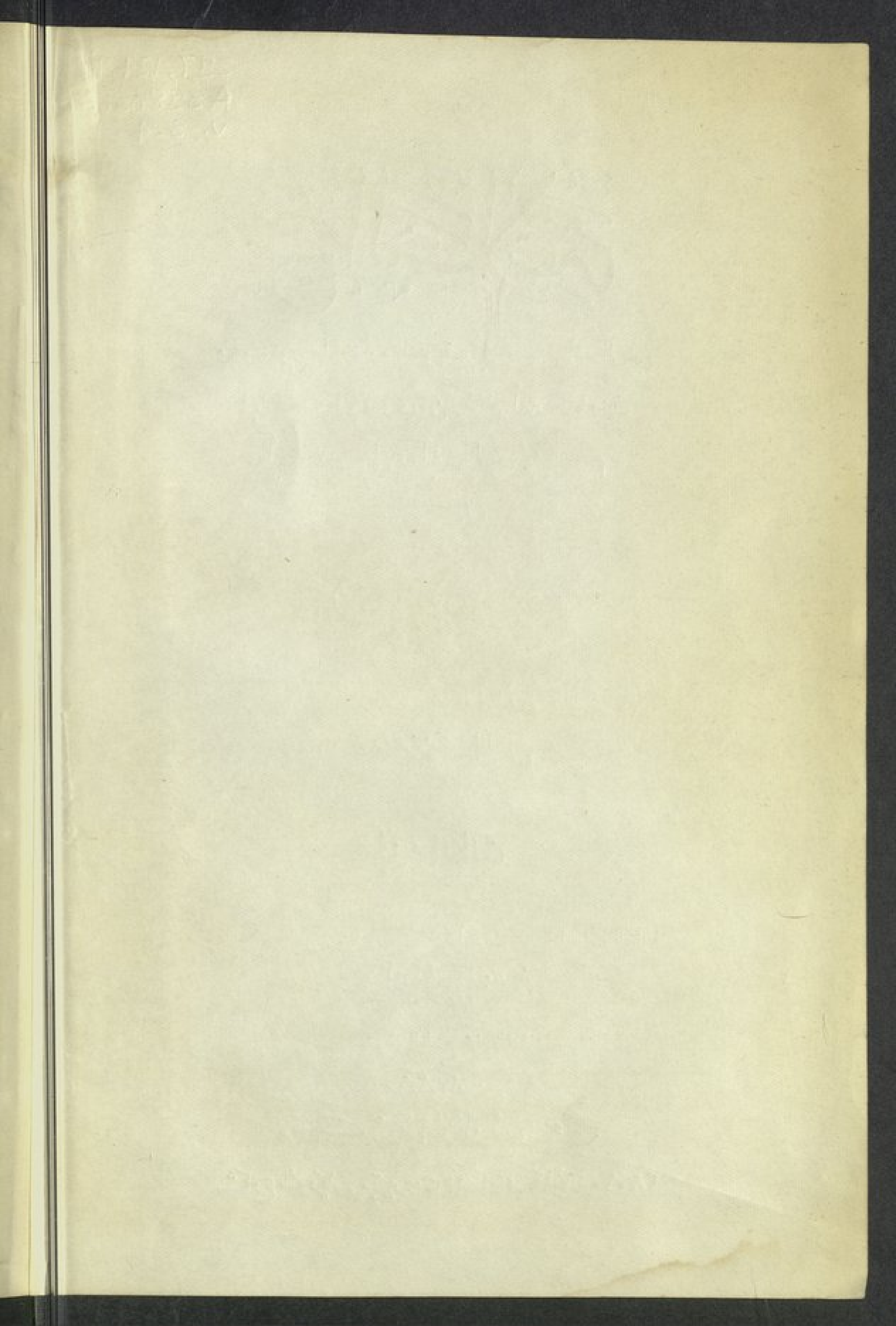
شرح الاستاذ الامام
الشيخ محمّد عبده

أشرف على تحقيقه وطبعه
عبد العزيز سيد الأهل

الجزء الثالث

تمتاز هذه الطبعة بزيادات كثيرة أضيفت على الطبعات السابقة
من شروح ابن أبي الحديد وابن ميثم البحراني

منشورات
مكتبة الاندلس
شارع سوريا - بيروت (لبنان) - هاتف ٢٨٠١٠



وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ . وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ (١) . كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ . فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ (٢) . مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ . غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ . لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ ، وَلَا تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ (٣) سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ . وَالْعَدَمَ وَجُودُهُ . وَالِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ . بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ (٤) . وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ

---

(١) صمده : قصده [وأشار اليه أي جسّمه ، وتوهمه : ظنه بخياله]

(٢) اي كل معروف الذات بالكنه مصنوع لأن معرفة الكنه انما تكون بمعرفة اجزاء الحقيقة فمعروف الكنه مركب، والمركب مفتقر في الوجود لغيره فهو مصنوع [وكل قائم في سواه تكون علته في غيره . وفاعل لا باضطراب آلة أي من غير حركة جسمية أو غيرها] .

(٣) ترفده — كتنصره — أي تعينه .

(٤) المشعر — كمقعد — محل الشعور اي الاحساس، فهو الحاسة . وتشعيرها : اعدادها للانفعال المخصوص الذي يعرض لها من المواد ، وهو ما يسمى بالاحساس، فالمشعر، من حيث هو مشعر، منفعل دائماً ولو كان لله مشعر لكان منفعلاً، والمنفعل لا يكون فاعلا ، وقد قلنا انه هو الفاعل بتشعير المشاعر . وهذا بمنزلة ان يقال ان الله فاعل في خلقه فلا يكون منفعلا عنهم كما يأتي التصريح به . وإنما خص باب الشعور بالذكر رداً على من زعم ان لله مشاعر . وعقده التضاد بين الاشياء دليل على استواء نسبتها اليه فلا ضد له إذ لو كانت له طبيعة تضاد شيئاً لاختص

لَا ضِدَّ لَهُ . وَ بِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ ٱلْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ .
ضَادَّ ٱلنُّورَ بِالظُّلْمَةِ ، وَٱلْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ ، وَٱلْجُمُودَ بِالْبَلَلِ ،
وَٱلْحُرُورَ بِالصَّرَدِ [١] . مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا [٢] . مُقَارِنٌ بَيْنَ
مُتَبَايِنَاتِهَا ، مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا . مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا [٣] .
لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ ، وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ ٱلْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ،
وَتُشِيرُ ٱلْآلَةُ إِلَى نَظَائِرِهَا . مَنَعَتْهَا مُنْذُ ٱلْقِدَمِيَّةَ ، وَحَمَتْهَا قَدُ
ٱلْأَزَلِيَّةَ . وَجَنَّبَتْهَا لَوْلَا ٱلتَّكْمِلَةَ [٤] ، بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ ،
وَبِهَا ٱمْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ ٱلْعُيُونِ . لَا يَجْرِي عَلَيْهِ ٱلسُّكُونُ وَٱلْحَرَكَةُ .

ايجاده بما يلائمها لا ما يضادها فلم تكن اضداد ، والمقارنة بين الاشياء في نظام الخلقة دليل ان صانعها واحد إذ لو كان له شريك لخالفه في النظام الايجادي فلم تكن مقارنة، والمقارنة هنا : المشابهة .

(١) [الوضوح والوضح : البياض . والبهمة : السواد] والصرد — محركا — البرد أصلها فارسية .

(٢) متعادياتها كالعناصر .

(٣) متدانياتها: كالجزئين من عنصر واحد في جسمين مختلفي المزاج .

(٤) منذ ، وقد ، ولولا : فواعل للافعال قبلها . ومنذ لابتداء الزمان ، وقد لتقريبه ولا يكون الابتداء والتقريب إلا في الزمان المتناهي . وكل مخلوق يقال فيه قد وجد ووجد منذ كذا ، وهذا مانع للقدم والأزلية ، وكل مخلوق يقال فيه لولا خالقه ما وجد، فهو ناقص لذاته محتاج للتكملة بغيره ، والادوات اي آلات الادراك التي هي حادثة ناقصة ، كيف يمكن لها ان تحد الازلي المتعالي عن النهاية في الكمال. وقوله بها أي بتلك الادوات أي بواسطة ما ادركته من شؤون الحوادث عرف الصانع فتجلى للعقول ، وبها أي بمقتضى طبيعة تلك الأدوات من انها لا تدرك إلا مادياً محدوداً امتنع سبحانه عن ادراك العيون التي هي نوع من تلك الادوات.

وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ . وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ . إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ [1] ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ ، وَلَامْتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ . وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ . وَلَالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ . وَإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ . وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الِامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ [2] الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأُفُولُ [3] . وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً [4] ، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً [5] . جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ ، وَطَهُرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ . لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ . وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ . لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ ، وَلَا يَتَبَدَّلُ

---

(١) لتفاوتت ذاته : أي لاختلفت باختلاف الاعراض عليها ولتجزأت حقيقته ، فان الحركة والسكون من خواص الجسم وهو منقسم ، ولصار حادثاً فان الجسم بتركبه مفتقر لغيره .

(٢) و«خرج» عطف على قوله: لا يجري عليه السكون. وسلطان الامتناع: هو سلطان العزة الازلية .

(٣) [الأفول] من أفل النجم إذا غاب [ويقصد به الغياب والموت] .

(٤) المراد بالمولود المتولد عن غيره سواء كان بطريق التناسل المعروف أو كان بطريق النشوء كتولد النبات عن العناصر ، ومن ولد له كان متولداً باحدى الطريقتين .

(٥) تكون بداية وجوده يوم ولادته .

بِالْأَحْوَالِ . وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ . وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ (١) ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ . وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ . وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ . وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ ، فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ (٢) ، أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدِّلَهُ . لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ (٣) ، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ . يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ (٤) ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ . يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ (٥) ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ . يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ . يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ . لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ ، وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ . وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ (٦) أَنْشَأَهُ . وَمَثَّلَهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِناً ، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلَهاً ثَانِياً .

---

(١) أي لا يقال ذو جزء كذا ولا ذو عضو كذا .

(٢) تقله : أي ترفعه . وتهويه : أي تحطه وتسقطه .

(٣) [والج] : أي داخل .

(٤) [اللهوات بفتح الهاء] : جمع لهاة : اللحمة في سقف أقصى الفم .

(٥) أي لا يتكلف الحفظ « ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم »

(٦) كلامه : أي الألفاظ والحروف التي يطلق عليها كلام الله باعتبار ما دلت عليه وهي حادثة عند عموم الفرق ما خلا جماعة من الحنابلة . أو المراد بالكلام هنا ما أريد في قوله تعالى « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد... » الآية ، وهو على ما قال بعض المفسرين أعيان الموجودات .

لَا يُقَالُ كَانَ، بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ، وَلَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ [1]، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأَ الْمُبْتَدِيءُ وَالْبَدِيعُ. خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ. وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ. وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ. وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ. وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوَدِ وَالِاعْوِجَاجِ [2]. وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالِانْفِرَاجِ [3]. أَرْسَى أَوْتَادَهَا، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا وَخَدَّ أَوْدِيَتَهَا [4]. فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ [5]، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ. هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ. لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ، وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ.

---

(١) «ولا يكون» عطف على تجري.

(٢) [الاعوجاج] عطف تفسير على الأود [ويريد بالقوائم والدعائم أي الملموس المنظور منها]

(٣) التهافت : التساقط قطعة قطعة. والانفراج : الانشقاق.

(٤) الأوتاد : جمع وتد. والأسداد : جمع سد والمراد بها الجبال. وخد : أي شق.

(٥) يهن - من الوهن - بمعنى الضعف [ومعناه انه بنى كل شيء من خلقه بناء قوة، وليس أحسن منه بناء، وإن كان التحول والتغير يدخل على الاشياء].

خضعت الأشياء له، وذلّت مستكينة لعظمته، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه وضره، ولا كفوء له فيكافئه، ولا نظير له فيساويه. هو المفني لها بعد وجودها، حتى يصير موجودها كمفقودها.

وليس فناء الدنيا بعد ابتدائها بأعجب من إنشائها واختراعها. وكيف لو اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها، وما كان من مراحها وسائمها[1]، وأصناف أسناخها وأجناسها، ومتبلدة أممها وأكياسها[2]، على إحداث بعوضة، ما قدرت على إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها. ولتحيرت عقولها في علم ذلك وتاهت، وعجزت قواها وتناهت، ورجعت خاسئة حسيرة[3]، عارفة بأنها مقهورة، مقرة بالعجز عن إنشائها، مذعنة بالضعف عن إفنائها.

وإن الله، سبحانه، يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه. كما كان قبل ابتدائها، كذلك يكون بعد فنائها. بلا وقت ولا مكان، ولا حين ولا زمان. عدمت عند ذلك الآجال

---

(١) مراحها – بضم الميم – اسم مفعول من أراح الابل، ردها الى المراح بالضم [كالمناخ] أي المأوى. والسائم: الراعي يريد ما كان في مأواه وما كان في مرعاه.

(٢) الأسناخ: الأصول. والمراد منها الأنواع أي الأصناف الداخلة في أنواعها. والمتبلدة: أي الغبية. والأكياس: جمع كيس – بالتشديد – : العاقل الحاذق.

(٣) الخاسىء: الذليل. والحسير: الكال المعيي.

وَالأَوْقَاتُ ، وَزَالَتِ السِّنُونَ وَالسَّاعَاتُ . فَلاَ شَيْءَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الأُمُورِ . بلاَ قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا ، وَ بِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا . وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى الاِمْتِنَاعِ دَامَ بَقَاؤُهَا ، لَمْ يَتَكَاءَدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ ، وَلَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ[1] . وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ . وَلَا خَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ ، وَلَا لِلاِسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ ، وَلَا لِلاِحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ[2] . وَلَا لِلاِزْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ ، وَلَا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ . وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا .

ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا ، لَا لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا ، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ . وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ . لَمْ يُمِلَّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا . لٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ ، وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا ، وَلَا لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاسٍ ، وَلَا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَعَمًى إِلَى حَالِ عِلْمٍ وَالْتِمَاسٍ .

---

(١) لم يتكاءده : لم يشق عليه . ولم يؤده : لم يثقله . وبرأه : مرادف لخلقه .

(٢) الند ـ بالكسر ـ المثل . والمكاثرة : المغالبة بالكثرة يقال كاثره فكثره أي غلبه . والمثاور : المواثب المهاجم .

وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنًى وَكَثْرَةٍ ، وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وهي في ذكر الملاحم]

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي ، هُمْ مِنْ عِدَّةٍ أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ ، وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ [١] ، أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ أَدْبَارِ أُمُورِكُمْ ، وَانْقِطَاعِ وَصْلِكُمْ ، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ . ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ [٢] . ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ الْمُعْطِي [٣] . ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ ، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ [٤] .

---

(١) يريد أهل الحق الذين سترتهم ظلمة الباطل في الارض فجهلهم أهلها وأشرقت بواطنهم فأضاءت بها السموات العلى فعرفهم سكانها [وقيل انه يشير الى اولياء الله فيما يستقبل من الزمان بالنسبة الى زمانه وقالت الشيعة انه اراد الائمة من ولده عليهم السلام] .

(٢) لفساد المكاسب واختلاط الحرام بالحلال .

(٣) أي حيث يكون الخير في الفقراء ويعم الشر جميع الاغنياء فيعطي الغني سرفاً وتبذيراً ، وينفق الفقير ما يأخذ من مال الغني في وجهه الشرعي .

(٤) الاحراج : التضييق .

ذٰلِكَ إِذَا عَضَّكُمُ ٱلْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ ٱلْقَتَبُ غَارِبَ ٱلْبَعِيرِ[1].

مَا أَطْوَلَ هٰذَا ٱلْعَنَاءَ وَأَبْعَدَ هٰذَا ٱلرَّجَاءَ[2]!.

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَلْقُوا هٰذِهِ ٱلْأَزِمَّةَ ٱلَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا ٱلْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ[3]، وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ. وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ ٱلْفِتْنَةِ[4]. وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا[5]، وَخَلُّوا قَصْدَ ٱلسَّبِيلِ لَهَا. فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا ٱلْمُؤْمِنُ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ ٱلْمُسْلِمِ.

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ ٱلسِّرَاجِ فِي ٱلظُّلْمَةِ، يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا. فَاسْمَعُوا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَعُوا، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا[6].

---

(١) [واستعارة العض للبلاء، وجهها شدة الآلام] القتب ـ محركا ـ الأكاف. والغارب: ما بين العنق والسنام.

(٢) [قيل هذا كلام منقطع عما قبله كعادة الشريف رضي الله عنه في التنقل من فصل الى فصل يراد به توبيخ الراغبين في الدنيا].

(٣) الأزمة ـ كأئمة ـ جمع زمام. والمراد بظهورها ظهور المزمومات بها. والكلام تجوز عن ترك الآراء الفاسدة التي يقاد بها قوم يحملون أثقالاً من الأوزار. ولا تصدعوا أي لا تفرقوا ولا تختلفوا على امامكم فتقبح عاقبتكم فتذموها.

(٤) فور النار: ارتفاع لهبها، أي لا ترموا بأنفسكم في الفتنة التي تقبلون عليها.

(٥) أميطوا [عن سننها] أي تنحوا عن طريقها وميلوا عن وجهة سيرها وخلوا لها سبيلها التي استقامت عليها.

(٦) [واستعارة لفظ الآذان للقلوب لأن الأذن لما كانت مدركاً للأقوال أشبهتها أفهام القلوب].

ومن خطبة له عليه السلام

[في الوصية بامور]

التقوى

أُوصِيكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ، بِتَقْوَى اللهِ وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَائِهِ إِلَيْكُمْ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ، وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ [1]. فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ: أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسَتَرَكُمْ [2]، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ.

الموت

وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ. وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ [3]، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ. فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ. حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ [4]، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ. فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً. أَوْحَشُوا مَا كَانُوا

---

(١) البلاء : الاحسان [وأصله للخير والشر، ولكنه هنا بمعنى الخير].

(٢) أعورتم له أي ظهرت له عوراتكم وعيوبكم. ولأخذه، أي ان يأخذكم بالعقاب.

(٣) أغفله : سها عنه وتركه.

(٤) إنما يقال ركب ونزل حقيقة لمن فعل بارادته.

يُوطِنُونَ(٥)، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ. وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا. لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالاً، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَاداً. أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ، وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ.

سرعة النفاد

فَسَابِقُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا، وَالَّتِي رُغِّبْتُمْ فِيهَا، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا. وَاسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ. مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ الْأَيَّامَ فِي الشَّهْرِ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ!(٤).

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في الايمان ووجوب الهجرة]

أقسام الايمان

فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي الْقُلُوبِ. وَمِنْهُ

(٥) أوطن المكان: اتخذه وطناً. وأوحشه: هجره، حتى لا أنيس منه به. وقوله: واشتغلوا أي وكانوا اشتغلوا بالدنيا التي فارقوها وأضاعوا العاقبة التي انتقلوا اليها.

(٤) [ابتدأ في الازمنة، بالصغير الذي ينتهي سريعاً، وانتهاؤه يستوجب انتهاء الكبير الذي هو جزء منه وهكذا حتى يكون انتهاء الاكبر لازما. وأتى في كل ذلك بلفظ التعجب تأكيداً لبيان السرعة. وهو كلام بالغ الغاية في الموعظة].

مَا يَكُونُ عَوَارِيَ بَيْنَ ٱلْقُلُوبِ وَٱلصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ[1].

فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ ٱلْمَوْتُ[2]،

فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَقَعُ حَدُّ ٱلْبَرَاءَةِ.

وجوب الهجرة

وَٱلْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا ٱلْأَوَّلِ[3]. مَا كَانَ لِلّٰهِ فِي أَهْلِ ٱلْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسَرِّ ٱلْإِمَّةِ وَمُعْلَنِهَا[4]. لَا يَقَعُ ٱسْمُ ٱلْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ بِمَعْرِفَةِ ٱلْحُجَّةِ فِي ٱلْأَرْضِ. فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ. وَلَا يَقَعُ ٱسْمُ ٱلِاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ ٱلْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ.

صعوبة الايمان

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ

---

(١) عواري [جمع عارية] : والكلام كناية عن كونه زعماً بغير فهم.

(٢) اذا ارتبتم في أحد وأردتم البراءة فلا تسارعوا لذلك وانتظروا به الموت عسى ان تدركه التوبة.

(٣) أي لم يزل حكمها الوجوب على من بلغته دعوة الاسلام ورضي الاسلام دينا وهو المراد بمعرفة الحجة الآتي في الكلام. فلا يجوز لمسلم ان يقيم في بلاد حرب على المسلمين ولا أن يقبل سلطان غير المسلم بل تجب عليه الهجرة إلا إذا تعذر عليه ذلك لمرض أو عدم نفقة فيكون من المستضعفين المعفو عنهم. وقول النبي صلى الله علية وسلم « لا هجرة بعد الفتح » محمول على الهجرة من مكة.

(٤) استسر الأمر : كتمه. والامة – بكسر الهمزة – الحالة، وبضمها الطاعة. أى أن الهجرة فرضت على المكلفين لمصلحتهم، والا فالله لا حاجة به إلى مضمر إيمانه في بلاد الكفر، ولا إلى معلنه في ديار الاسلام.

اُمْتَحَنَ اُللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ ، وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ[1] .

علم الوصي

أَيُّهَا اُلنَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلَأَنَا بِطُرُقِ اُلسَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ اُلْأَرْضِ ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا[2] ، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يحمد الله ويثني على نبيه ويعظ بالتقوى]

حمد الله

أَحْمَدُهُ شُكْراً لِإِنْعَامِهِ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ . عَزِيزُ اُلْجُنْدِ عَظِيمُ اُلْمَجْدِ .

---

(١) أحلام : عقول .

(٢) شغر برجله : رفعها . ثم الجملة كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها . من قولهم : بلدة شاغرة برجلها أي معرضة للغارة لا تمتنع عنها . وتطأ في خطامها أي تتعثر فيه ، كناية عن ارسالها وطيشها وعدم قائد لها . أما قوله عليه السلام فلأنا بطرق السلام أعلم الخ : فالقصد به أنه في العلوم الملكوتية والمعارف الالهية أوسع إحاطة منه بالعلوم الصناعية . وفي تلك تظهر مزية العقول العالية والنفوس الرفيعة . وبها ينال الرشد ويستضيء الفكر [وتذهب باحلام قومها كناية عن كونها تذهلهم حتى لا يثبتوا فيها] .

الثناء على النبي

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَلَى دِينِهِ . لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذٰلِكَ ٱجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَٱلْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ .

العظة بالتقوى

فَٱعْتَصِمُوا بِتَقْوَى ٱللهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ [١] . وَبَادِرُوا ٱلْمَوْتَ فِي غَمَرَاتِهِ . وَٱمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ . فَإِنَّ ٱلْغَايَةَ ٱلْقِيَامَةُ . وَكَفَى بِذٰلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ ، وَمُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ ! وَقَبْلَ بُلُوغِ ٱلْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ ٱلْأَرْمَاسِ [٢] ، وَشِدَّةِ ٱلْإِبْلَاسِ . وَهَوْلِ ٱلْمُطَّلَعِ ، وَرَوْعَاتِ ٱلْفَزَعِ . وَٱخْتِلَافِ ٱلْأَضْلَاعِ ، وَٱسْتِكَاكِ ٱلْأَسْمَاعِ . وَظُلْمَةِ ٱللَّحْدِ ، وَخِيفَةِ ٱلْوَعْدِ . وَغَمِّ ٱلضَّرِيحِ ، وَرَدْمِ ٱلصَّفِيحِ .

---

(١) المعقل – كمسجد – الملجأ . وذروة كل شيء : اعلاه . ومبادرة الموت : سبقه بالاعمال الصالحة ، وفي غمراته حال من الموت . والغمرات : الشدائد . ومهد – كمنع – معناه هنا عمل .

(٢) الأرماس : القبور – جمع رمس – وأصله اسم للتراب . والابلاس : حزن في خذلان وبأس . والمطلع بضم فتشديد مع فتح : المنزلة التي منها يشرف الانسان على امور الآخرة وهي منزلة البرزخ . وأصل المطلع موضع الاطلاع من ارتفاع الى انحدار . واختلاف الأضلاع ، دخول بعضها في موضع الآخرة من شدة الضغط . واستكاك الأسماع : صممها من التراب او الاصوات الهائلة . والضريح : اللحد . والردم : السد . والصفيح : الحجر العريض . والمراد ما يسد به القبر .

فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ [1] . وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا ، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا ، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا . وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا . وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا [2] . وَانْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا ، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا . فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى أَوْ شَهْرٍ انْقَضَى . وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً [3] . وَسَمِينُهَا غَثّاً . فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ الْمَقَامِ ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ . وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا [4] ، عَالٍ لَجَبُهَا سَاطِعٍ لَهَبُهَا ، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا ، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا بَعِيدٍ خُمُودُهَا ، ذَاكٍ وَقُودُهَا ، مُخِيفٍ وَعِيدُهَا ، غَمٍّ قَرَارُهَا [5] ، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا . حَامِيَةٍ قُدُورُهَا ، فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا « وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً » قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ . وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ ، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ . الَّذِينَ

---

(١) سنن: طريق معروف تفعل بكم فعلها بمن سبقكم. والقرن ـ محركا ـ يقرن به البعيران ، كناية عن القرب وأن لا بد منها . والأشراط : العلامات . وأزفت : قربت . والافراط ـ جمع فرط ـ بسكون الراء وهو العلم المستقيم يهتدى به ، أي بدلائلها .

(٢) الكلاكل : الصدور كناية عن الاثقال .

(٣) الرث : البالي . والغث : المهزول .

(٤) الكلب ـ محركا ـ أكل بلا شبع . واللجب : الصياح أو الاضطراب . والتغيظ : الهيجان . والزفير : صوت توقد النار . وذكت النار : اشتد لهيبها .

(٥) غم : صفة من غمه إذا غطاه ، أي مستور قرارها المستقر فيه اهلها .

كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا زَاكِيَةً ، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً . وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً ، تَخَشُّعاً وَٱسْتِغْفَاراً . وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً ، تَوَحُّشاً وَٱنْقِطَاعاً[1] . فَجَعَلَ ٱللهُ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ مَآباً ، وَٱلْجَزَاءَ ثَوَاباً . وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا . فِي مُلْكٍ دَائِمٍ ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ .

فَارْعَوْا عِبَادَ ٱللهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ . وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ . وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ . فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ . وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ ٱلْمَخُوفُ . فَلَا رَجْعَةً تَنَالُونَ ، وَلَا عَثْرَةً تُقَالُونَ ، اسْتَعْمَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ .

إِلْزَمُوا ٱلْأَرْضَ[2] ، وَٱصْبِرُوا عَلَى ٱلْبَلَاءِ . وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ ٱللهُ لَكُمْ . فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللهِ ، وَٱسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ . وَقَامَتِ ٱلنِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ . وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً .

---

(١) لا يريد من التوحش النفرة من الناس والجفوة في معاملتهم: بل يريد عدم الاستئناس بشؤون الدنيا والركون اليها .

(٢) لزوم الأرض كناية عن السكون ، ينصحهم به عند عدم توفر أسباب المغالبة ، وينهاهم عن التعجل بحمل السلاح تثبيتاً لقول يقوله احدهم في غير وقته ، ويأمرهم بالحكمة في العمل لا يأتونه إلا عند رجحان نجحه . وإصلات السيف : سله .

ومن خطبة له عليه السلام

[يحمد الله ويثني على نبيه ويوصي بالزهد والتقوى]

الله تعالى

أَلْحَمْدُ لِلّهِ ٱلْفَاشِي حَمْدُهُ، وَٱلْغَالِبِ جُنْدُهُ . وَٱلْمُتَعَالِي جَدُّهُ [١] . أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ ٱلتُّؤَامِ [٢] ، وَآلَائِهِ ٱلْعِظَامِ . ٱلَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا ، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى ، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى . مُبْتَدِعِ ٱلْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ . وَمُنْشِئِهِمْ بِحِكَمِهِ ، بِلَا ٱقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ ، وَلَا ٱحْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ . وَلَا إِصَابَةِ خَطَإٍ ، وَلَا حَضْرَةِ مَلَإٍ .

الرسول الأعظم

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . ٱبْتَعَثَهُ وَٱلنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ [٣] ، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ . قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ ٱلْحَيْنِ ،

---

(١) الفاشي : المنتشر [الذائع] والجد - بالفتح - العظمة - [ومنه حديث أنس -رضي الله عنه-: كان أحدنا اذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا: أي عظم].

(٢) جمع توأم - كجعفر - وهو المولود مع غيره في بطن ، وهو مجاز عن الكثير أو المتواصل [والآلاء : النعم] .

(٣) ضرب في الماء : سبح . وضرب في الأرض : سار بسرعة وأبعد . والغمرة : الماء الكثير والشدة [وما يغمر العقل من الجهل] والمراد هنا إما شدة الفتن وبلاياها أو شدة الجهل ورزاياه . والأزمة - جمع زمام - ما تقاد به الدابة . والحين - بفتح الحاء - الهلاك . والرين - بفتح الراء التغطية والحجاب وهو هنا حجاب الضلال .

وَٱسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ ٱلرَّيْنِ [1] .

الوصية بالزهد والتقوى

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ فَإِنَّهَا حَقُّ ٱللهِ عَلَيْكُمْ ، وَٱلْمُوجِبَةُ عَلَى ٱللهِ حَقَّكُمْ [2] . وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى ٱللهِ . فَإِنَّ ٱلتَّقْوَى فِي ٱلْيَوْمِ ، ٱلْحِرْزُ وَٱلْجُنَّــةُ ، وَفِي غَدٍ ٱلطَّرِيقُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ . مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ [3] . لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى ٱلْأُمَمِ ٱلْمَاضِينَ وَٱلْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً إِذَا أَعَادَ ٱللهُ مَا أَبْدَى ، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى ، وَسَأَلَ مَا أَسْدَى [4] . فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا . أُولٰئِكَ ٱلْأَقَلُّونَ عَدَداً . وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ : « وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ » . فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا [5] ، وَكُظُّوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا . وَٱعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ

---

(١) [الحين : الهلاك . والرين : الطبع] .

(٢) جرى في الكلام على نحو قوله تعالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » يريد ان التقوى جعلها الله سبيلاً لأستحقاق ثوابه ومعينة على رضائه . والجنة — بضم الجيم — الوقاية وبفتحها دار الثواب .

(٣) مستودع التقوى هو الذي تكون التقوى وديعة عنده وهو الله .

(٤) أسدى : منح وأعطى [وأرسل معروفه]

(٥) الاهطاع : الاسراع ، أهطع البعير : مد عنقه وصوب رأسه . والكظاظ — ككتاب — الممارسة وطول الملازمة ، وفعله ككتب .

خَلَفاً ، وَمِنْ كُلٍّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً . أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ ، وَاقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ . وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ ، وَارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ[1] ، وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ . وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا ، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا[2] . أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا[3] ، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهاً ، وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلَّاهاً . وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى ، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا . وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا[4] وَلَا تَسْتَمِعُوا نَاطِقَهَا ، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا . وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا ، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا ، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ[5] وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ . وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ ، وَأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ . أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّيَةُ الْعَنُونُ[6] ، وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونُ وَالْمَائِنَةُ الْخَؤُونُ .

---

(١) رحض - كمنع - غسل . والحمام - ككتاب - الموت .

(٢) أي لا تكونوا عبرة يتعظ بسوء مصيركم من أطاع التقوى وأدى حقوقها .

(٣) تصونوا : تحفظوا . والنزاه - جمع نازه - العفيف النفس . والولاه - جمع واله - الحزين على الشيء حتى يناله أي المشتاق .

(٤) شام البرق : نظر اليه أين يمطر . والبارق : السحاب ، أي لا تنظروا لما يغركم من مطامعها . والأعلاق - جمع علق - بالكسر بمعنى النفيس .

(٥) خالب : خادع ، والمحروبة : المنهوبة .

(٦) المتصدية : المرأة تتعرض للرجال تميلهم اليها ، ومن الدواب ما تمشي معترضة خابطة . والعنون - بفتح فضم - مبالغة من عنّ إذا ظهر ، ومن الدواب المتقدمة في السير ، شبه الدنيا بالمرأة المتبرجة المستميلة ، أو بالدابة تسبق الدواب وإن لم يدم تقدمها ، أو الخابطة على غير طريق . والجامحة : الصعبة على راكبها . والحرون التي إذا طلب بها السير وقفت . والمائنة : الكاذبة . والخؤون : مبالغة في

وَٱلْجُحُودُ ٱلْكَنُودُ ، وَٱلْعَنُودُ ٱلصَّدُودُ وَٱلْحَيُودُ ٱلْمَيُودُ . حَالُهَا ٱنْتِقَالٌ ، وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ ، وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ . دَارُ حَرَبٍ وَسَلَبٍ [1] ، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ . أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ ، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ [2] . قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا ، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا [3] ، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا . فَأَسْلَمَتْهُمُ ٱلْمَعَاقِلُ ، وَلَفَظَتْهُمُ ٱلْمَنَازِلُ ، وَأَعْيَتْهُمُ ٱلْمَحَاوِلُ [4] . فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ [5] ، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ ، وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ . وَعَاضٍّ عَلَى يَدَيْهِ ،

الخائنة . والكنود – من كند – كنصر : كفر النعمة . وجحد الحق : أنكره وهو به عالم . والعنود : شديدة العناد. والصدود : كثيرة الصد والهجر . والحيود مبالغة في الحيد : بمعنى الميل . والميود – من ماد – إذا اضطرب . يريد بهذه الاوصاف ان الدنيا في طبيعتها لؤم فمن سالمها حاربته ، ومن حاربها سالمته .

(١) الحرب – بالتحريك – سلب المال . والعطب : الهلاك .

(٢) أي قائمون على ساق استعداد لما ينتظرون من آجالهم . والسياق مصدر ساق فلاناً اذا أصاب ساقه ، أي ولا يلبثون ان يضربوا على سوقهم فينكبوا للموت على وجوههم ، أو هو السياق بمعنى الشروع في نزع الروح من ساق المريض سياقا . واللحاق للماضين ، والفراق عن الباقين .

(٣) تحير المذاهب : حيرة الناس فيها . والمهارب أعجزت الناس عن الهروب لأنها ليست كما يرونها مهارب بل هي مهالك .

(٤) المحاول – جمع محال بفتح الميم – أو محالة بمعنى الحذق وجودة النظر ، أي لم يفدهم ذلك خلاصاً .

(٥) أي فمنهم ناج من الموت معقور أي مجروح ، او هو من عقر الشاة والبعير إذا ضرب ساقه بالسيف وهو قائم ، والمجزور : المسلوخ أخذ عنه جلده . والشلو – بالكسر – هنا البدن كله . والمسفوح المسفوك .

وَصَافِقٍ بِكَفَّيْهِ ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ [1] ، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ . وَقَدْ أَدْبَرَتِ ٱلْحِيلَةُ وَأَقْبَلَتِ ٱلْغِيلَةُ [2] ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ ، وَمَضَتِ ٱلدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا [3] « فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ » .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تسمى القاصعة [4]

وهي تتضمن ذم إبليس على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام ، وأنه أول من أظهر العصبية [5] وتبع الحمية ، وتحذير الناس من سلوك طريقته .

---

(١) المرتفق بخديه : واضع خديه على مرفقيه ومرفقيه على ركبتيه منصوبتين وهو جالس على أليتيه . وهذه الاوصاف كناية عن الندم على التفريط والافراط . والزاري على رأيه المقبح له اللائم لنفسه عليه .

(٢) الغيلة : الشر الذي أضمرته الدنيا في خداعها . ولات حين مناص أي ليس الوقت وقت التملص والفرار .

(٣) البال : القلب والخاطر . والمراد ذهبت على ما تهواه لا على ما يريد أهلها .

(٤) من قصع فلان فلانا : أي حقره لأنه عليه السلام حقر فيها حال المتكبرين ، أو من قصع الماء عطشه إذا ازاله ، لأن سامعها لو كان متكبراً ذهب تأثيرها بكبره كما يذهب الماء بالعطش .

(٥) العصبية : الاعتزاز بالعصبة وهي قوم الرجل الذي يدافعون عنه ، واستعمال قوتهم في الباطل والفساد فهي هنا عصبية الجهل ، كما ان الحمية حمية الجاهلية . أما التناصر في الحق والحمية عليه فهو أمر محمود في جميع أحواله ، والكبر على الباطل تواضع للحق .

كبرياء الله وعزه

أَلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي لَبِسَ ٱلْعِزَّ وَٱلْكِبْرِيَاءَ وَٱخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ [1]، وَٱصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ.

رأس العصيان

وَجَعَلَ ٱللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ. ثُمَّ ٱخْتَبَرَ بِذٰلِكَ مَلَائِكَتَهُ ٱلْمُقَرَّبِينَ، لِيَمِيزَ ٱلْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ ٱلْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ ٱلْقُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ ٱلْغُيُوبِ: «إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ» ٱعْتَرَضَتْهُ ٱلْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ [2]. فَعَدُوُّ ٱللهِ إِمَامُ ٱلْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ، ٱلَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ ٱلْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ ٱللهَ رِدَاءَ ٱلْجَبْرِيَّةِ. وَٱدَّرَعَ لِبَاسَ ٱلتَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ ٱلتَّذَلُّلِ.

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ ٱللهُ بِتَكَبُّرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ. فَجَعَلَهُ فِي ٱلدُّنْيَا مَدْحُوراً وَأَعَدَّ لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ سَعِيراً؟!

ابتلاء الله لخلقه

وَلَوْ أَرَادَ ٱللهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ ٱلْأَبْصَارَ

(١) الحمى: ما حميته عن وصول الغير اليه والتصرف فيه.

(٢) [إذ عدّ إبليس النار أشرف من الطين ومنه سقط القياس عند الامامية].

ضِيَاؤُهُ ، وَيَبْهَرُ ٱلْعُقُولَ رُوَاؤُهُ [١] ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ ٱلْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ . وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ ٱلْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ، وَلَخَفَّتِ ٱلْبَلْوَى فِيهِ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ . وَلٰكِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ ، تَمْيِيزاً بِالاخْتِبَارِ لَهُمْ ، وَنَفْياً لِلاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلَاءِ مِنْهُمْ [٢] .

طلب العبرة

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ ٱللهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ ٱلطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ ٱلْجَهِيدَ ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ ٱللهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ ، لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي ٱلدُّنْيَا أَمْ سِنِي ٱلْآخِرَةِ - عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ [٣] . فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى ٱللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ [٤] ؟ كَلَّا ، مَا كَانَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً . إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ ٱلسَّمَاءِ وَأَهْلِ ٱلْأَرْضِ لَوَاحِدٌ . وَمَا بَيْنَ ٱللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ [٥] .

---

(١) الرواء - بضم ففتح - حسن المنظر . والعرف - بالفتح - الرائحة .

(٢) [الخيلاء : الكبر والاختيال] .

(٣) عن : متعلق بأحبط ، أي أضاع عمله بسبب كبر ساعة .

(٤) أي يسلم من عقابه ، وكأنه استعمل سلم بمعنى ذهب او فات فأتى بعلى .

(٥) الهوادة - بالفتح - اللين والرخصة .

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ[1] وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ. فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ[2]، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ[3]. وَقَالَ: «رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجْماً بِظَنٍّ مُصِيبٍ. صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ[4]، وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ. حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ[5]، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَةُ مِنْهُ فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ. اسْتَفْحَلَ

---

(١) ان يصيبكم بشيء من دائه بالمخالطة كما يعدي الأجرب السليم، والضمير لابليس. ويستفزكم: يستنهضكم لما يريد فان تباطأتم عليه أجلب عليكم بخيله أي ركبانه، ورجله أي مشاته. والمراد أعوان السوء.

(٢) النزع في القوس: مدها. وأغرق النازع إذا استوفى مد قوسه.

(٣) لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم.

(٤) صدق ابليس في توعد بني آدم بالأغواء، اولئك الغشماء ابناء الحمية الجاهلية.

(٥) اي استعان ببعضكم على من لم يطعه منكم وهو المراد بالجامحة. والطماعية: الطمع. وقوله فنجمت الخ أي بعد ان كانت وسوسة في الصدور وهمساً في القول ظهرت الى المجاهرة بالنداء ورفع الايدي بالسلاح. ودلفت الكتيبة في الحرب: تقدمت. وأقحموكم: أدخلوكم بغتة. والولجات – جمع ولجة – بالتحريك. كهف يستتر فيه المارة من مطر ونحوه. أوطأه: أركبه. واثخان الجراحة المبالغة فيها، أي أركبوكم الجراحات البالغة كناية عن اشعال الفتنة بينهم حتى يتقاتلوا. والخزائم – جمع خزامة ككتابة – وهي حلقة توضع في وترة أنف البعير فيشد فيها الزمام.

سُلْطانُهُ عَلَيْكُمْ ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ . فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجاتِ الذُّلِّ ، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطاتِ الْقَتْلِ ، وَأَوْطَأُوكُمْ إِثْخانَ الْجِراحَةِ ، طَعْناً في عُيُونِكُمْ ، وَحَزًّا في حُلُوقِكُمْ ، وَدَقًّا لِمَناخِرِكُمْ ، وَقَصْداً لِمَقاتِلِكُمْ ، وَسَوْقاً بِخَزائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ . فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ في دِينِكُمْ جَرْحاً [1] ، وَأَوْرَى في دُنْياكُمْ قَدْحاً مِنَ الَّذينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُناصِبِينَ وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ . فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ [2] ، وَلَهُ جِدَّكُمْ ، فَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ ، وَوَقَعَ في حَسَبِكُمْ ، وَدَفَعَ في نَسَبِكُمْ ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكانٍ ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنانٍ [3] . لا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ ، وَلا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ . في حَوْمَةِ ذُلٍّ . وَحَلْقَةِ ضِيقٍ . وَعَرْصَةِ مَوْتٍ . وَجَوْلَةِ بَلاءٍ . فَأَطْفِئُوا ما كَمَنَ في قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرانِ الْعَصَبِيَّةِ وَأَحْقادِ الْجاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّما تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ في الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَراتِ الشَّيْطانِ وَنَخَواتِهِ ، وَنَزَغاتِهِ وَنَفَثاتِهِ [4] . وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ

---

(١) فأصبح أي ابليس . وقوله وأورى الخ أي أشد قدحاً للنار في دنياكم لاتلافها ، وبالجملة فهو أضر عليكم بوساوسه من اخوانكم في الانسانية الذين أصبحتم لهم مناصبين اي مجاهرين لهم بالعداوة ومتألبين أي مجتمعين .

(٢) أي غضبكم وحدتكم . وله جدكم – بفتح الجيم – أي قطعكم ، يريد قطع الوصلة بينكم وبينه .

(٣) البنان : الأصابع .

(٤) النخوة : التكبر والتعاظم . والنزغة : المرة من النزغ بمعنى الافساد . والنفثة : النفخة .

ٱلتَّذلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ ، وَإِلْقاءِ ٱلتعزُّزِ تَحْتَ أَقْدامِكُمْ ، وَخَلْعِ ٱلتَّكَبُّرِ مِنْ أَعناقِكُمْ . وَٱتَّخِذُوا ٱلتَّواضُعَ مَسْلَحَةً[1] بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْواناً ، وَرَجْلاً وَفُرْساناً . وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ٱبْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ ٱللهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ ٱلعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَداوَةِ ٱلْحَسَدِ ، وَقَدَحَتِ ٱلْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ ٱلْغَضَبِ ، وَنَفَخَ ٱلشَّيْطانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ ٱلْكِبْرِ ٱلَّذِي أَعْقَبَهُ ٱللهُ بِهِ ٱلنَّدامَةَ ، وَأَلْزَمَهُ آثامَ ٱلْقاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيامَةِ .

التحذير من الكبر

أَلَا وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي ٱلْبَغْيِ[2] وَأَفْسَدْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُصارَحَةً لِلّٰهِ بِالْمُناصَبَةِ ، وَمُبارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحارَبَةِ . فَٱللهَ ٱللهَ فِي كِبْرِ ٱلْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ ٱلْجاهِلِيَّةِ . فَإِنَّهُ مَلاقِحُ ٱلشَّنَآنِ[3] وَمَنافِخُ ٱلشَّيْطانِ ٱلَّتِي خَدَعَ بِهَا ٱلْأُمَمَ ٱلْماضِيَةَ ، وَٱلْقُرُونَ ٱلْخالِيَةَ . حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنادِسِ جَهالَتِهِ[4] ، وَمَهاوِي ضَلالَتِهِ ، ذُلُلاً عَلَى سِياقِهِ ،

---

(١) المسلحة : الثغر يدافع العدو عنده والقوم ذوو السلاح .

(٢) أمعنتم : بالغتم . والمصارحة : التظاهر .

(٣) الملاقح — جمع ملقح كمكرم — الفحول التي تلقح الاناث وتستولد الاولاد . والشنآن البغض .

(٤) أعنقوا : من أعنقت الثريا غابت ، أي غابوا واختفوا . والحنادس — جمع

سُلُساً في قِيادِهِ . أمْراً تشابهتِ القُلوبُ فِيهِ ، وَتتابعتِ القُرونُ عَليْهِ . وَكِبْراً تضايقتِ الصُّدُورُ بِهِ .

التحذير من طاعة الكبراء

أَلا فالحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ طاعةِ ساداتِكُمْ وكُبَرائِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ ، وَأَلْقَوْا الهَجِينَةَ عَلى رَبِّهِمْ [1] ، وَجاحَدُوا اللهَ ما صَنَعَ بِهِمْ . مُكابَرَةً لِقَضائِهِ ، وَمُغالَبَةً لآلائِهِ [2] . فَإِنَّهُمْ قَواعِدُ أَساسِ العَصَبِيَّةِ . وَدَعائِمُ أَرْكانِ الفِتْنَةِ ، وَسُيُوفُ اعْتِزاءِ الجاهِلِيَّةِ [3] . فاتَّقُوا اللهَ وَلا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْداداً ، وَلا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسّاداً . وَلا تُطِيعُوا الأَدْعِياءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ ، وَأَدْخَلْتُمْ

حندس – بكسر الحاء: الظلام الشديد . والمهـاوي – جمع مهواة – الهوة التي يتردى فيهـا الصيد . والذلل – جمع ذلول – من الذل بالضم ضد الصعوبة . والسيـاق هنا السوق . والسلس – بضمين – جمع سلس – ككتف – السهل . والقياد من أمام كالسوق من خلف .

(١) الهجينة : الفعلة القبيحة . والتهجين : التقبيح أي انهم باحتقار غيرهم من الناس قبحوا خلق الله لهم .

(٢) الآلاء : النعم .

(٣) اعتزاء الجاهلية : تفاخرهم بأنسابهم كل منهم يعتزي اي ينتسب الى ابيه وما فوقه من أجداده ، و كثيراً ما يجر التفاخر الى الحرب ، وإنما تكون بدعوة الرؤساء فهم سيوفها .

فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ ، وَهُمْ أَسَاسُ ٱلْفُسُوقِ وَأَحْلَاسُ ٱلْعُقُوقِ[1] . ٱتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ . وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى ٱلنَّاسِ . وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ . ٱسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ ، وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ . فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ[2] ، وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ ، وَمَأْخَذَ يَدِهِ .

العبرة بالماضين

فَٱعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ ٱلْأُمَمَ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ ٱللّٰهِ وَصَوْلَاتِهِ ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ[3] ، وَٱتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ[4] ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ ، وَٱسْتَعِيذُوا بِٱللّٰهِ مِنْ لَوَاقِحِ ٱلْكِبْرِ[5] كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ ٱلدَّهْرِ . فَلَوْ رَخَّصَ ٱللّٰهُ فِي ٱلْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ . وَلَكِنَّهُ

---

(١) الادعيـاء ـ جمع دعي ـ وهو من ينتسب الى غير أبيه ، والمراد منهم الأخساء المنتسبون الى الاشراف والأشرار المنتسبون الى الاخيـار . وشربتم بصفوكم كدرهم أي خلطوا صافي اخلاصكم بكدر نفاقهم . وبسلامة اخلاقكم مرض أخلاقهم . والاحلاس ـ جمع حلس بالكسر ـ كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازماً له فقيل لكل ملازم لشيء هو حلسه . والعقوق : العصيان .

(٢) النبل ـ بالفتح ـ : السهام .

(٣) المثلات ـ بفتح فضم ـ العقوبات ـ .

(٤) مثاوي ـ جمع مثوى ـ بمعنى المنزل . ومنازل الخدود : مواضعها من الأرض بعد الموت . ومصارع الجنوب : مطارحها على التراب .

(٥) لواقح الكبر : محدثاته في النفوس .

سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ ٱلتَّكَابُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ ٱلتَّوَاضُعَ . فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ ، وَعَفَّرُوا فِي ٱلتُّرَابِ وُجُوهَهُمْ . وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانُوا أَقْوَاماً مُسْتَضْعَفِينَ . وَقَدِ ٱخْتَبَرَهُمُ ٱللهُ بِالْمَخْمَصَةِ [١] ، وَٱبْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ . وَٱمْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ ، وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ . فَلَا تَعْتَبِرُوا ٱلرِّضَا وَٱلسُّخْطَ بِالْمَالِ وَٱلْوَلَدِ [٢] جَهْلاً بِمَوَاقِعِ ٱلْفِتْنَةِ وَٱلِاخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ ٱلْغِنَى وَٱلِاقْتِدَارِ ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ » فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ .

تواضع الانبياء

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونَ ـ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ ـ عَلَى فِرْعَوْنَ ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ ٱلصُّوفِ ، وَبِأَيْدِيهِمَا ٱلْعِصِيُّ ، فَشَرَطَا لَهُ ـ إِنْ أَسْلَمَ ـ بَقَاءَ مُلْكِهِ ، وَدَوَامَ عِزِّهِ : فَقَالَ :

« أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ ٱلْعِزِّ وَبَقَاءَ

---

(١) المخمصة : الجوع . والمجهدة : المشقة . ومخض اللبن : تحريكه ليخرج زبده . والمكاره تستخلص إيمان الصادقين وتظهر مزاياهم العقلية والنفسية .

(٢) لا تجعلوا كثرة الاولاد ووفرة الاموال دليلاً على رضاء الله ، والنقص فيهما دليلاً على سخطه، فقد يكون الاول فتنة واستدراجاً ، والثاني محنة وابتلاء .

ٱلْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ ٱلْفَقْرِ وَٱلذُّلِّ ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ » إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ ، وَٱحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ . وَلَوْ أَرَادَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ ٱلذِّهْبَانِ (١) ، وَمَعَادِنَ ٱلْعِقْيَانِ ، وَمَغَارِسَ ٱلْجِنَانِ ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ ٱلسَّمَاءِ وَوُحُوشَ ٱلْأَرْضِ لَفَعَلَ ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ ٱلْبَلَاءُ (٢) ، وَبَطَلَ ٱلْجَزَاءُ ، وَٱضْمَحَلَّتِ ٱلْأَنْبَاءُ ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ ٱلْمُبْتَلِينَ ، وَلَا ٱسْتَحَقَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ ٱلْمُحْسِنِينَ ، وَلَا لَزِمَتِ ٱلْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا (٣) . وَلٰكِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى ٱلْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ ٱلْقُلُوبَ وَٱلْعُيُونَ غِنًى ، وَخَصَاصَةٍ تَمْلَأُ ٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَسْمَاعَ أَذًى (٤) .

---

(١) الذهبان ـ بضم الذال ـ : جمع ذهب . والعقيان : نوع من الذهب ينمو في معدنه .

(٢) لو كان الانبياء بهذه السلطة لخضع لهم الناس كافة بحكم الاضطرار فسقط البلاء أي ما به يتميز الخبيث من الطيب ، ولم يبق محل للجزاء على خير او شر ، فان الفعل اضطراري وبذلك تضمحل أخبار السماء بالوعد والوعيد لعدم الحاجة ، ثم لا يكون للقابلين دعوة الانبياء أجور المبتلين أي الممتحنين بالشدائد الصابرين على المكاره لاستهوائهم مع من قبل بالسطوة .

(٣) فان الخضوع بالرهبة يسمى إذ ذاك ايماناً مع ان الايمان في الحقيقة هو الاذعان والتصديق ، فلا يكون معنى الاسم لازماً له .

(٤) خصاصة : فقر وحاجة .

وَلَوْ كَانَتِ ٱلْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ ٱلرِّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ ٱلرِّحَالِ لَكَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَى ٱلْخَلْقِ فِي ٱلِاعْتِبَارِ[1] وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي ٱلِاسْتِكْبَارِ، وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ ٱلنِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَٱلْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً. وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ٱلِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَٱلتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَٱلْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَٱلِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَٱلِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ. وَكُلَّمَا كَانَتِ ٱلْبَلْوَى وَٱلِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ ٱلْمَثُوبَةُ وَٱلْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

الكعبة المقدسة

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ ٱللّٰهَ، سُبْحَانَهُ، ٱخْتَبَرَ ٱلْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ ٱللّٰهِ عَلَيْهِ، إِلَى ٱلْآخِرِينَ مِنْ هٰذَا ٱلْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ[2]، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ. فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ ٱلَّذِي

---

(١) أي أضعف تأثيراً في القلوب من جهة اعتبارها واتعاظها. وأبعد للناس أي أشد توغلاً بهم في الاستكبار لأن الانبيـاء يكونون قدوة في العظمة والكبرياء حينئذ. وقوله فكانت النيات مشتركة، أي لأن الايمان لم يكن خالصاً لله بل أعظم الباعث عليه الرغبة والرهبة

(٢) الأحجار هي الكعبة. والنتائق – جمع نتيقة –: البقاع المرتفعة. ومكة مرتفعة بالنسبة لما انحط عنها في البلدان. والمدر قطع الطين اليابس أو العلك الذي لارمل فيه. وأقل الأرض مدراً لا ينبت إلا قليلاً.

جَعلَهُ لِلنَّاسِ قِياماً . ثُمَّ وَضَعَهُ بأَوْعَرِ بقَاعِ ٱلْأَرْضِ حجراً ، وَأَقلِّ نتَائِقِ ٱلْأَرْضِ مَدراً . وَأَضْيَقِ بُطُونِ ٱلْأَوْدِيَةِ قطراً . بَيْنَ جِبالٍ خَشِنَةٍ ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ [1] ، وَعيُونٍ وَشِلَةٍ ، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ . لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ [2] . ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ [3] ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ ، وَغَايَةً لِمَلْقَى رِحَالِهِمْ . تَهْوَى إِلَيْهِ ثِمَارُ ٱلْأَفْئِدَةِ [4] مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ لِلهِ حَوْلَهُ [5] . وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ . قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ

---

(١) دمثة: لينة يصعب السير فيها والاستنبات منها. ووشلة - كفرحة - قليلة الماء.

(٢) لا يزكو : لا ينمو . والخف عبارة عن الجمال . والحافر عبارة عن الخيل وما شاكلها . والظلف عبارة عن البقر والغنم ، تعبير عن الحيوان بما ركبت عليه قوائمه .

(٣) ثني عطفه اليه : مال وتوجه اليه . ومنتجع الأسفار : محل الفائدة منها ومكة صارت بفريضة الحج داراً للمنافع التجارية كما هي دار لكسب المنفعة الأخروية . وملقى مصدر ميمي من ألقى أي نهاية حصر حالهم عن ظهور ابلهم .

(٤) تهوي . تسرع سيرا اليه . والثمار - جمع ثمرة - والمراد هنا الارواح . والمفاوز - جمع مفازة - الفلاة لا ماء بها . والسحيقه : البعيدة . والمهاوي - كالهوات - منخفضات الأراضي . والفجاج : الطرق الواسعة بين الجبال .

(٥) يهزوا أي يحركوا مناكبهم أي رؤوس أكتافهم لله يرفعون أصواتهم بالتلبية وذلك في السعي والطواف . والرمل : ضرب من السير فوق المشي ودون الجري . والأشعث المنتشر : الشعر مع تلبد فيه . والأغبر : من علا بدنه الغبار .

ظُهُورِهِمْ[1]، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ ٱلشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ٱبْتِلَاءً عَظِيماً وَٱمْتِحَاناً شَدِيداً وَٱخْتِبَاراً مُبِيناً. وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً جَعَلَهُ ٱللّٰهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ ٱلْعِظَامَ بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ[2]، جَمَّ ٱلْأَشْجَارِ، دَانِي ٱلثِّمَارِ، مُلْتَفَّ ٱلْبُنَى، مُتَّصِلَ ٱلْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ[3]، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ ٱلْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ ٱلْبَلَاءِ. وَلَوْ كَانَ ٱلْإِسَاسُ ٱلْمَحْمُولُ عَلَيْهَا[4]، وَٱلْأَحْجَارُ ٱلْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ لَخَفَّفَ ذَٰلِكَ مُسَارَعَةَ ٱلشَّكِّ فِي ٱلصُّدُورِ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ ٱلْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلِجَ ٱلرَّيْبِ مِنَ ٱلنَّاسِ[5]، وَلَٰكِنَّ ٱللّٰهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ ٱلشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ

---

(١) السرابيل: الثياب. واعفاء الشعور: تركها بلا حلق ولا قص.

(٢) القرار: المطمئن من الأرض. وجم الأشجار كثيرها، والبنى — جمع بنية بضم الباء وكسرها — ما ابتنيته. وملتف البني: كثير العمران.

(٣) البرة: الحنطة. والسمراء: أجودها. والأرياف: الأراضي الخصبة والعراص — جمع عرصة — الساحة ليس بها بناء، والمحدقة: من أحدقت الروضة صارت ذات شجر. والمغدقة: من أغدق المطر كثر ماؤه.

(٤) الاساس — بكسر الهمزة جمع اس — مثلثها أو أساس.

(٥) الاعتلاج: الالتطام. اعتلجت الأمواج التطمت، أي زال تلاطم الريب والشك من صدور الناس.

ٱلْمَجَاهِدِ ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ ٱلْمَكَارِهِ إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ . وَلِيَجْعَلَ ذٰلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ[1] ، وَأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ .

عود الى التحذير

فَٱللهَ ٱللهَ فِي عَاجِلِ ٱلْبَغْيِ ، وَآجِلِ وَخَامَةِ ٱلظُّلْمِ ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ ٱلْكِبْرِ فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ ٱلْعُظْمَى ، وَمَكِيدَتُهُ ٱلْكُبْرَى ٱلَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ ٱلرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ ٱلسُّمُومِ ٱلْقَاتِلَةِ[2] . فَمَا تُكْدِي أَبَداً[3] ، وَلَا تُشْوِي أَحَداً ، لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ ، وَلَا مُقِلّاً فِي طِمْرِهِ[4] . وَعَنْ ذٰلِكَ مَا حَرَسَ ٱللهُ عِبَادَهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ[5] بِالصَّلَوَاتِ وَٱلزَّكَوَاتِ ، وَمُجَاهَدَةِ ٱلصِّيَامِ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ[6] ، وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ ، وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ ،

---

(١) فتحا بضمتين أي مفتوحة واسعة .

(٢) تساور القلوب أي تواثبها وتقاتلها .

(٣) أكدى الحافر إذا عجز عن التأثير في الأرض . وأشوت الضربة أخطأت المقتل .

(٤) الطمر – بالكسر – الثوب الخلق أو الكساء البالي من غير الصوف ، أي أن البغي والظلم والكبر هي آلات ابليس وأسلحته المهلكة لا ينجو منها العالم فضلاً عن الجاهل ولا الفقير فضلاً عن الغني .

(٥) ما حرس أي حراسة الله للمؤمنين بالصلوات الخ ناشئة عن ذلك ، فهذه الفرائض لتخليص النفوس من تلك الرذائل .

(٦) الأطراف : الأيدي والأرجل .

وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ ، وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ لِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ ٱلْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً[١] ، وَٱلْتِصَاقِ كَرَائِمِ ٱلْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً ، وَلُحُوقِ ٱلْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ ٱلصِّيَامِ تَذَلُّلاً . مَعَ مَا فِي ٱلزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ ٱلْأَرْضِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ إِلَى أَهْلِ ٱلْمَسْكَنَةِ وَٱلْفَقْرِ[٢] .

فضائل الفرائض

انْظُرُوا إِلَى مَا فِي هٰذِهِ ٱلْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ ٱلْفَخْرِ[٣] ، وَقَدْعِ طَوَالِعِ ٱلْكِبْرِ . وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ ٱلْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ ٱلْجُهَلَاءِ ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ ٱلسُّفَهَاءِ غَيْرِكُمْ[٤] . فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ لَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ . أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ . وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ فَقَالَ : أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ .

---

(١) عتاق الوجوه : كرامها وهو جمع عتيق من عتق إذا رقت بشرته . والمتون الظهور .

(٢) هذا نوع من تحكيم الفقراء في أموال الاغنياء وتسليط لهم عليهم ، وفيه اضعاف لكبر الاغنياء .

(٣) القمع : القهر . والنواجم من نجم إذا طلع وظهر . والقدع الكف والمنع .

(٤) تليط وتلوط أي تلصق : وقوله غيركم أي لا أنتم فانكم تتعصبون لا عن حجة يقبلها السفيه ولا عن علة تحتمل التمويه .

وَأَمَّا ٱلْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ ٱلْأُمَمِ [1] فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ ٱلنِّعَمِ . فَقَالُوا : « نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ » فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ ٱلْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ ٱلْخِصَالِ ، وَمَحَامِدِ ٱلْأَفْعَالِ ، وَمَحَاسِنِ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا ٱلْمُجَدَاءُ وَٱلنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ ٱلْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ ٱلْقَبَائِلِ [2] بِٱلْأَخْلَاقِ ٱلرَّغِيبَةِ ، وَٱلْأَحْلَامِ ٱلْعَظِيمَةِ ، وَٱلْأَخْطَارِ ٱلْجَلِيلَةِ ، وَٱلْآثَارِ ٱلْمَحْمُودَةِ . فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ ٱلْحَمْدِ مِنَ ٱلْحِفْظِ لِلْجِوَارِ [3] ، وَٱلْوَفَاءِ بِٱلذِّمَامِ ، وَٱلطَّاعَةِ لِلْبِرِّ ، وَٱلْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ ، وَٱلْأَخْذِ بِٱلْفَضْلِ ، وَٱلْكَفِّ عَنِ ٱلْبَغْيِ ، وَٱلْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ ، وَٱلْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ ، وَٱلْكَظْمِ لِلْغَيْظِ ، وَٱجْتِنَابِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ . وَٱحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِٱلْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ ٱلْمَثُلَاتِ [4] بِسُوءِ ٱلْأَفْعَالِ

---

(١) المترف – على صيغة اسم المفعول – الموسع له في النعم يتمتع بما شاء من اللذات . وآثار مواقع النعم ما ينشأ عنها من التعالي والتكبر . وعلة ابليس والامم المترفة وإن كانت فاسدة إلا أنها شيء في جانب ما تتعلل به القبائل في مقاتلة بعضها بعضا .

(٢) اليعاسيب – جمع يعسوب – وهو أمير النحل ، ويستعمل مجازا في رئيس القوم كما هنا . والاخلاق الرغيبة : المرضية المرغوبة . والاحلام : العقول .

(٣) الجوار – بالكسر – المجاورة بمعنى الاحتماء بالغير من الظلم . والذمام : العهد .

(٤) العقوبات .

وَذَمِيمِ ٱلْأَعْمَالِ . فَتَذَكَّرُوا فِي ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ . وَٱحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ .

فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ [1] فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ ٱلْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ [2] ، وَزَاحَتِ ٱلْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ ، وَمُدَّتِ ٱلْعَافِيَةُ فِيهِ عَلَيْهِمْ ، وَٱنْقَادَتِ ٱلنِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ ، وَوَصَلَتِ ٱلْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ مِنَ ٱلِاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ [3] ، وَٱللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ ، وَٱلتَّحَاضِّ عَلَيْهَا وَٱلتَّوَاصِي بِهَا ، وَٱجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ [4] ، وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ . مِنْ تَضَاغُنِ ٱلْقُلُوبِ ، وَتَشَاحُنِ ٱلصُّدُورِ ، وَتَدَابُرِ ٱلنُّفُوسِ ، وَتَخَاذُلِ ٱلْأَيْدِي ، وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ ٱلْمَاضِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ ٱلتَّمْحِيصِ وَٱلْبَلَاءِ [5] . أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ ٱلْخَلَائِقِ أَعْبَاءً ، وَأَجْهَدَ ٱلْعِبَادِ بَلَاءً ، وَأَضْيَقَ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا حَالاً . اتَّخَذَتْهُمُ ٱلْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً

---

(١) من سعادة وشقاء .

(٢) لزمت العزة به شأنهم أي كان سبباً في عزتهم وما يتبعها من الأحوال الآتية . ومدت أي انبسطت .

(٣) من الاجتناب بيان لأسباب العزة وبعد الاعداء وانبساط العافية وانقياد النعمة والصلة بحبل الكرامة .

(٤) الفقرة — بالكسر والفتح — كالفقارة بالفتح — ما انتظم من عظم الصلب من الكاهل إلى عجب الذنب . وأوهن أي أضعف . والمنة — بضم الميم — القوة .

(٥) التمحيص : الابتلاء والاختبار .

فَسَامُوهُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ ، وَجَرَّعُوهُمُ ٱلْمُرَارَ [١] فَلَمْ تَبْرَحِ ٱلْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ ٱلْهَلَكَةِ وَقَهْرِ ٱلْغَلَبَةِ . لا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي ٱمْتِنَاعٍ ، وَلَا سَبِيلاً إِلَى دِفَاعٍ . حَتَّى إِذَا رَأَى ٱللَّهُ جِدَّ ٱلصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى ٱلْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ ، وَٱلِاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ ٱلْبَلَاءِ فَرَجاً ، فَأَبْدَلَهُمُ ٱلْعِزَّ مَكَانَ ٱلذُّلِّ ، وَٱلْأَمْنَ مَكَانَ ٱلْخَوْفِ فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً . وَأَئِمَّةً أَعْلَاماً ، وَبَلَغَتِ ٱلْكَرَامَةُ مِنَ ٱللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَبْلُغِ ٱلْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ .

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ ٱلْأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَةً [٢] ، وَٱلْأَهْوَاءُ مُتَّفِقَةً ، وَٱلْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً ، وَٱلْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً ، وَٱلسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً ، وَٱلْبَصَائِرُ نَافِذَةً ، وَٱلْعَزَائِمُ وَاحِدَةً . أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرَضِينَ [٣] ، وَمُلُوكاً عَلَى رِقَابِ ٱلْعَالَمِينَ . فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ ٱلْفُرْقَةُ ، وَتَشَتَّتَتِ ٱلْأُلْفَةُ وَٱخْتَلَفَتِ ٱلْكَلِمَةُ وَٱلْأَفْئِدَةُ ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَازِبِينَ قَدْ خَلَعَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ [٤] . وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ

---

(١) المرار – بضم ففتح – شجر شديد المرارة تتقلص منه شفاه الابل إذا أكلته ، أي جرعوهم عصارته .

(٢) الأملاء – جمع ملأ – بمعنى الجماعة والقوم . والأيدي المترادفة : المتعاونة .

(٣) أربابا : سادات .

(٤) غضارة النعمة : سعتها . الأخبار : حكايتها وروايتها .

فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ .

الاعتبار بالامم

فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ (١) ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ .

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لَيَالِيَ كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْآفَاقِ (٢) ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ ، وَمَهَافِي الرِّيحِ (٣) ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ . فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ (٤) ، أَذَلَّ الْأُمَمِ دَاراً ، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا (٥) ، وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا . فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ، وَالْكَثْرَةُ

---

(١) الاعتدال هنا التناسب . والاشتباه التشابه .

(٢) يحتازونهم : يقبضونهم عن الأراضي الخصبة .

(٣) المهافي : المواضع التي تهفو فيها الرياح أي تهب . والنكد – بالتحريك – أي الشدة والعسر .

(٤) الدبر – بالتحريك – القرحة في ظهر الدابة . والوبر : شعر الجمال . والمراد أنهم رعاة .

(٥) لا يأوون : لم يكن فيهم داع إلى الحق فيأوون اليه ويعتصمون بمناصرة دعوته .

مُتَفَرِّقَةً . فِي بَلَاءِ أَزْلٍ[١] ، وَإِطْبَاقِ جَهْلٍ ! مِنْ بَنَاتٍ مَوْؤُودَةٍ[٢] ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ .

النعمة برسول الله

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ ٱللهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً[٣] ، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ . كَيْفَ نَشَرَتِ ٱلنِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا ، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا ، وَٱلْتَفَّتِ ٱلْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا[٤] . فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ ، وَعَنْ خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ[٥] . قَدْ تَرَبَّعَتِ ٱلْأُمُورُ بِهِمْ[٦] ، فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ وَآوَتْهُمُ ٱلْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ . وَتَعَطَّفَتِ ٱلْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ . فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ ٱلْأَرَضِينَ . يَمْلِكُونَ ٱلْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ . وَيُمْضُونَ ٱلْأَحْكَامَ فِيمَنْ

---

(١) بلاء أزل : على الاضافة . والأزل – بالفتح – الشدة .

(٢) من وأد بنته – كوعد – أي دفنها وهي حية . وكان بنو اسماعيل من العرب يفعلون ذلك ببناتهم . وشن الغارة عليهم : صبها من كل وجه .

(٣) هو نبينا ﷺ .

(٤) يقال التف الحبل بالحطب إذا جمعه ، فملة محمد ﷺ جمعتهم بعد تفرقهم ، وجعلتهم جميعاً في بركاتها العائدة اليهم .

(٥) راضين ، طيبة نفوسهم .

(٦) تربعت : أقامت .

كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ . لَا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ[1] ، وَلَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ .

لوم العصاة

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ ٱلطَّاعَةِ . وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ ٱللهِ ٱلْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ[2] . فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ ٱمْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هٰذِهِ ٱلْأُلْفَةِ ٱلَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا ، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا ، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ .

وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ ٱلْهِجْرَةِ أَعْرَاباً[3] ، وَبَعْدَ ٱلْمُوَالَاةِ أَحْزَاباً . مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ إِلَّا بِٱسْمِهِ . وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ .

تَقُولُونَ ٱلنَّارَ وَلَا ٱلْعَارَ ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا

---

(١) هذا وما بعده كناية عن القوة والامتناع من الضيم . والقناة : الرمح . وغمزها : جسها باليد لينظر هل هي محتاجة للتقويم والتعديل فيفعل بها ذلك . والصفاة الحجر الصلد . وقرعها : صدمها لتكسر .

(٢) ثلمتم : خرقتم . وقوله بأحكام الجاهلية متعلق بثلمتم .

(٣) أي صرتم من أعراب البادية الذين يكتفى في اسلامهم بذكر الشهادتين وان لم يخالط الأيمان قلوبهم ، بعد أن كنتم من المهاجرين الصادقين . والموالاة : المحبة . والاحزاب : المتفرقون المتقاطعون .

ٱلْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ ٱنْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ[1] ٱلَّذِي وَضَعَهُ ٱللهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ . وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ ٱلْكُفْرِ ، ثُمَّ لَا جِبْرَائِيلُ وَلَا مِيكَائِيلُ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا ٱلْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ ٱللهُ بَيْنَكُمْ .

وَإِنَّ عِنْدَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ ٱللهِ وَقَوَارِعِهِ ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ . فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ ، وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ ، وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ . فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ ٱلْقَرْنَ ٱلْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمِ ٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ . فَلَعَنَ ٱللهُ ٱلسُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ ٱلْمَعَاصِي ، وَٱلْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ ٱلتَّنَاهِي .

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ ٱلْإِسْلَامِ ، وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ ، وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ ، أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي ٱللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ وَٱلنَّكْثِ[2] وَٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَمَّا ٱلنَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ ، وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ[3] . وَأَمَّا ٱلْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ . وَأَمَّا شَيْطَانُ

---

(١) [تقولون النار ولا العار أي هو كلام تقولونه بأفواهكم ولا تفعلونه] هو ميثاق الاخوة الدينية .

(٢) نقض العهد .

(٣) القاسطون : الجائرون عن الحق . والمارقة الذين مرقوا من الدين اي خرجوا منه . ودوخهم أي أضعفهم وأذلهم .

الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ وَرَجَّةُ صَدْرِهِ [١].
وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ . وَلَئِنْ أَذِنَ اللهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ
لَأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ [٢] إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَذُّراً .

فضل الوحي

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ [٣] ، وَكَسَرْتُ
نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ
ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ .
وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي إِلَى
فِرَاشِهِ ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ [٤] . وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ
ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ . وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلَا خَطْلَةً فِي
فِعْلٍ [٥] . وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ مِنْ لَدُنْ أَنْ

---

(١) الردهة ـ بالفتح ـ النقرة في الجبل قد يجتمع فيها الماء . وشيطانها : ذو الثدية من رؤساء الخوارج وجد مقتولاً في ردهة . والصعقة : الغشية تصيب الانسان من الهول . ووجبة القلب اضطرابه وخفقانه . ورجة الصدر اهتزازه وارتعاده .

(٢) لأديلن منهم : لأمحقنهم . ثم أجعل الدولة لغيرهم . وما يتشذر أي يتفرق ، أي لا يفلت مني إلا من يتفرق في أطراف البلاد .

(٣) الكلاكل : الصدور عبر بها عن الأكابر . والنواجم من القرون : الظاهرة الرفيعه ، يريد بها أشراف القبائل . وربيعة بدل من القرون .

(٤) عرفه ـ بالفتح ـ رائحته الذكية .

(٥) الخطلة : واحدة الخطل ، كالفرحة واحدة الفرح . والخطل : الخطأ ينشأ عن عدم الروية .

كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ [1] يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ . وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ [2] فَأَرَاهُ وَلا يَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا . أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ ، وَأَشَمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا هٰذِهِ الرَّنَّةُ ؟ فَقَالَ هٰذَا الشَّيْطَانُ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ . إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ [3] وَلٰكِنَّكَ وَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ . وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ . فَقَالَ

---

(١) الفصيل: ولد الناقة .

(٢) [علما : اي فضلاً ظاهراً] حراء بكسر الحاء: جبل على القرب من مكة .

(٣) [وعليه مذهب الامامية في الفرق بين الرسل والأئمة في ملاقاة الملائكة وقد سبق بيانه]

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَمَا تَسْأَلُونَ ؟ قَالُوا تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَإِنْ فَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ ذٰلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ ؟ قَالُوا نَعَمْ ، قَالَ فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ [1] ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي ٱلْقَلِيبِ [2] ، وَمَنْ يُحَزِّبُ ٱلْأَحْزَابَ . ثُمَّ قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا أَيَّتُهَا ٱلشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ . فَوَٱلَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ ٱلطَّيْرِ [3] حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرَفْرِفَةً ، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا ٱلْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي ، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمَّا نَظَرَ ٱلْقَوْمُ إِلَى ذٰلِكَ قَالُوا ــ عُلُوًّا وَٱسْتِكْبَاراً ــ : فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا فَأَمَرَهَا بِذٰلِكَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ

---

(١) لاتفيئون : لا ترجعون .

(٢) القليب ــ كأمير ــ البئر. والمراد منه قليب بدر طرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش ، والاحزاب متفرقة من القبائل اجتمعوا على حربه ﷺ في وقعة الخندق .

(٣) القصف : الصوت الشديد .

نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً ، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالُوا ـ كُفْراً وَعُتُوّاً ـ فَمُرْ هٰذَا ٱلنِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ فَأَمَرَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ . فَقُلْتُ أَنَا : لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَارَسُولَ ٱللَّهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ ٱلشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ ٱللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ . فَقَالَ ٱلْقَوْمُ كُلُّهُمْ : بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، عَجِيبُ ٱلسِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هٰذَا (يَعْنُونِي) وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي ٱللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ سِيمَاهُمْ سِيمَا ٱلصِّدِّيقِينَ ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ ٱلْأَبْرَارِ . عُمَّارُ ٱللَّيْلِ وَمَنَارُ ٱلنَّهَارِ [(١)] . مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ ٱلْقُرْآنِ . يُحْيُونَ سُنَنَ ٱللَّهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ . لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ ، وَلَا يَغُلُّونَ [(٢)] وَلَا يُفْسِدُونَ . قُلُوبُهُمْ فِي ٱلْجِنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي ٱلْعَمَلِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يصف فيها المتقين]

روي ان صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همام [(٣)] كان رجلاً

(١) عمار ـ جمع عامر ـ اي يعمرونه بالسهر للفكر والعبادة .

(٢) يغلون : يخونون .

(٣) [هو همام بن شريح من بني سعد العشيرة وكان همام من شيعة علي ناسكاً عابداً] .

عابداً ، فقال : يا أمير المؤمنين صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم . فتثاقل عليه السلام، عن جوابه ثم قال: يا همام اتق الله وأحسن فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه [1] ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي – صلى الله عليه وآله – ثم قال [2] :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللّٰهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – خَلَقَ ٱلْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ [3] . فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ [4] . فَٱلْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ ٱلْفَضَائِلِ . مَنْطِقُهُمُ ٱلصَّوَابُ ، وَمَلْبَسُهُمُ ٱلاقْتِصَادُ [5] ، وَمَشْيُهُمُ ٱلتَّوَاضُعُ . غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ ٱللّٰهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ لَهُمْ . نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي ٱلْبَلَاءِ

---

(١) [عزم عليه : أي أصرّ ان يجيبه إجابة مفصلة وأقسم على ذلك] .

(٢) [ولم يكن تثاقله –عليه السلام– عن الاجابة إلا ليشتد تشوّق همام الى سماعه] .

(٣) [ووجه عدم ضره، تعالى، أو نفعه من العباد، انه ليس بجسم فهو لا يُضر ولا يُنفع] .

(٤) [أي جعل بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم نفعاً سخرياً] .

(٥) ملبسهم، الخ... أي انهم لا يأتون من شهواتهم إلا بقدر حاجاتهم في تقويم حياتهم ، فكان الانفاق كثوب لهم على قدر أبدانهم لكنهم يتوسعون في الخيرات [ويجوز ان يكون قد أراد به الملبس بذاته فيكون معناه أنهم يلبسون الثياب بين بين لا هي بالثمينة جداً ولا الرخيصة جداً] .

كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ [١] . وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كُتِبَ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ . عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا [٢] فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا ، فَهُمْ مُعَذَّبُونَ . قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ . وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ [٣] وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً . تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ [٤] يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ . أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا . وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً . يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ [٥] . فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ

---

(١) نزلت الخ . . . أي انهم إذا كانوا في بلاء كانوا بالأمل، في الله، كأنهم كانوا في رخاء لا يجزعون ولا يهنون، وإذا كانوا في رخاء كانوا، من خوف الله وحذر النقمة، كأنهم في بلاء لا يبطرون ولا يتجبرون .

(٢) أي هم على يقين من الجنة والنار كيقين من رآهما ، فكأنهم في نعيم الاولى وعذاب الثانية رجاء وخوفا .

(٣) نحافة أجسادهم من الفكر في صلاح دينهم والقيام بما يجب عليهم له .

(٤) [أي تجارتهم تجارة مربحة فالمبتدأ محذوف للعلم به] ويقال أربحت التجارة إذا أفادت ربحاً .

(٥) استثار الساكن ، هيجه ، وقارىء القرآن يستثير به الفكر الماحي للجهل فهو دواؤه [ونصب أعينهم قيل ان (نصبُ) مرفوعة خبر إن وقيل انها منصوبة على الظرفية] .

رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمعاً ، وَتَطَلَّعتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً ، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصبُ أَعْيُنِهِمْ . وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ[1] فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ ، يَطَّلِبُونَ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ . وَأَمَّا ٱلنَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ . قَدْ بَرَاهُمُ ٱلْخَوْفُ بَرْيَ ٱلْقِدَاحِ[2] يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ ٱلنَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى ، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ ؛ وَيَقُولُ : قَدْ خُولِطُوا ![3] .

وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ . لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ ٱلْقَلِيلَ . وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ ٱلْكَثِيرَ . فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ . وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ[4] إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ[5] خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ ، فَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي . اَللَّهُمَّ

---

(١) زفير النار : صوت توقدها . وشهيقها الشديد من زفيرها كأنه تردد البكاء أو نهيق الحمار ، أي انهم من كمال يقينهم بالنار يتخيلون صوتها تحت جدران آذانهم فهم من شدة الخوف قد حنوا ظهورهم وسلطوا الانحناء على أوساطهم . وفكاك الرقاب : خلاصها .

(٢) القداح ـ جمع قدح بالكسر ـ وهو السهم قبل ان يراش . وبراه : نحته ، أي رقق الخوف أجسامهم كما ترقق السهام بالنحت .

(٣) خولط في عقله أي مازجه خلل فيه ، والأمر العظيم الذي خالط عقولهم هو الخوف الشديد من الله .

(٤) مشفقون : خائفون من التقصير فيها .

(٥) زكّي : مدحه أحد .

لَا تؤاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ !

فَمِنْ عَلامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ ، وَحَزْماً فِي لِينٍ ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ . وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ . وَقَصْداً فِي غِنًى [1] . وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ . وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ . وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ . وَطَلَباً فِي حَلَالٍ ، وَنَشَاطاً فِي هُدًى . وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ [2] . يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ . يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً . حَذِراً مِنَ الْغَفْلَةِ . وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ [3] لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ . قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ . وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى [4] . يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ . وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ . تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ . قَلِيلاً زَلَلُهُ . خَاشِعاً قَلْبُهُ . قَانِعَةً نَفْسُهُ . مَنْزُوراً أَكْلُهُ . سَهْلاً أَمْرُهُ . حَرِيزاً دِينُهُ [5] مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ .

---

(١) [الايمان هو الاعتقاد مضافاً اليه العمل . واليقين هو سكون القلب واطمئنانه] قصداً أي اقتصادا . والتجمل : التظاهر باليسر عند الفاقة أي الفقر .

(٢) التحرج : عد الشيء حرجاً أي إثماً ، أي تباعداً عن طمع.

(٣) إن استصعبت : أي إذا لم تطاوعه نفسه فيما يشق عليها من الطاعة عاقبها بعدم إعطائها ما ترغبه من الشهوة .

(٤) ما لا يزول هو الآخرة وما لا يبقى هو الدنيا .

(٥) منزوراً : قليلا . وحريزاً أي حصيناً .

مَكْظُوماً غَيْظُهُ . الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ . إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ [1] . يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ . بَعِيداً فُحْشُهُ [2] . لَيِّناً قَوْلُهُ . غَائِباً مُنْكَرُهُ . حَاضِراً مَعْرُوفُهُ . مُقْبِلاً خَيْرُهُ مُدْبِراً شَرُّهُ . فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ [3] . وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ . وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ . لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ . وَلَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ [4] . يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ . وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ . وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ [5] وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ . وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ . وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ . وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ [6] ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ . وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ [7] . وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي

---

(١) أي إن كان بين الساكتين عن ذكر الله فهو ذاكر له بقلبه ؛ وإن كان بين الذاكرين بلسانهم لم يكن مقتصراً على تحريك اللسان مع غفلة القلب .

(٢) الفحش : القبيح من القول .

(٣) في الزلازل أي الشدائد المرعدة . والوقور : الذي لا يضطرب .

(٤) لا يأثم الخ ... أي لا تحمله المحبة على ان يرتكب إثماً لارضاء حبيبه .

(٥) أي لا يدعو غيره باللقب الذي يكره ويشمئز منه .

(٦) [أي لم يحزن لفوات الكلام لأنه يرى الصمت مغنما لا مغرما ، وإن ضحك لم يكن إلا تبسّماً لا قهقهة ؛ وكانت هذه صفة رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم] .

(٧) [ونفسه منه في عناء لأنه يتعبها بالعبادة والزهادة] .

رَاحَةٍ . أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ، وَأَرَاحَ ٱلنَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ. وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ. لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ.

(قَالَ) فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا [1]. فَقَالَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: أَهٰكَذَا تَصْنَعُ ٱلْمَوَاعِظُ ٱلْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بَالُكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ [2]! فَقَالَ: وَيْحَكَ! إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوهُ، وَسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلاً! لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ ٱلشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ!

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يصف فيها المنافقين

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ ٱلطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ ٱلْمَعْصِيَةِ [3]: وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً وَبِحَبْلِهِ ٱعْتِصَاماً. وَنَشْهَدُ أَنَّ

(١) [(قال) أي الراوي الذي قص هذه القصة ورواها عنه السيد الشريف - رضي الله عنه] صعق: غشي عليه.

(٢) فما بالك لا تموت مع انطواء سرك على هذه المواعظ البالغة، وهذا سؤال الوقح البارد.

(٣) ذاد عنه: حمى عنه.

مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خاضَ إلى رِضْوانِ ٱللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ [١] ، وَتجرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ . وقدْ تلوَّنَ لهُ ٱلْأَدْنونَ [٢] ، وَتألَّب عَلَيْهِ ٱلْأَقْصَوْنَ . وَخلعَتْ إليْهِ ٱلعَرَبُ أَعِنَّتَهَا ، وَضَرَبَتْ إلى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا حتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا : مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ ، وَأَسْحَقِ ٱلْمَزَارِ [٣] .

أُوصيكُمْ عِبادَ ٱللهِ بتَقْوَى ٱللهِ ، وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ ٱلنِّفَاقِ ، فَإِنَّهُمُ ٱلضَّالُّونَ ٱلْمُضِلُّونَ ، وَالزَّالُّونَ ٱلْمُزِلُّونَ ، [٤] : يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَانًا ، وَيَفْتَنُّونَ إفْتِنَانًا [٥] ، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ ،

---

(١) الغمرة : الشدة .

(٢) تلوّن أي تقلب له الأدنون أي الأقربون فلم يثبتوا معه . وتألب أي اجتمع على عداوته الأقصون أي الأبعدون . وخلعت العرب أعنتها ـ جمع عنان ـ وهو حبل اللجام أي خرجت عن طاعته فلم تنقد له بزمام ، أو المراد انها خلعت الأعنة سرعة الى حربه فان ما لا يمسكه عنان يكون أسرع جرياً . والرواحل ـ جمع راحلة ـ وهي الناقة أي ساقوا ركائبهم اسراعاً لمحاربته .

(٣) أسحق : أقصى [والسحق بضم السين : البعد] .

(٤) الزالون من زل أي أخطأ . والمزلون من أزله إذا أوقعه في الخطأ .

(٥) يفتنون أي يأخذون في فنون من القول لا يذهبون مذهبـــاً واحداً . ويعمدونكم أي يقيمونكم بكل عماد . والعماد : ما يقام عليه البناء أي اذا ملتم عن اهوائهم أقاموكم عليها بأعمدة من الخديعة حتى توافقوهم [فالعماد هو الأمر الفادح] والمرصاد : محل الارتقاب ، ويرصدونكم : يقعدون لكم بكل طريق ليحوّلوكم عن الاستقامة .

وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ ، قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ [1] ، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ . يَمْشُونَ الْخَفَاءَ [2] ، وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ ، وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ [3] ، حَسَدَةُ الرَّخَاءِ [4] ، وَمُؤَكِّدُو الْبَلَاءِ ، وَمُقْنِطُو الرَّجَاءِ ، لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ [5] ، وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ [6] يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ [7] ، وَيَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ : إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا [8] ، وَإِنْ

---

(١) دوية أي مريضة من الدَّوَى بالقصر وهو المرض . والصفاح : جمع صفحة ، والمراد منها صفاح وجوههم ، ونقاوتها : صفاؤها من علامات العداوة وقلوبهم ملتهبة بنارها [لأن نفوسهم باقية على الداء النفساني من الحسد والمكر والخديعة وإعمال الحيلة مع إظهار البشاشة والمحبة والنصيحة وهذا هو خالص النفاق] .

(٢) يمشون مشي التستر ، ويدبون : أي يمشون على هيئة دبيب الضراء أي يسرون سريان المرض في الجسم أو سريان النقص في الاموال والانفس والثمرات [وهو كناية عن كون حركاتهم وأقوالهم إنما هي للختل والخديعة] .

(٣) الداء العياء ـ بالفتح ـ : الذي اعيى الاطباء ولا يمكن منه الشفاء .

(٤) حسدة : جمع حاسد ، أي يحسدون على السعة ، وإذا نزل بلاء بأحد أكدوه وزادوه [بالسعي والوشاية] وإذا رجى احد شيئاً أوقعوه في القنوط واليأس .

(٥) الصريع : المطروح على الأرض ، اي انهم كثيراً ما خدعوا أشخاصاً حتى أوقعوهم في الهلكة .

(٦) [واتخاذ الشفيع من كل قلب شأن المنافق الذي يتخذ الى كل قلب ذريعة ووجهاً غير الآخر فيكون صديق الكل ليتوصل الى ما يريد] الشجو : الحزن ، أي يبكون تصنعاً متى أرادوا [ليتوصلوا بذلك الى أغراضهم] .

(٧) يتقارضون : كل واحد منهم يثني على الآخر ليثني الآخر عليه ، كأن كلا منهم يسلف الآخر ديناً ليؤديه اليه ، وكل يعمل للآخر عملاً يرتقب جزاءه عليه .

(٨) [ألحفوا] بالغوا في السؤال وألحوا . وان عذلوا أي لاموا . كشفوا أي فضحوا من يلومونه [ويميلون القائم اي يفسدونه ، ولكل حي قاتلاً أي سبباً يميتونه به . والحي هنا أعمّ من الانسان] .

عَدَلُوا كَشَفُوا ، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا . قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً ، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً ، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلاً ، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً ، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً : يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ ، وَيُنَفِّقُوا بِهِ أَعْلاَقَهُمْ [1] : يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ [2] ، وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ ، قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ ، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ [3] ، فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ ، وَحُمَةُ [4] النِّيرَانِ (أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يحمد الله ويثني على نبيه ويعظ]

حمد الله

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ ، وَجَلاَلِ كِبْرِيَائِهِ ،

---

(١) ينفقون أي يروجون من النفاق ـ بالفتح ـ ضد الكساد . والاعلاق جمع علق : الشيء النفيس ، والمراد ما يزينونه من خدائعهم .

(٢) اي ، يشبهون الحق بالباطل [تلبيساً وتمويهاً ليغلب الباطل وينتصر] .

(٣) يهونون على الناس طرق السير معهم على أهوائهم الفاسدة ثم بعد ان ينقادوا لهم يضلعون عليهم المضائق ، أي يجعلونها معوجة يصعب تجاوزها فيهلكون .

(٤) اللمة ـ بضم ففتح ـ الجماعة من الثلاثة الى العشرة والمراد هنا مطلق الجماعة . والحمة بالتخفيف الابرة تلسع بها العقرب ونحوها [وبالتشديد معظم حرّ النار] . والمراد لهيب النيران [وحمة النيران مستعار لمعظم شرورهم ووجه المشابهة استلزامها للأذى البالغ] .

مَا حَيَّرَ مُقَلَ ٱلْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ [١] ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ ٱلنُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ [٢] .

الشهادتان

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ ٱلْهُدَى دَارِسَةٌ ، وَمَنَاهِجُ ٱلدِّينِ طَامِسَةٌ ، فَصَدَعَ [٣] بِالْحَقِّ ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ ، وَهَدَى إِلَى ٱلرُّشْدِ ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلم .

العظة

وَٱعْلَمُوا ، عِبَادَ ٱللهِ ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً ، عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ ، فَاسْتَفْتِحُوهُ ، وَاسْتَنْجِحُوهُ [٤] ، وَٱطْلُبُوا إِلَيْهِ وَٱسْتَمْنِحُوهُ ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ ، وَلَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ ، وَإِنَّهُ

---

(١) المقل ، بضم ففتح ، جمع مقلة وهي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد .

(٢) هماهم النفوس : همومها في طلب العلم [والهمهمة حديث النفس مع صوت خفي لا يفهم] .

(٣) طامسة : من طمس بفتحات ، أي انمحى واندرس . وصدع أي شق بناء الباطل بصدمة الحق . والقصد الاعتدال في كل شيء .

(٤) استفتحوه : اسألوه الفتح على اعدائكم واستنجحوه : اسألوه النجاح في أعمالكم . واستمنحوه : التمسوا منه العطاء . [وهملا : أي مهملين بلا عمل ولا حساب] .

لِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ ، لَا يَثْلِمُهُ ٱلْعَطَاءُ ، وَلَا يَنْقُصُهُ ٱلْحِبَاءُ ، وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ ، وَلَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ ، وَلَا يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ ، وَلَا تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ ، وَلَا تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ ، وَلَا يُجِنُّهُ ٱلْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ [1] ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ ٱلْبُطُونِ ، قَرُبَ فَنَأَى ، وَعَلَا فَدَنَا ، وَظَهَرَ فَبَطَنَ ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ ، وَدَانَ وَلَمْ يُدَنْ [2] ، لَمْ يَذْرَإِ ٱلْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ ، وَلَا ٱسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ [3] .

أُوصِيكُمْ ، عِبَادَ ٱللهِ ، بِتَقْوَى ٱللهِ ، فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ [4] ،

---

(١) ثلم السيف : كسر جانبه: مجاز عن عدم انتقاص خزائنه بالعطاء. والحباء ـ ككتاب ـ العطية لا مكافأة . واستنفده جعله نافد المال لا شيء عنده. واستقصاه أتى على آخر ما عنده . والله سبحانه لا نهاية لما لديه من المواهب . ولا يلويه اي لا يميله. وتولهه: تذهله. ويجنه : كيظنه يستره . وكأنه يريد ـ رضي الله عنه ـ أن صور الموجودات حجاب بين الوهم ؛ وسبحات وجهه وعلو ذاته مانع للعقل عن اكتناهه فهو بهذا باطن ومع ذلك فالأشياء بذاتها لا وجود لها ، وإنما وجودها نسبتها اليه ، فالوجود الحقيقي البريء من شوائب العدم وجوده، فالموجودات أشعة ضياء الوجود الحق ، فهو الظاهر على كل شيء وبهذا تتبين الاوصاف الآتية .

(٢) دان : جازى وحاسب ولم يحاسبه أحد .

(٣) ذرأ أي خلق ، والاحتيال : التفكر في العمل وطلب التمكن من إبرازه ولا يكون إلا من العجز . والكلال : الملل من التعب [وهو تنزيه له تعالى عن استخراج الحيل وإجالة وجوه الآراء في استخراجها ثم عن الاستعانة بغيره، والاستعانة داعية الكلال والاعياء لاستلزامها تناهي القوة ووقوفها عند حد] .

(٤) التقوى زمام يقود للسعادة . وقوام بالفتح أي عيش يحيا به الابرار [والاعتصام بحقائقها أي بالخالص منها دون المشوب بالرياء والنفاق] .

فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا ، وَاُعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا ، تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ وَأَوْطَانِ السَّعَةِ ، وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ [1] ، وَمَنَازِلِ الْعِزِّ ، فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَارُ ، وَتُظْلِمُ لَهُ ٱلْأَقْطَارُ ، وَيُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ ٱلْعِشَارِ [2] . وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ ، وَتُدَكُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ [3] . وَالصُّمُّ الرَّوَاسِخُ ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً ، وَمَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً [4] ، فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ ، وَلَا حَمِيمٌ يَدْفَعُ ، وَلَا مَعْذِرَةٌ تَنْفَعُ .

---

(١) الاكنان، جمع كن بالكسر: ما يستكن به. والدعة خفض العيش وسعته. والمعاقل: الحصون. والحرز: الحفظ.

(٢) الصروم، جمع صرمة بالكسر؛ وهي قطعة من الابل فوق العشرة إلى تسعة عشر أو فوق العشرين الى الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين. والعشار – جمع عشراء – بضم ففتح – كنفساء – وهي الناقة، مضى لحملها عشرة أشهر. وتعطيل جماعات الابل: اهمالها من الرعي. والمراد أن يوم القيامة تهمل فيه نفائس الاموال لاشتغال كل شخص بنجاة نفسه.

(٣) الشم – جمع أشم – أي رفيع. والشامخ: المتسامي في الارتفاع. والصم – جمع أصم – وهو الصلب المصمت أي الذي لا تجويف فيه. والراسخ: الثابت:

(٤) الصلد: الصلب الاملس. والسراب: ما تخيله ضوء الشمس كالماء خصوصاً في الاراضي السبخة وليس بماء. والرقرق – كجعفر – المضطرب. ومعهدها: المحل الذي كان يعهد وجودها فيه. والقاع: ما اطمأن من الارض. والسملق – كجعفر – [الصفصف] المستوي [ليس بعضه أرفع من بعض] أي تنسف تلك الجبال ويصير مكانها قاعاً صفصفا اي مستويا [وكل هذا تصوير لرؤية ما يعود من المجسمات وكأنه لا أصل له في العلو والعظمة، ويرى الانسان نفسه وقد انقطع عن عالم المجسمات عند التوجه الى عالم الملكوت] .

ومن خطبة له عليه السلام

[في مبعث النبي وعظة الناس بالزهد]

بعثة النبي

بَعَثَهُ حِينَ لَا عَلَمٌ قَائِمٌ [1]، وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ، وَلَا مَنْهَجٌ وَاضِحٌ.

العظة بالزهد

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ، بِتَقْوَى اللهِ، وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ [2] وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ [3]، تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ [4] فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ [5]، وَمِنْهُمُ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ، تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ!!

---

(١) الضمير، في بعثه، للنبي ﷺ [والساطع: المرتفع، واستعار لفظ العلم والمنار للهداة الى الله والداعين اليه].

(٢) الشخوص: الذهاب والانتقال الى بعيد.

(٣) بائن: مبتعد منفصل.

(٤) تميد أي تضطرب اضطراب السفينة. تقصفها، أي تكسرها الرياح الشديدة.

(٥) الوبق – بكسر الباء – الهالك، أي منهم من هلك عند تكسر السفينة ومنهم من بقيت فيه الحياة فخلص محمولاً على بطون الأمواج كأن الامواج في انتفاخها كالحيوان المنقلب على ظهره، وبطنه لأعلى. وتحفزه أي تدفعه. ومصير هذا الناجي ايضاً الى الهلاك بعد طول العناء [وبلاغة هذا الكلام متسقة على نظام لذكر احوال السفينة والعواصف والامواج والغرق والنجاة].

عِبَادَ ٱللّٰهِ ، ٱلْآنَ فَاعْلَمُوا ، وَٱلْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَٱلْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ ، وَٱلْأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ ، وَٱلْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ [1] ، وَٱلْمَجَالُ عَرِيضٌ ، قَبْلَ إِرْهَاقِ ٱلْفَوْتِ [2] ، وَحُلُولِ ٱلْمَوْتِ . فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[ينبه فيه على فضيلته لقبول قوله وأمره ونهيه]

وَلَقَدْ عَلِمَ ٱلْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ أَنِّي لَمْ أَرُدَّ [3] عَلَى ٱللّٰهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ . وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي ٱلْمَوَاطِنِ ٱلَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا ٱلْأَبْطَالُ [4] ،

---

(١) اللدن ـ بالفتح ـ اللين ؛ أي والاعضاء في لين الحياة يمكن استعمالها في العمل . والمنقلب ـ بفتح اللام ـ مكان الانقلاب من الضلال الى الهدى في هذه الحياة .

(٢) أرهقه الشيء : أعجله فلم يتمكن من فعله . والفوت : ذهاب الفرصة بحلول الأجل .

(٣) المستحفظون ـ بفتح الفاء ـ اسم مفعول أي الذين أودعهم النبي ﷺ أمانة سره وطالبهم بحفظها [وهم أيضاً العلماء وأهل الدين الذين استحفظوا كتاب الله ودينه ويقول بعض الشارحين : وفيه إيماء الى ما كان يفعله بعض الصحابة من التسرع بالقول والاعتراض على الرسول في مواضع دون الامام فإنه لم يعترض قط] ولم يرد على الله ورسوله : لم يعارضهما في أحكامهما .

(٤) المواساة بالشيء الاشراك فيه فقد أشرك النبي في نفسه ، ولا تكون بالمال الا ان يكون كفافا فإن أعطيت عن فضل فليس بمواساة ؛ قالوا : والفصيح في الفعل آسيته ولكن نطق الامام حجة .

وَتتَأخَرُ فِيهَا الْأَقْدامُ ، نجْدَةً أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا [1] .

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي . وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي ، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي [2] . وَلَقَدْ وَلِيتُ غُسْلَهُ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي ، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَةُ [3] مَلَأٌ يَهْبِطُ ، وَمَلَأٌ يَعْرُجُ ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ [4] . يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ . فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً ؟ فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ [5] ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ . فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ [6] ! أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ !

---

(١) النجدة ـ بالفتح ـ الشجاعة . ونصبها هنا على المصدرية لفعل محذوف [وذلك كيوم أحد حيث فرّ الناس وثبت عليّ ويوم حنين ويوم خيبر] .

(٢) نفسه : كناية عن دمه ، روي ان النبي ﷺ قاء في مرضه [دماً يسيراً] فتلقى [دمه] أمير المؤمنين في يده ومسح به وجهه .

(٣) ضجيج الدار كان بالملائكة النازلين والعارجين . والأفنية جمع فناء ـ بكسر الفاء ـ ما اتسع أمام الدار .

(٤) الهينمة : الصوت الخفي [يُسمع ولا يفهم] .

(٥) البصيرة : ضياء العقل كأنه يقول فاذهبوا الى عدوكم محمولين على اليقين لا ريبة فيه .

(٦) المزلة : مكان الزلل الموجب للسقوط في الهلكة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[ينبه على إحاطة علم الله بالجزئيات ثم يحث على التقوى وبين فضل الاسلام والقرآن]

يَعْلَمُ عَجِيجَ ٱلْوُحُوشِ فِي ٱلْفَلَوَاتِ [1] ، وَمَعَاصِي ٱلْعِبَادِ فِي ٱلْخَلَوَاتِ ، وَٱخْتِلَافَ ٱلنِّينَانِ فِي ٱلْبِحَارِ ٱلْغَامِرَاتِ [2] ، وَتَلَاطُمَ ٱلْمَاءِ بِالرِّيَاحِ ٱلْعَاصِفَاتِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ ٱللهِ [3] وَسَفِيرُ وَحْيِهِ ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ .

الوصية بالتقوى

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللهِ ٱلَّذِي ٱبْتَدَأَ خَلْقَكُمْ ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ [4] . فَإِنَّ تَقْوَى ٱللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ ، وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ ، وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ ، وَطُهُورُ دَنَسِ

---

(١) [فكأن الوحوش تجأر اليه تعالى بالعجيج عند قلة العشب ليكون الانسان أولى بالفزع اليه سبحانه] .

(٢) النينان — جمع نون — وهو الحوت .

(٣) النجيب : المختار المصطفى .

(٤) [ابتدأ خلقكم اي خلقكم على غير مثال سبق] ومرمى المفزع ما يدفع اليه الخوف وهو الملجأ أي واليه ملاجيء خوفكم .

أَنْفُسِكُمْ ، وَجَلاءَ عَشَا أَبْصَارِكُمْ ، وَأَمْنَ فَزَعِ جَأْشِكُمْ [١] ، وَضِيَاءَ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ . فَاجْعَلُوا طَاعَةَ ٱللهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ [٢] ، وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ ، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلاعِكُمْ ، وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ ، وَمَنْهَلاً لِحِينِ وُرُودِكُمْ [٣] ، وَشَفِيعاً لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ ، وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ ، وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ ، وَنَفَساً لِكُرَبِ مَوَاطِنِكُمْ . فَإِنَّ طَاعَةَ ٱللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ ، وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ ، وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ [٤] . فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ ٱلشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا [٥] ، وَٱحْلَوْلَتْ لَهُ ٱلْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا ، وَٱنْفَرَجَتْ عَنْهُ ٱلْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا ، وَأَسْهَلَتْ لَهُ ٱلصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا [٦] ، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ ٱلْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا ، وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ ٱلرَّحْمَةُ بَعْدَ

---

(١) الجأش : ما يضطرب في القلب عند الفزع أو النهيب أو توقع المكروه [لا تخفى البلاغة الرائعة في نسبة العمى للافئدة والمرض للاجساد والفساد للصدور والدنس للنفوس والعشا للأبصار والفزع للجأش والسواد للظلمة .]

(٢) الشعار : ما يلي البدن من الثياب . والدثار : ما فوقه .

(٣) المنهل ما ترده الشاربة من الماء للشرب . والدرك – بالتحريك – اللحاق . والطلبة – بالكسر – المطلوب . والجنة – بالضم – الوقاية .

(٤) الأوار – بالضم – حرارة النار ولهيبها .

(٥) عزبت بالزاي : غابت وبعدت [ومن الجائز ان تكون الجملة بعدها بياناً لها أي تحلولى له الشدائد فيستهين بها فتكون كأنها بعدت بعد دنوها] .

(٦) الانصاب [بكسر الهمزة] مصدر بمعنى الاتعاب .

نفُورهَا ، وَتفجَّرَتْ عَلَيْهِ النعَمُ بَعْدَ نضُوبِهَا ، وَوَبلتْ عَلَيْهِ البَرَكَةُ بَعْدَ إرْذاذِهَا [1] .

فَاتقُوا اللهَ الَّذي نَفعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ ، وَوَعظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَامْتنَّ عَلَيْكُمْ بِنعْمَتِهِ . فَعبِّدُوا أنفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ [2] ، وَأخْرِجُوا إليْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ .

فضل الاسلام

ثُمَّ إنَّ هذَا الإسْلامَ دِينُ اللهِ الذي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَاصْطنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ ، وَأصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ [3] ، وَأقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ . أذَلَّ الأدْيَانَ بِعِزَّتِهِ ، وَوَضَعَ المِلَلَ بِرَفْعِهِ ، وَأهَانَ أعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ ، وَخَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ [4] ، وَهَدَمَ أرْكَانَ الضَّلالَةِ بِرُكْنِهِ . وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ ، وَأتْأقَ الحِيَاضَ

---

(١) تحدب عليه : عطف . ونضب الماء نضوباً : غار وذهب في الأرض . ونضوب النعمة : قلتها أو زوالهـا . ووبلت السماء : أمطرت مطراً شديداً . وأرذت ـ بتشديد الذال ـ ارذاذاً : مطرت مطراً ضعيفاً في سكون كأنه الغبار المتطاير

(٢) فعبدوا أي فذللوا .

(٣) اصطناع الشيء على العين : الأمر بصنعته تحت النظر خوف المخالفـة في المطلوب من صنعته ، والمراد هنا تشريع الدين وتكميله على حسب علم الله الأعلى وتحت عنايته بحفظه . ووجه التجوز ظاهر ، وأصفاه العطاء وبه أخلص له وآثره به ، وخيرة ـ بفتح الياء ـ أفضل ما يضاف اليه أي وآثر هذا الدين بأفضل الخلق ليبلغه للناس .

(٤) محاديه ـ جمع محاد ـ الشديد المخالفة . [وأركان الضلالة : طرقها واتباعها] الركن : العز والمنعة .

بِمَوَاتِحِهِ[1] . ثُمَّ جَعَلَهُ لَا ٱنْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ ، وَلَا ٱنْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ ، وَلَا ٱنْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ ، وَلَا ٱنْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ ، وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ ، وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ ، وَلَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ ، وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ ، وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ ، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ ، وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ[2] ، وَلَا ٱنْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ ، فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي ٱلْحَقِّ أَسْنَاخَهَا ، وَثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا ، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا[3] ، وَمَنَارٌ ٱقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا ، وَأَعْلَامٌ[4] قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا ، وَمَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا . جَعَلَ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ فَهُوَ عِنْدَ ٱللهِ وَثِيقُ ٱلْأَرْكَانِ ، رَفِيعُ ٱلْبُنْيَانِ ، مُنِيرُ ٱلْبُرْهَانِ ، مُضِيءُ ٱلنِّيرَانِ ، عَزِيزُ

---

(١) تئق الحوض ـ كفرح ـ امتلأ . واتأقه ملأه . والمواتح ـ جمع ماتح ـ نازع الماء من الحوض .

(٢) العفاء ـ كسحاب ـ الدروس والاضمحلال . والجذ : القطع . والضنك : الضيق . والوعوثة : رخاوة في السهل تغوص بها الاقدام عند السير فيعسر المشي فيه . والوضح : محركة ؛ بياض الصبح . والعصل ـ بفتح الصاد ـ الاعوجاج يصعب تقويمه . ووعث الطريق : تعسر المشي فيه . والفج : الطريق الواسع بين جبلين .

(٣) أساخ : أثبت . وأصل ساخ غاص في لين وخاض فيه . والأسناخ : الأصول . وغزرت : كثرت . وشبت النار : ارتفعت من الايقاد .

(٤) المنار : ما ارتفع لتوضع عليه نار يهتدى اليها . والسفار ـ بضم فتشديد ـ ذوو السفر أي يهتدي اليه المسافرون في طريق الحق . والاعلام : ما يوضع على أوليات الطرق أو أوساطها ليدل عليها ، فهو هدايات بسببها قصد السالكون طرقها .

ٱلسُّلْطَانِ ، مُشْرِفُ ٱلْمَنَارِ مُعْوِزُ[1] ٱلْمَثَارِ . فَشَرِّفُوهُ وَٱتَّبِعُوهُ ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ .

الرسول الاعظم

ثُمَّ إِنَّ ٱللّٰهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ ٱلدُّنْيَا ٱلِانْقِطَاعُ ، وَأَقْبَلَ مِنَ ٱلآخِرَةِ ٱلِاطِّلَاعُ[2] . وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ . وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ[3] . فِي ٱنْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا ، وَٱقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا ، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا ، وَٱنْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا ، وَٱنْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا ، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا[4] ، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا ، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا .

جَعَلَهُ ٱللّٰهُ بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ ، وَرَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ ، وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ ، وَشَرَفاً لِأَنْصَارِهِ .

---

(١) مشرف المنار: مرتفعه. وأعوزه الشيء: احتاج اليه فلم ينله. والمثار: مصدر من ثار الغبار اذا هاج؛ أي لو طلب احد اثارة هذا الدين لما استطاع لثباته.

(٢) الاطلاع : الاتيان ؛ أطلع فلان علينا اي أتانا.

(٣) الضمير في بهجتها للدنيا . . وقامت بأهلها على ساق اي أفزعتهم. وخشونة المهاد : كناية عن شدة آلامها . وأزف ـ كفرح ـ اي قرب ، والمراد من القياد انقيادها للزوال .

(٤) الأشراط جمع شرط ـ كسبب أي علامات انقضائها . والتصرم: التقطع. والانفصام : الانقطاع . وإذا انفصمت الحلقة انقطعت الرابطة . وانتشار الاسباب تبددها حتى لا تضبط . وعفاء الاعلام : اندراسها .

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ٱلْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ [1]، وَبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ [2]، وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ، وَفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ، وَتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ. وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَعِزّاً لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقّاً لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ. فَهُوَ مَعْدِنُ ٱلْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ [3]، وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ ٱلْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ [4] وَأَثَافِيُّ ٱلْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ، وَأَوْدِيَةُ ٱلْحَقِّ وَغِيطَانُهُ [5]. وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ ٱلْمُسْتَنْزِفُونَ [6]، وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا ٱلْمَاتِحُونَ وَمَنَاهِلُ لَا يُغِيضُهَا ٱلْوَارِدُونَ، وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا ٱلْمُسَافِرُونَ،

---

(١) خبت النار: طفئت.

(٢) المنهاج: الطريق الواسع. والنهج هنا السلوك. ويضل رباعي أي لا يكون من سلوكه اضلال.

(٣) بحبوحة المكان: وسطه.

(٤) الرياض: جمع روضة وهي مستنقع الماء في رمل أو عشب. والغدران جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل، والمراد ان الكتاب مجمع العدالة تلتقي فيه متفرقاتها. والأثافي جمع اثفية: الحجر يوضع عليه القدر أي عليه قام الاسلام.

(٥) غيطان الحق - جمع غاط أو غوط - وهو المطمئن من الارض أي ان هذا الكتاب منابت طيبة يزكو بها الحق وينمو.

(٦) لا ينزفه أي لا يفنى ماؤه ولا يستفرغه المغترفون. ولا ينضبها - كيكرمها - أي ينقصها. والماتحون - جمع ماتح - نازع الماء من الحوض. والمناهل: مواضع الشرب من النهر. ولا يغيضها: من أغاض الماء؛ نقصه.

وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ ، وَآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا[1] الْقَاصِدُونَ . جَعَلَهُ اللهُ رِيًّا[2] لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ ، وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ ، وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ ، وَهُدًى لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ ، وَعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ[3] ، وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلْأَمَ . وَعِلْماً لِمَنْ وَعَى ، وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى ، وَحُكْماً لِمَنْ قَضَى[4] .

---

(١) آكام – جمع اكمة – وهو الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله وهو دون الجبل في غلظ لا يبلغ ان يكون حجراً . فطرق الحق تنتهي الى أعالي هذا الكتاب وعندها ينقطع سير السائرين اليه لا يتجاوزونها والمتجاوز هالك .

(٢) [ريا لعطش العلماء لما فيه من العلم الغزير الذي يروي كل طالب وربيعاً لقلوب الفقهاء إذ يجدون فيه لكل قضية حكما] . والمحاج – جمع محجة – وهي الجادة من الطريق .

(٣) الفلج – بالفتح – الظفر والفوز .

(٤) الجنة – بالضم – ما به يتقى الضرر . واستلأم اي لبس اللأمة وهي الدرع أو جميع أدوات الحرب أي ان من جعل القرآن لأمة حربه لمدافعة الشبه والتوقي من الضلالة كان القرآن وقاية له [وحكما لمن قضى أي فيه الاحكام التي يحتاج اليها القضاة ليفصلوا في الامور] .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[يوصي أصحابه بالصلاة والزكاة والامانة]

تَعَاهَدُوا أَمْرَ ٱلصَّلاةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَٱسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا، فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً. أَلا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ ٱلنَّارِ حِينَ سُئِلُوا: «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ» وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ ٱلذُّنُوبَ حَتَّ ٱلْوَرَقِ [1]، وَتُطْلِقُهَا إِطْلاقَ ٱلرِّبَقِ [2] وَشَبَّهَهَا رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ بِٱلْحَمَّةِ [3] تَكُونُ عَلَى بَابِ ٱلرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي ٱلْيَوْمِ وَٱللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ ٱلدَّرَنِ؟ وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ لا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلا مَالٍ. يَقُولُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ «رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلاةِ وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَاةِ» وَكَانَ

---

(١) حت الورق عن الشجرة : قشره .

(٢) الربق ـ بالكسر ـ حبل فيه عدة عرى كل منها ربقة اي اطلاق الحبل ممن ربط به فكأن الذنوب ربق في الاعناق والصلاة تفكها منه .

(٣) الحمة ـ بالفتح ـ كل عين تنبع بالماء الحار يستشفى بها من العلل . والدرن الوسخ . روي في الحديث ان النبي ﷺ قال أيسر احدكم ان يكون على بابه حمة يغتسل منها كل يوم خمس مرات فلا يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : نعم ، قال : انها الصلوات الخمس .

رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ نَصِباً بِالصَّلَاةِ [1] بَعْـدَ ٱلتَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ « وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا » فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ .

الزكاة

ثُمَّ إِنَّ ٱلزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ ٱلصَّلَاةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ ٱلْإِسْلَامِ فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ ٱلنَّفْسِ بِهَا ، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً ، وَمِنَ ٱلنَّارِ حِجَازاً [2] وَوِقَايَةً . فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ [3] ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ . فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ ٱلنَّفْسِ بِهَا ، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا ، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ ، مَغْبُونُ ٱلْأَجْرِ ، ضَالُّ ٱلْعَمَلِ ، طَوِيلُ ٱلنَّدَمِ .

الامانة

ثُمَّ أَدَاءَ ٱلْأَمَانَةِ ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى ٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْمَبْنِيَّةِ ، وَٱلْأَرَضِينَ ٱلْمَدْحُوَّةِ [4] ، وَٱلْجِبَالِ ذَاتِ ٱلطُّولِ ٱلْمَنْصُوبَةِ ـ فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا . وَلَوِ ٱمْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ

(١) نصبا ـ بفتح فكسر ـ أي تعبا .
(٢) [حجازاً أي حاجزاً ومانعاً] .
(٣) أي من أعطى الزكاة فلا تذهب نفسه مع ما أعطى تعلقاً به ولهفاً عليه . ومغبون الأجر : منقوصه .
(٤) المدحوة : المبسوطة .

لَامْتَنَعْنَ ـ وَلٰـكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ ٱلْعُقُوبَةِ ، وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ ، وَهُوَ ٱلْإِنْسَانُ « إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً » .

علم الله تعالى

إِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا ٱلْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ . لَطُفَ بِهِ خُبْراً[1] ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً ، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في معاويه]

وَٱللّٰهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي ، وَلٰـكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ . وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ ٱلْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى ٱلنَّاسِ ، وَلٰـكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ ، وَكُلُّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ . وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ .

وَٱللّٰهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ ، وَلَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ[2] .

---

(١) مقترفون أي مكتسبون . والخبر بضم الخاء: العلم. والله لطيف العلم بما يكسبه الناس أي دقيقه كأنه ينفذ في سرائرهم كما ينفذ لطيف الجواهر في مسام الأجسام بل هو أعظم من ذلك . والعيان – بكسر العين – المعاينة والمشاهدة .

(٢) لا استغمز مبني للمجهول أي لا استضعف بالقوة الشديدة . والمعنى لا يستضعفني شديد القوة . والغمز – محركة – الرجل الضعيف .

ومن كلام له عليه السلام

[يعظ بسلوك الطريق الواضح]

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ [1] ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ .

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَاءُ وَالسُّخْطُ [2] . وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا [3] فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ » فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ [4] .

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ [5] !

---

(١) المائدة هي مائدة الدنيا فلا تغرنكم رغباتها فتنضم بكم مع الضالين في محبتها فذلك متاع قليل .

(٢) أي يجمعهم في استحقاق العقاب فان الراضي بالمنكر كفاعله ومن لم ينه عنه فهو به راض .

(٣) [أي عموه بالرضا عما فعل عاقر الناقة بعقرها] .

(٤) خارت : صوتت كخوار الثور . والسكة المحماة حديدة المحراث إذا احميت في النار فهي أسرع غوراً في الارض الخوارة أي السهلة اللينة ، وقد يكون لها صوت شديد إذا كان في الأرض شيء من جذور النبات . يشتد الصوت كلما اشتدت السرعة .

(٥) [لا تخفى بلاغة التعبير في قوله وقع في التيه دون ان يقول ضل في التيه فان الوقوع أشد عثرة من الضلال وأدل على عظم الكبوة] .

ومن كلام له عليه السلام

عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ عَنِّي وَعَنِ ٱبْنَتِكَ ٱلنَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَٱلسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ[1]، قَلَّ، يَا رَسُولَ ٱللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي[2]، إِلَّا أَنَّ لِي فِي ٱلتَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ[3]، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ، إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَلَقَدِ ٱسْتُرْجِعَتِ ٱلْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ ٱلرَّهِينَةُ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ[4] إِلَى أَنْ يَخْتَارَ ٱللهُ لِي دَارَكَ ٱلَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ، وَسَتُنَبِّئُكَ ٱبْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا[5]، فَأَحْفِهَا ٱلسُّؤَالَ، وَٱسْتَخْبِرْهَا ٱلْحَالَ، هٰذَا

---

(١) [قيل ان رسول الله ﷺ بشّر ابنته الزهراء وهو في مرضه بانها ستكون أول من يلحق به من أهل بيته] .

(٢) [الصفية المستصفاة دون غيرها . ورقّ أي ضعف] .

(٣) يريد بالتأسي الاعتبار بالمثال المتقدم . والفادح : المثقل . والتعزي : التصبر . وملحودة القبر : الجهة المشقوقة منه .

(٤) [الرهينة تصدق على الذكر والانثى . ومسهد أي] ينقضي بالسهاد وهو السهر .

(٥) هضمها : ظلمها . واحفاء السؤال : الاستقصاء فيه [والهضم الذي يشير اليه الكلام هو ما يتعلق بقصة فدك المعروفة . وما كان الامام يعتقده حقاً له من الخلافة] .

وَلَمْ يَطُلِ ٱلْعَهْدُ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ [1] فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ ، وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ ٱللهُ ٱلصَّابِرِينَ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في التزهيد من الدنيا والترغيب في الآخرة]

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ [2] ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ [3] مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ ، فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ ، إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ : مَا تَرَكَ ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : مَا قَدَّمَ ؟ لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ ! فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً ، وَلَا تُخَلِّفُوا كُلاًّ فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كان كثيراً ما ينادي به اصحابه [يعظهم ويزهدهم]

تَجَهَّزُوا ، رَحِمَكُمُ اللهُ ، فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ ،

---

(١) القالي : المبغض . والسئم من السآمة .

(٢) [مجاز] أي ممر الى الآخرة [والمجاز السلوك اليها اختيارياً كسلوك الصالحين واضطرارياً كعبور الكل بالموت] .

(٣) [أي لا تفضحوا انفسكم أمام عين الله بالمجاهرة بالمعصية أو بإخفائها إذ كل خفي مستتر يراه؛ والمراد بخروج القلب من الدنيا زهادته فيها وبغضه لها] .

وَأَقِلُّوا ٱلْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً[1]، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لَا بُدَّ مِنَ ٱلْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَٱلْوُقُوفِ عِنْدَهَا، وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ ٱلْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ[2]، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ ٱلْأُمُورِ، وَمُعْضِلَاتُ ٱلْمَحْذُورِ، فَقَطِّعُوا عَلَائِقَ ٱلدُّنْيَا، وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى[3].

وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم، بخلاف هذه الرواية.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما، والاستعانة في الامور بهما]

لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً[4]، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً، أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ أَمْ أَيُّ قَسْمٍ ٱسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهِلْتُهُ أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ.

---

(١) العرجة — بالضم — اسم من التعريج بمعنى حبس المطية على المنزل أي اجعلوا ركونكم اليها قليلا. والكؤود: الصعبة المرتقى.

(٢) ملاحظ المنية: منبعث نظرها. ودانية: قريبة. ونشبت: علقت بكم.

(٣) استظهروا: استعينوا.

(٤) نقمتما أي غضبتما ليسير، و [أرجأتما] أي أخرتما مما يرضيكما كثيراً لم تنظرا اليه.

وَاللهِ ما كَانَتْ لي في الخِلافَةِ رَغْبَةٌ ، وَلا في الوِلايَةِ إِرْبَةٌ[1] ، وَلكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُوني إِلَيْها ، وَحَمَلْتُمُوني عَلَيْها ، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ[2] نَظَرْتُ إِلى كِتابِ اللهِ وَما وَضَعَ لَنا ، وَأَمَرَنا بِالحُكْمِ بِهِ فاتَّبَعْتُهُ ، وَما اسْتَنَّ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَسَلَّمَ فَاقْتَدَيْتُهُ ، فَلَمْ أَحْتَجْ في ذٰلِكَ إِلى رَأْيِكُما ، وَلا رَأْيِ غَيْرِكُما ، وَلا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ ، فَأَسْتَشِيرَكُما وَإِخْوانِي المُسْلِمِينَ ، وَلَوْ كانَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُما ، وَلا عَنْ غَيْرِكُما ، وَأَمَّا ما ذَكَرْتُما مِنْ أَمْرِ الأُسْوَةِ[3] ، فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنا فِيهِ بِرَأْيِي ، وَلا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي ، بَلْ وَجَدْتُ أَنا وَأَنْتُما ما جاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – قَدْ فُرِغَ مِنْهُ فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُما فِيما قَدْ فَرَغَ اللهُ مِنْ قَسْمِهِ ، وَأَمْضى فِيهِ حُكْمَهُ ، فَلَيْسَ لَكُما ، وَاللهِ ، عِنْدِي وَلا لِغَيْرِكُما في هٰذا عُتْبى[4] . أَخَذَ اللهُ بِقُلُوبِنا وَقُلُوبِكُمْ إِلى الحَقِّ ، وَأَلْهَمَنا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ .

ثم قال عليه السلام : رَحِمَ اللهُ امْرَأً رَأى حَقّاً فَأَعانَ عَلَيْهِ ، أَوْ رَأى جَوْراً فَرَدَّهُ ، وَكانَ عَوْناً بِالحَقِّ عَلى صاحِبِهِ .

---

(١) الاربة – بكسر – الغرض والطلبة .

(٢) [أفضت إليّ : وصلت : والضمير يعود على الخلافة وإمرة المسلمين] .

(٣) الاسوة ههنا التسوية بين المسلمين في قسمة الاموال ، وكان ذلك قد أغضبهما على ما روي [إذ كانا يريدان ان يفضلهما في العطاء فأبى] .

(٤) [العتبى : الرجوع عن الاساءة] .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين
[قاله يؤدب قومه ويرشدهم الى السيرة الحسنة]

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ : اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلالَتِهِمْ ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ [1] .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[في بعض ايام صفين وقد رأى الحسن ابنه عليه السلام يتسرع الى الحرب]

امْلِكُوا عَنِّي هٰذَا الْغُلامَ لا يَهُدَّنِي [2] ، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهٰذَيْنِ - يَعْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ - عَلَى الْمَوْتِ لِئَلاَّ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -

قال السيد الشريف : وقوله عليه السلام « املكوا عني هذا الغلام »

---

(١) [ذات البين : قيل انها حقيقة الفرقة والخلاف ، وإصلاحها يكون بابدال الالفة بها] الارعواء : النزوع عن الغي والرجوع عن وجه الخطأ . ولهج به أي أولع به [واستمر دائباً عليه] .

(٢) املكوا عني أي خذوه بالشدة وأمسكوه لئلا يهدني أي يهدمني ويقوض أركان قوتي بموته في الحرب . ونفس به - كفرح - أي ضن به ، أي أبخل بالحسن والحسين على الموت .

من أعلى الكلام وافصحه .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلامُ

[قاله لما اضطرب عليه اصحابه في امر الحكومة]

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ حَتَّى نَهَكَتْكُمُ الْحَرْبُ [1] ، وَقَدْ ، وَاللهِ ، أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ [2] .

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً ، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً ، وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ [3] .

وَمِن كَلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلامُ

[بالبصرة ، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي — وهو من اصحابه — يعوده ، فلما رأى سعة داره قال :]

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هٰذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا ؟ أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا

---

(١) نهكته الحمى : أضعفته وأضنته ، أي كنتم مطيعين حتى أضعفتكم الحرب فجبنتم مع انها في غيركم أشد تأثيراً . وقد ألزمه قومه بقبول التحكيم فالتزم باجابتهم فكأنهم أمروه ونهوه فامتثل لهم .

(٢) [أخذت منكم وتركت : كناية عن تصرف الحرب فيهم بوجوه التصرف كما تريد وهي كالعدوّ لهم] .

(٣) [أي لم يعد لي ان أكرهكم على الحرب لتنصفوا انفسكم بها وان كنتم تكرهونها . وهو كلام في معرض التوبيخ لهم على رضاهم بحكم الحكمين] .

فِي ٱلآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ ؟! وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا ٱلآخِرَةَ : تَقْرِي فِيهَا ٱلضَّيْفَ وَتَصِلُ فِيهَا ٱلرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا ٱلْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا [1] فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا ٱلآخِرَةَ [2] .

فقال له العلاء : يا أمير المؤمنين ، أشكو إليك أخي عاصمَ بنَ زياد .

قال وما له ؟ قال : لبس العباءة وتخلى عن الدنيا . قال عليّ به ، فلما جاء قال :

يا عُدَيَّ نَفْسِهِ [3] لَقَدِ ٱسْتَهَامَ بِكَ ٱلْخَبِيثُ [4] ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ ، أَتَرَى ٱللهَ أَحَلَّ لَكَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا ؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى ٱللهِ مِنْ ذٰلِكَ !

قال : يا أمير المؤمنين ، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك ! قال :

وَيْحَكَ ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ ، إِنَّ ٱللهَ فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ ٱلْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ ٱلنَّاسِ كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِٱلْفَقِيرِ فَقْرُهُ [5] .

---

(١) أطلع الحق مطلعه : أظهره حيث يجب ان يظهر [ومطالع الحقوق وجوهها الشرعية] .

(٢) [الكلام في معرض التهكم]

(٣) عدى – تصغير عدو – وفي هذا الكلام بيان ان لذائذ الدنيا لا تبعد العبد عن الله لطبيعتها ولكن لسوء القصد فيها .

(٤) [استهام بك أي زيّن الهيام اليك . والخبيث : الشيطان] .

(٥) يقدروا أنفسهم : أي يقيسوا أنفسهم بالضعفاء ليكونوا قدوة للغني في الاقتصاد وصرف الاموال في وجوه الخير ومنافع العامة وتسلية للفقير على فقره حتى لا يتبيغ أي يهيج به ألم الفقر فيهلكه . وقد روى المعنى بتمامه بل بأكثر تفصيلا عنه كرم الله وجهه في عبارة أخرى [وهو عليه السلام يرى في هذا الكلام ان يتوسط الناس في معيشتهم أما أغنهم فغير الناس جميعاً]

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وقد سأله سائل عن احاديث البدع ، وعما في ايدي الناس من اختلاف الخبر[1] فقال عليه السلام :

[وفيه يقسم أهل الحديث أربعة أقسام]

اختلاف حال الناس

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلاً ، وَصِدْقاً وَكَذِباً ، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً ، وَعَامّاً وَخَاصّاً ، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً ، وَحِفْظاً وَوَهْماً وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً ، فَقَالَ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ :

المنافقون

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ ، مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلامِ ، لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ[2] يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مُتَعَمِّداً ، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا

(١) الخبر : الحديث المروي عن النبي ﷺ [وأحاديث البدع أي الأحاديث المبتدعة بعد رسول الله] .

(٢) لا يتأثم أي لا يخاف الاثم ، ولا يتحرج : لا يخشى الوقوع في الحرج وهو الجرم .

مِنْهُ ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ، وَلٰكِنَّهُمْ قَالُوا : صَاحِبُ رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ رَأَى ، وَسَمِعَ مِنْهُ ، وَلَقِفَ عَنْهُ[1] فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ ٱللّٰهُ عَنِ ٱلْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ ـ عَلَيْهِ وَآلِهِ ٱلسَّلَامُ ـ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ ٱلضَّلَالَةِ ، وَٱلدُّعَاةِ إِلَى ٱلنَّارِ بِٱلزُّورِ وَٱلْبُهْتَانِ ، فَوَلَّوْهُمُ ٱلْأَعْمَالَ ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَى رِقَابِ ٱلنَّاسِ ، وَأَكَلُوا بِهِمُ ٱلدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا ٱلنَّاسُ مَعَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ ٱللّٰهُ ، فَهٰذَا أَحَدُ ٱلْأَرْبَعَةِ[2] .

الخاطئون

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللّٰهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَوَهِمَ فِيهِ[3] وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً ، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ ، وَيَقُولُ : أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ فَلَوْ عَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذٰلِكَ لَرَفَضَهُ !

أهل الشبهة

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ : سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ

---

(١) لقف : تناول وأخذ عنه .

(٢) فهو، أي من عصم الله، أحد الأربعة: وهو خيرهم، الرابع.

(٣) وهم : غلط وأخطأ .

شَيْئًا يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَحَفِظَ ٱلْمَنْسُوخَ ، وَلَمْ يَحْفَظِ ٱلنَّاسِخَ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ ، وَلَوْ عَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ .

الصادقون الحافظون

وَآخَرُ رَابِعٌ : لَمْ يَكْذِبْ عَلَى ٱللَّهِ ، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ ٱللَّهِ ، وَتَعْظِيمًا لِرَسُولِ ٱللَّهِ – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – وَلَمْ يَهِمْ [1] بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ : لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ ، فَحَفِظَ ٱلنَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ ، وَحَفِظَ ٱلْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ [2] وَعَرَفَ ٱلْخَاصَّ وَٱلْعَامَّ ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ ، وَعَرَفَ ٱلْمُتَشَابِهَ وَمُحْكَمَهُ [3] .

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ ٱللَّهِ – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – ٱلْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ : فَكَلَامٌ خَاصٌّ ، وَكَلَامٌ عَامٌّ ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى ٱللَّهُ ، سُبْحَانَهُ ، بِهِ ، وَلَا مَا عَنَى رَسُولُ ٱللَّهِ – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – فَيَحْمِلُهُ ٱلسَّامِعُ ، وَيُوَجِّهُهُ عَلَى

---

(١) لم يهم أي لم يخطيء ولم يظن خلاف الواقع [وعلى وجهه أي كما كان بحرفه ومعناه وغرضه الذي قيل فيه] .

(٢) جنّب أي تجنب .

(٣) أي عرف المتشابه من الكلام وهو ما لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم . ومحكم الكلام أي صريحه الذي لم ينسخ .

غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ ، وَمَا قُصِدَ بِهِ ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ - صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ ٱلْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِيءُ فَيَسْأَلَهُ - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - حَتَّى يَسْمَعُوا ، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذٰلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ ، فَهٰذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ ٱلنَّاسُ فِي ٱخْتِلَافِهِمْ ، وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[في عجيب صنعة الكون]

وَكَانَ مِنِ ٱقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ ٱلْبَحْرِ ٱلزَّاخِرِ ٱلْمُتَرَاكِمِ ٱلْمُتَقَاصِفِ يَبَساً جَامِداً (١) ، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً (٢) فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمٰوَاتٍ بَعْدَ ٱرْتِتَاقِهَا ، فَٱسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ ، وَأَرْسَى أَرْضاً يَحْمِلُهَا

---

(١) زخر البحر - كمنع - زخوراً ، وتزخر : طمى وامتلأ . والمتقاصف : المتزاحم كأن أمواجه في تزاحمها يقصف بعضها بعضاً أي يكسره . واليبس - بالتحريك - اليابس .

(٢) فطر منه أي من اليبس . والاطباق طبقات مختلفة في تركيبها إلا انها كانت رتقا يتصل بعضها ببعض ففتقها سبعاً وهي السموات وقف كل منها حيث مكنه الله على حسب ما أودع فيه من السر الحافظ له فاستمسكت بأمر الله التكويني ، وقامت على حده أي حد الأمر الالهي ، وليس المراد من البحر هذا الذي نعرفه ولكن مادة الاجرام قبل تكاثفها فإنما كانت مائرة مائجة أشبه بالبحر بل هي البحر الأعظم .

الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ ، وَالْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ[1] ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا ، وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادِهَا[2] ، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا ، وَأَلْزَمَهَا قَرَارَتَهَا . فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا[3] ، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا ، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا[4] ، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا[5] ، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً ، وَأَرَّزَهَا فِيهَا أَوْتَاداً ، فَسَكَنَتْ عَلَى

---

(١) المراد من الأخضر الحامل للأرض هو البحر . والمثعنجر – بفتح الجيم – معظم البحر وأكثر مواضعه ماء، وبكسر الجيم هو السائل مطلقاً من ماء أو دمع. والقمقام – بفتح القاف وتضم – البحر أيضاً ، وهو مسخر لقدرة الله تعالى . وحمله للأرض احاطته بها كأنها قارة فيه .

(٢) جبل : خلق . والجلاميد الصخور الصلبة . والنشوز : جمع نشز – بسكون الشين وفتحها وفتح النون – ما ارتفع من الأرض . والمتون : جمع متن : ما صلب منها وارتفع . والأطواد عطف على المتون وهي عظام الناشئات . وقرارتها ما استقرت فيه كمراسيها ما رست أي رسخت فيه .

(٣) قوله فانهد الخ كأن النشوز والمتون والأطواد كانت في بداية امرها على ضخامتها غير ظاهرة الامتياز ولا شامخة الارتفاع عن السهول حتى إذا ارتجت الارض بما أحدثت يد القدرة الالهية في بطونها نهدت الجبال عن السهول فانفصلت كل الانفصال وامتازت بقواعد سائخة أي غائصة في المتون من أقطار الأرض . ومواضع الانصاب : جمع نصب – بضمتين – وهو ما جعل علماً يشهد فيقصد ، فان الجبال إنما تشامخت من مرتفع الأرض وصلبها .

(٤) قلة الجبل : أعلاه . وأشهقها : جعلها شاهقة اي بعيدة الارتفاع .

(٥) أطال انشازها اي متونها المرتفعة في جوانب الأرض . وأرزها – بالتشديد – ثبتها .

حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا[1] ، أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا ، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا ، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا ، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً[2] وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً ! فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَا يَجْرِي[3] ، وَقَائِمٍ لَا يَسْرِي ، تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ[4] . وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ (إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

[كان يستنهض بها أصحابه الى جهاد اهل الشام في زمانه]

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ ، وَالْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ ، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ[5] ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ ، فَإِنَّا

---

(١) أي ان الأرض على حركتها المخصوصة بها سكنت عن ان تميد اي تضطرب بأهلها وتتزلزل بهم إلا ما يشاء الله في بعض مواضعها لبعض الاسباب . وتسيخ ـ كتسوخ ـ اي تغوص في الهواء فتنخسف . وزوالها عن مواضعها : تحولها عن مركزها المعين لها .

(٢) المهاد : الفرش وما تهيئه لنوم الصبي .

(٣) لا يجري : لا يسيل في الهواء .

(٤) تكركره : تذهب به وتعود . وشبه اشتمال السحاب على خلاصة مـاء البحر وهو بخاره بمخضها له كأنه لبن تخرج زبده . والذوارف : جمع ذارفة ، من ذرف الدمع إذا سال .

(٥) [النكوص : الرجوع على الاعقاب] .

نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً [1] ، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمٰوَاتِكَ ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ ، وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ [2] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أسماء الله الحسنى

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ [3] الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ ، الْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ ، الْعَالِمِ بِلَا اكْتِسَابٍ ، وَلَا ازْدِيَادٍ ، وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ ، الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ ، الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلَمُ ، وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ ، وَلَا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ [4] وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْأَبْصَارِ ، وَلَا عِلْمُهُ بِالْأَخْبَارِ .

---

(١) أكبر الشاهدين هو النبي ﷺ او القرآن .

(٢) [وقد جرت هذه الخطبة مجرى الترغيب في القتال معه وشحذ النفوس المتخاذلة عنه] .

(٣) شبه – بالتحريك – أي مشابهة [والغالب لمقال الواصفين اي لا يستطيع الواصفون مهما دققوا ان يصلوا الى وصفه تعالى] .

(٤) رهقه – كفرح – غشيه [والامام عليه السلام يوضح معاني بعض أسماء الله الحسنى في كلامه هذا أبدع توضيح] .

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي الاِصْطِفَاءِ، فَرَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ[1]، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلاَلَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

ومن خطبة له عليه السلام

[يصف جوهر الرسول ويصف العلماء ويعظ بالتقوى]

جوهر الرسول الكريم

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ، وَحَكَمٌ فَصَلَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ اللهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ[2] جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ[3] وَلاَ ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ.

أَلاَ وَإِنَّ اللهَ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلاً، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَلِلطَّاعَةِ

---

(١) الرتق : سد الفتق ، والمفاتق مواضع الفتق وهي ما كان بين الناس من فساد وفي مصالحهم من اختلال . وساور به المغالب أي واثب بالنبي ﷺ كل من يغالب الحق . والحزونة غلظ في الأرض . والمراد سهل به خشونة الأخلاق الرديئة والعقائد الفاسدة بتهذيب الطباع وتنوير العقول حتى سرح به الضلال أي أبعده عن يمين السالكين نهج الاعتدال وشمالهم ، وكأنه يريد جانبي الافراط والتفريط . والابعاد تجنبها . ولزوم العدل الوسط .

(٢) نسخ الخلق نقلهم بالتناسل عن أصولهم فجعلهم بعد الوحدة في الأصول فرقا .

(٣) أي لم يكن لعاهر سهم في أصوله . والعاهر من يأتي غير حله كالفاجر . وضرب في الشيء صار له نصيب منه .

عِصَماً [1] وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِنَ ٱللهِ : يَقُولُ عَلَى ٱلْأَلْسِنَةِ ، وَيُثَبِّتُ ٱلْأَفْئِدَةَ . فِيهِ ، كَفَاءٌ لِمُكْتَفٍ [2] وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ .

صفة العلماء

وَٱعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ [3] يَصُونُونَ مَصُونَهُ ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ ، يَتَوَاصَلُونَ بِالْوَلَايَةِ [4] وَيَتَلَاقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ [5] ، لَا تَشُوبُهُمُ ٱلرِّيبَةُ [6] وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ ٱلْغِيبَةُ ، عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ [7] فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ ، وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ ، فَكَانُوا

---

(١) العصم ـ بكسر ففتح ـ : جمع عصمة وهي ما يعتصم به . وعصم الطاعات الاخلاص لله وحده .

(٢) الكفاء ـ بالفتح : الكافي أو الكفاية .

(٣) المستحفظين بصيغة اسم المفعول: الذين أودعوا العلم ليحفظوه.

(٤) الولاية : الموالاة والمصافاة .

(٥) الروية فعيلة : بمعنى فاعلة أي يروي شرابها من ظما التباعد والنفرة . وربة ـ بكسر الراء وتشديد الباء ـ الواحدة من الري : زوال العطش .

(٦) لا يخالطهم الريب والشك في عقائدهم ولا تسرع الغيبة فيهم بالافساد لامتناعهم عن الاغتياب وعدم اصغائهم اليه .

(٧) عقد خلقهم أي انه وصل خلقهم الجسماني وأخلاقهم النفسية بهذه الصفات وأحكم صلتها بها حتى كأنها معقودان بها .

كَتَفَاضُلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَى [1] فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ، وَهَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ [2].

العظة بالتقوى

فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا، وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً [3] قَبْلَ حُلُولِهَا، وَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ، فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً [4] فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ، وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ [5] فَطُوبَى لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ، وَبَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ، وَتُقْطَعَ [6]

---

(١) أي كانوا اذا نسبتهم الى سائر النـاس رأيتهم يفضلونهم ويمتازون عليهم كتفاضل البذر فان البذر يعتنى بتنقيته ليخلص النبات من الزوان ويكون النوع صافياً لا يخالطه غيره، وبعد التنقية يؤخذ منه ويلقى في الارض فالبذر يكون أفضل الحبوب وأخلصها.

(٢) التهذيب: التنقية. والتمحيص الاختبار.

(٣) الكرامة هنا النصيحة اي اقبلوا نصيحة لا ابتغي عليها أجراً إلا قبولها. والقارعة: داعية الموت أو القيامة تأتي بغتة.

(٤) حتى غـاية القصر والقلة فقصير الايام وما بعده ينتهي باستبدال المنزل بمنزل آخر.

(٥) المتحول – بفتح الواو مشددة – ما يتحول اليه. ومعـارف المنتقل المواضع التي يعرف الانتقال اليها.

(٦) أي باستنارته بارشاد من أرشده وطاعة الهادي الذي أمره قبل ان تغلق أبواب الهدى بالموت. والحوبة – بفتح الحاء – الاثم واماطتها تنحيتها.

أَسْبَابُهُ ، وَأُسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ ، وَأَمَاطَ الْحَوْبَةَ ، فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ .

ومن دعاء له ، عليه السلام ، كان يدعو به كثيراً [وفيه يعترف بنعم عشرة]

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلَا سَقِيماً [١] وَلَا مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ وَلَا مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي ، وَلَا مَقْطُوعاً دَابِرِي [٢] ، وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي ، وَلَا مُنْكِراً لِرَبِّي ، وَلَا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي ، وَلَا مُلْتَبِساً عَقْلِي [٣] ، وَلَا مُعَذَّباً بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي . أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي ، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي . وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي ، وَلَا أَتَّقِي إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ ، أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي ، وَأَوَّلَ

---

(١) ميتاً حال من المجرور وأصبح تاماً [والمعنى انه اصبح معافى صحيحاً والنعم العشرة هي الحياة والصحة والسلامة من آفات العروق ومن الاخذ بالذنب وقطع النفس والنسل ثم الارتداد والاستيحاش من الايمان واختلاط العقل والتعذيب بالخسف .

(٢) [الدابر : بقية الرجل من ولده ونسله ، والدابر الظهر و كني بقطعه عن الدواعي التي من شأنها قطع القوة وإبادة النسل .]

(٣) [الالتباس : الاختلاط] .

وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي .

اَللّٰهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ ، أَوْ نَفْتَتِنَ عَنْ دِينِكَ ، أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا [1] دُونَ ٱلْهُدَى ٱلَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خطبها بصفين

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ جَعَلَ ٱللّٰهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ ٱلْحَقِّ مِثْلُ ٱلَّذِي لِي عَلَيْكُمْ ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي ٱلتَّوَاصُفِ [2] وَأَضْيَقُهَا فِي ٱلتَّنَاصُفِ ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ . وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذٰلِكَ خَالِصاً لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى ٱلْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ ٱلثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ ٱلْمَزِيدِ أَهْلُهُ .

---

(١) التتابع : ركوب الامر على خلاف الناس والاسراع الى الشر واللجاجة يستعبد من لجاجة الهوى به فيما دون الهدى .

(٢) يتسع القول في وصفه حتى إذا وجب على الأنسان الواصف له فر من أدائه ولم ينتصف من نفسه كما ينتصف لها .

ثُمَّ جعلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً لِبَعْضِ ٱلنَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافأُ في وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ ٱفْتِرَضَهَا بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ [1]. وَأَعْظَمُ مَا ٱفْتَرَضَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ تِلْكَ ٱلْحُقُوقِ حَقُّ ٱلْوَالِي عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ ٱلرَّعِيَّةِ عَلَى ٱلْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا ٱللهُ - سُبْحَانَهُ - لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ ٱلْوُلَاةِ، وَلَا تَصْلُحُ الوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ ٱلرَّعِيَّةِ، فَإِذَا أَدَّتِ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَى ٱلْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى ٱلْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ ٱلْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ ٱلدِّينِ، وَٱعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ ٱلْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا ٱلسُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ ٱلزَّمَانُ، وَطُمِعَ [2] فِي بَقَاءِ ٱلدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ ٱلْأَعْدَاءِ، وَإِذَا غَلَبَتِ ٱلرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ ٱلْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، ٱخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ ٱلْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ ٱلْجَوْرِ، وَكَثُرَ ٱلْإِدْغَالُ فِي ٱلدِّينِ وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ ٱلسُّنَنِ [3]، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ ٱلْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ ٱلنُّفُوسِ، فَلَا

---

(١) فحقوق العباد التي يكافيء بعضها بعضاً ولا يستحق أحـــد منها شيئاً إلا بادائه مكافأة ما تستحقه هي من حقوقه تعالى أيضاً

(٢) ذل الطريق - بكسر الذال - : محجته. و « جرت أمور الله أذلالها، وعلى أذلالها » أي : وجوهها، والسنن : جمع سنة، وطمع : مبنى للمجهول .

(٣) الادغال في الأمر : إدخال ما يفسده فيه. ومحاج السنن : أوساط طرقها.

يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ[1] ، وَلا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ !!

فَهُنَالِكَ تَذِلُّ ٱلْأَبْرَارُ ، وَتَعِزُّ ٱلْأَشْرَارُ ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ ٱللهِ عِنْدَ ٱلْعِبَادِ ، فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذٰلِكَ وَحُسْنِ ٱلتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ – وَإِنِ ٱشْتَدَّ عَلَى رِضَاءِ ٱللهِ حِرْصُهُ ، وَطَالَ فِي ٱلْعَمَلِ ٱجْتِهَادُهُ – بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا ٱللهُ أَهْلُهُ مِنَ ٱلطَّاعَةِ لَهُ وَلٰكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ ٱللهِ عَلَى ٱلْعِبَادِ ٱلنَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ ، وَٱلتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ ٱلْحَقِّ بَيْنَهُمْ ، وَلَيْسَ ٱمْرُؤٌ – وَإِنْ عَظُمَتْ فِي ٱلْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ ، وَتَقَدَّمَتْ فِي ٱلدِّينِ فَضِيلَتُهُ – بِفَوْقِ أَنْ يُعَاوَنَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ ٱللهُ مِنْ حَقِّهِ[2] ، وَلَا ٱمْرُؤٌ – وَإِنْ صَغَّرَتْهُ ٱلنُّفُوسُ ، وَٱقْتَحَمَتْهُ ٱلْعُيُونُ – بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذٰلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ[3] .

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له . فقال عليه السلام :

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ ٱللهِ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ – لِعِظَمِ ذٰلِكَ – كُلُّ مَا سِوَاهُ[4] ،

---

(١) أي : إذا عطل الحق لا تأخذ النفوس وحشة أو استغراب ، لتعودها على تعطيل الحقوق وأفعال الباطل .

(٢) « يفوق أن يعان – الخ » أي : بأعلى من ان يحتاج إلى الاعانة ، أي : بغنى عن المساعدة .

(٣) اقتحمته : احتقرته . « بدون أن يعين » أي : بأعجز من ان يساعد غيره .

(٤) « كل » فاعل « يصغر » أي : يصغر عنده كل ما سوى الله لعظم ذلك الجلال الالهي .

وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ ٱللهِ عَلَيْهِ [١]، وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ ٱللهِ عَلَى أَحَدٍ إِلا ٱزْدَادَ حَقُّ ٱللهِ عَلَيْهِ عِظَماً، وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ ٱلْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ ٱلنَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ ٱلْفَخْرِ [٢]، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى ٱلْكِبْرِ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ ٱلْإِطْرَاءَ، وَٱسْتِمَاعَ ٱلثَّنَاءِ [٣] وَلَسْتُ - بِحَمْدِ ٱللهِ - كَذٰلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذٰلِكَ لَتَرَكْتُهُ ٱنْحِطَاطاً لِلهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ ٱلْعَظَمَةِ وَٱلْكِبْرِيَاءِ، وَرُبَّمَا ٱسْتَحْلَى ٱلنَّاسُ ٱلثَّنَاءَ بَعْدَ ٱلْبَلَاءِ [٤]، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى ٱللهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ ٱلتَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا [٥]، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا، فَلَا

---

(١) وأحق المعظمين لله بتصغير ما سواه: هو الذي عظمت نعمة الله عليه.

(٢) أصل السخف رقة العقل وغيره، أي: ضعفه. والمراد أدنى حالة للولاة أن يظن بهم الصالحون أنهم يحبون الفخر ويبنون أمورهم على أساس الكبر.

(٣) كره الامام أن يخطر ببال قومه كونه يحب الاطراء، أي: المبالغة في الثناء عليه، فان حق الثناء لله وحده، فهو رب العظمة والكبرياء.

(٤) البلاء: إجهاد النفس في إحسان العمل.

(٥) «لاخراجي» متعلق بتثنوا. والتقية: الخوف، والمراد لازمه، وهو العقاب. و «من» متعلق باخراجي، أي: إذا أخرجت نفسي من عقاب الله في حق من الحقوق أو قضاء فريضة من الفرائض فلا تثنوا على ذلك، فانما وقيت نفسي، وعملت لسعادتي، على أني ما أديت الواجب علي في ذلك، وما أجزل هذا القول وأجمعه.

تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ ٱلْجَبَابِرَةُ ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْبَادِرَةِ ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ[1] ، وَلَا تَظُنُّوا بِي ٱسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي ، وَلَا ٱلْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي ، فَإِنَّهُ مَنِ ٱسْتَثْقَلَ ٱلْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ ٱلْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ ٱلْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ ، فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِىءَ ، وَلَا آمَنُ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ ٱللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي[2] ، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ، : يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ ٱلضَّلَالَةِ بِالْهُدَى ، وَأَعْطَانَا ٱلْبَصِيرَةَ بَعْدَ ٱلْعَمَى .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[في التظلم والتشكي من قريش]

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ[3] فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا

---

(١) ينهاهم عن مخاطبتهم له بألقاب العظمة كما يلقبون الجبابرة ، وعن التحفظ منه بالتزام الذلة والموافقة على الرأي صواباً او خطأ كما يفعل مع أهل البادرة – أي : الغضب – و « صانعه » ، إذا أتى ما يرضيه وإن كان غير راض عنه ، والمصانعة : المداراة .

(٢) يقول : لا آمن الخطأ في افعالي إلا إذا كان يسر الله لنفسي فعلاً هو أشد ملكاً مني فقد كفاني الله ذلك الفعل فأكون على أمن من الخطأ فيه .

(٣) أستعديك : أستعينك ، و « إكفاء الأناء » أي : قلبه ، مجاز عن

رَحِمِي وَأَكْفَأُوا إِنَائِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا أَلَا إِنَّ فِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ ، فَٱصْبِرْ مَغْمُوماً ، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ ، وَلَا ذَابٌّ ، وَلَا مُسَاعِدٌ [١] إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ ٱلْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى ٱلْقَذَى ، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى ٱلشَّجَى ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ ٱلْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ ٱلْعَلْقَمِ ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ ٱلشِّفَارِ [٢] .

قال الشريف ـ رضي الله عنه : وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدمة إلا إني كررته هنا لاختلاف الروايتين :

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه]

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّذِي فِي يَدِي وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ ، كُلُّهُمْ [٣] فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي ، فَشَتَّتُوا

تضييعهم لحقه [في الامامة الذي يرى انه أولى به . وتقول الشيعة ان ذلك الكلام عند تولية أبي بكر ويقول غيرهم انه عند تولية عثمان . وكنى به عن اعراضهم وتفرقهم عنه وذلك من لوازم قلب الاناء] .

(١) الرافد : المعين . والذاب : المدافع . وضننت اي بخلت . والقذى : ما يقع في العين . والشجى : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه يريد به غصة الحزن .

(٢) الشفار : جمع شفرة : حد السيف ونحوه .

(٣) [اشار بالمصر الى البصرة ، وبالذين قدموا على عماله الى طلحة و الزبير وقد تقدم ذكر ذلك مستوفى]

كَلِمَتَهُمْ ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ ، وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً ؛ وَطَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ [1] فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا ٱللهَ صَادِقِينَ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهٰذَا ٱلْمَكَانِ غَرِيباً ! أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ ٱلْكَوَاكِبِ ، أَدْرَكْتُ وِتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ [2] وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ [3] فَوُقِصُوا دُونَهُ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في وصف السالك الطريق الى الله سبحانه]

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ [4] وَأَمَاتَ نَفْسَهُ ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ ، وَلَطُفَ

---

(١) العض على السيوف مجاز عن ملازمة العمل بها .

(٢) الوتر : الثأر ، وطلحة كان من بني عبد منـاف كالزبير ، وقاتله مروان بن الحكم وهما في عسكر واحد في حرب الجمل رماه بسهم على غرة انتقاماً لعثمان رضي الله عنه . وافلته الشيء : خلص منه فجأة . وجمح : قبيلة عربية كان من أعيانها ، أي عظمائها ، جماعة مع أم المؤمنين في واقعة الجمل ولم يصبهم ما أصاب غيرهم . ومن هذه القبيلة صفوان ابن أمية بن خلف واسمه عبد الله ، وعبد الرحمن بن صفوان .

(٣) أتلعوا أي رفعوا أعناقهم ومدوها لتناول أمر وهو مناوأة أمير المؤمنين على الخلافة فوقصوا أي كسرت أعناقهم دون الوصول اليه .

(٤) حكاية عن صاحب التقوى . واحياء العقل بالعلم والفكر والنفوذ في الاسرار

غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ ٱلْبَرْقِ، فَأَبَانَ لَهُ ٱلطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ ٱلْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ، وَدَارِ الإِقَامَةِ، وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ ٱلْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ بِمَا ٱسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله بعد تلاوته: (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر)[1]

يَالَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ وَزَوْراً مَا أَغْفَلَهُ[2]، وَخَطَراً مَا أَفْظَعَهُ، لَقَدِ ٱسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ[3] وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ!

الالهية. وإماتة النفس بكفها عن شهواتها. والجليل: العظيم. ودق أي صغر حتى خفي أو كاد. وبروق اللامع من نور المقام الالهي بوضح طريق السعادة فلا يزال السالك يتنقل من مقام عرفان وفضل إلى مقام آخر من مقامات الكمال، وهذا هو التدافع من باب الى باب حتى يصل الى أعلى ما يمكن له وهناك سعادته ومقر نعيمه الابدي.

(١) ألهاه عن الشيء: صرفه عنه باللهو أي صرفكم عن الله اللهو بمكاثرة بعضكم لبعض وتعديد كل منكم مزايا أسلافه حتى بعد زيارتكم المقابر.

(٢) المرام: الطلب بمعنى المطلوب. والزور بالفتح: الزائرون وهم يرومون نيل الشرف بمن تقدمهم وتلك غفلة، فانما ينالون الشرف بما يكون من موجباته في ذواتهم فما أبعد ما يرومون بغفلتهم.

(٣) استخلوهم أي وجدوهم خالين. والمدكر: الأدكار بمعنى الاعتبـــار أي أخلوا أسلافهم من الاعتبار ثم قلب المعنى في عبارة الامام فكان أخلوا الادكار من آبائهم مبالغة في تقريعهم حيث أخلوهم منه وهو محيط بهم، وأي: صفة لمحذوف تقديره مدكرا. وتناوشوهم تناولوهم بالمفاخرة من مكان بعيد عنها.

أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ ؟! يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ[1] وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ وَلَأَنْ يَكُونُوا عِبَراً، أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً وَلَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ[2]! لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ[3] وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ، وَلَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلَّالاً[4]، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً، تَطَأُونَ فِي هَامِهِمْ[5]، وَتَسْتَثْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا، وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ[6].

أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ وَفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ، الَّذِينَ كَانَتْ[6]

---

(١) خوت : سقط بناؤها وخلت من أرواحها .

(٢) أحجى : أقرب للحجى أي العقل فان موت الآباء دليل الفناء ، ومن عاقبته فناء كيف يفتخر به ؟

(٣) العشوة : ضعف البصر .

(٤) الخاوية : المنهدمة . والربوع : المساكن . والضلال – كعشاق – : جمع ضال .

(٥) هام : جمع هامة أعلى الرأس . وتستثبتون أي تحاولون اثبات ما تثبتون من الأعمدة والأوتاد والجدران في أجسادهم لذهابها تراباً وامتزاجها بالأرض التي تقيمون فيها ما تقيمون . ترتعون : تأكلون وتتلذذون بما لفظوه أي طرحوه وتركوه .

(٦) بواك : جمع باكية . ونوائح : جمع نائحة . وبكاء الايام علـــى السابقين واللاحقين حفظها لما يكون من مصابهم .

(٦) سلف الغاية : السابق اليها ، وغايتهم حد مـا ينتهون اليه وهو الموت . والفراط : جمع فارط ، وهو كالفرط – بالتحريك – متقدم القوم الى الماء ليهيء

لَهُمْ مَقاوِمُ الْعِزِّ ، وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ ، وَسُوَقًا ، سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلاً صُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ ، فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ ، وَضِمَاراً لَا يُوجَدُونَ ، لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ ، وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ ، وَلَا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ ، وَلَا يَأْذَنُونَ [1] لِلْقَوَاصِفِ ، غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ ، وَشُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا ، وَآلافاً فَافْتَرَقُوا [2] ، وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ ، وَلٰكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً [3] ، وَبِالسَّمْعِ صَمَماً ،

لهم موضع الشرب . والمناهل مواضع ما تشرب الشاربة من النهر مثلا . ومقاوم: جمع مقام . والحلبات : جمع حلبة – بالفتح – وهي الدفعة من الخيل في الرهان أو هي الخيل تجتمع للنصرة من كل أوب . والسوق بضم ففتح – جمع سوقة بالضم – بمعنى الرعية .

(١) البرزخ : القبر . والفجوات : جمع فجوة ، وهي الفرجة والمراد منها شق القبر . ولا ينمون من النمو وهو الزيادة من الغذاء . والضمار – ككتاب – المال لا يرجى رجوعه وخلاف العيان . ولا يحفلون – بكسر الفاء – لا يبالون . والرواجف : جمع راجفة : الزلزلة توجب الاضطراب . والقواصف من قصف الرعد اشتدت هدهدته . وأذن له: استمع

(٢) آلافاً : جمع أليف ، أي مؤتلف مع غيره .

(٣) صم يصم – بالفتح فيهما – خرس عن الكلام . وخرس الديار عدم صعود الصوت من سكانها .

وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُونًا ، فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرْعَى سُبَاتٍ [١] ، جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ ، وَأَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى التَّعَارُفِ [٢] ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ ، وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ ، لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَّيْلٍ صَبَاحًا ، وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً .

أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَدًا [٣] ، شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا ، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا فَكِلْتَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ [٤] ، فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ ، فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا [٥] وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ .

لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ [٦] وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ

---

(١) ارتجال الصفة وصف الحال بلا تأمل ، فالواصف لهم باول النظر يظنهم صرعوا من السبات بالضم اي النوم .

(٢) العرى : جمع عروة ، وهي مقبض الدلو والكوز مثلا ، وبليت رثت وفنيت . والمراد زوال نسبة التعارف بينهم .

(٣) الجديدان : الليل والنهار فان ذهبوا في نهار فلا يعرفون له ليلا أو في ليل فلا يعرفون له نهارا .

(٤) الغايتان : الجنة والنار . والمباءة : مكان التبوؤ والاستقرار والمراد منها ما يرجعون اليه في الآخرة وقد مدت الغاية أي أخرت عنه في الدنيا الى مرجع يفوق في سعادته او شقائه كل غاية سما اليها الخوف والرجاء .

(٥) عيوا : عجزوا .

(٦) رجعت فيهم أبصار العبر : نظرت اليهم بعد الموت نظرة ثانيـــة . والعبر جمع عبرة .

الْعُقُولِ ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ ، فَقَالُوا : كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ ، وَخَوَتِ[1] الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى ، وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ ، وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ ، وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ[2] ، فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا ، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا ، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً ، وَلَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً ! فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ ، وَقَدْ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِ فَاسْتَكَّتْ ، وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا[3] ، وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا ، وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَهَا[4] وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا ،

---

(١) كلح : كمنع – كلوحاً – تكشر في عبوس . والنواضر : الحسنة البواسم . وخوت : تهدمت بنيتها وتفوقت أعضاؤها .

(٢) الاهدام : جمع هدم – بكسر الهاء – الثوب البالي او المرقع . وتكاءد الأمر أي شق عليه . وتهكمت : تهدمت . والربوع : أماكن الاقامة . والصموت التي لا تنطق والمراد بها القبور .

(٣) ارتسخ مبالغة في رسخ ، ورسخ الغدير : نش ماؤه أي أخذ في النقصان ونضب ، أي نضب مستودع قوة السماع وذهبت مادته بامتصاص الهوام وهي الديدان هنا . واستكت الاذن : صمّت . وخسف عين فلان : فقأها . وذلاقة الالسن حدتها في النطق .

(٤) عاث : أفسد . والبلى : التحلل والفناء . وسمج الصورة تسميجا قبحها اي أفسد الفناء في كل عضو منهم فقبحه .

مُسْتَسْلِمَاتٍ فلاَ أَيْدٍ تدْفعُ ، وَلاَ قُلُوبٌ تجْزَعُ ، لرَأَيْت أَشْجَانَ قُلُوب ، وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ [١] ، لَهُمْ مِنْ كُلِّ فظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لا تَنْتَقِلُ ، وَغَمْرَةٌ لاَ تنْجَلِي [٢] . وَكَمْ أَكَلَتِ ٱلْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ ، وَأَنِيقِ لَوْنٍ ، كَانَ فِي ٱلدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ ، وَرَبِيبَ شَرَفٍ [٣] ، يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ ، وَيَفْزَعُ إِلَى ٱلسَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ، ضَنًّا بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ [٤] ، وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ ؟! فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ [٥] إِذْ وَطِيءَ ٱلدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ وَنَقَضَتِ ٱلْأَيَّامُ قُوَاهُ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ ٱلْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ [٦] فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ ، وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ

---

(١) لرأيت جواب لو مثلتهم . وأشجان القلوب : همومها . واقذاء العيون ما يسقط فيها فيؤلمها .

(٢) الغمرة : الشدة .

(٣) الانيق : رائق الحسن . والغذي اسم بمعنى المفعول أي مغذى بالنعيم ، والربيب بمعنى المربي ، ربه يربه أي رباه .

(٤) يتشاغل باسباب السرور ليتلهى بها عن حزنه . والسلوة : انصراف النفس عن الالم بتخيل اللذة . ضنا : أي بخلا . وغضارة العيش : طيبه .

(٥) وصف العيش بالغفلة لأنه اذا كان هنيئا يوجبها . والحسك : نبات تعلق قشرته بصوف الغنم ورقه كورق الرجلة أو أدق ، وعند ورقه شوك مازز صلب ذو ثلاث شعب تمثيل لمس الآلام .

(٦) الحتوف : المهلكات ، وأصل الحتف : الموت . من كثب -بالتحريك- أي قرب ، أي توجهت اليه المهلكات على قرب منه . والبث : الحزن . والنجي : المناجي . وخالطه الحزن : مازج خواطره .

مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ [١] ، فَفَزِعَ مَا كَانَ عَوَّدَهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ [٢] وَتحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ ، فَلَمْ يُطْفِيءْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً ، وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً ، وَلَا أعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ [٣] حَتَّى فتَرَ مُعَلِّلُهُ [٤] ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ [٥] وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ : فَقَائِلٌ يَقُولُ هُوَ لِمَا بِهِ [٦] وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ ، يُذَكِّرُهُمْ أُسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ [٧] فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا . وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غَصَصِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ [٨] ، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ

---

(١) آنس: حال من ضمير فيه . والفترات: جمع فترة . انحطاط القوة أي تولد فيه الضعف بسبب العلل حال كونه أشد أنساً بصحته من جميع الاوقات السابقة.

(٢) القار: هنا البارد.

(٣) اي ما طلب تعديل مزاجه بدواء يمازج ما فيه من الطبائع ليعدلها إلا وساعد كل طبيعة على تولد الداء .

(٤) معلل المريض من يسليه عن مرضه بترجية الشفاء كما ان ممرضه من يتولى خدمته في مرضه لمرضه .

(٥) تعايا أهله أي اشتركوا في العجز عن وصف دائه . واختلف الحاضرون بين يدي المريض في الخبر المحزن يكتمونه عنه .

(٦) هو لما به : أي هو مملوك لعلته فهو هالك . والممنى : مخيل الامنية والأياب: الرجوع.

(٧) أسى : جمع أسوة.

(٨) نوافذ الفطنة: ما كان من افكار نافذة أي مصيبة للحقيقة .

فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوابِهِ عَرَفَهُ فَعِيَّ عَنْ رَدِّهِ [1] ، وَدُعاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصامَّ عَنْهُ : مِنْ كَبِيرٍ كانَ يُعَظِّمُهُ ، أَوْ صَغِيرٍ كانَ يَرْحَمُهُ ، وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَراتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ الدُّنْيا [2] .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله عند تلاوته : (رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)

إِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ وَتَعالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاءً لِلْقُلُوبِ ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ [3] ، وَتَنْقادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعانَدَةِ ، وَما بَرِحَ لِلّهِ - عَزَّتْ آلاؤُهُ - فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَزْمانِ الْفَتَراتِ [4] عِبادٌ ناجاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذاتِ عُقُولِهِمْ ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَبْصارِ وَالْأَسْماعِ وَالْأَفْئِدَةِ [5] يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللهِ ، وَيُخَوِّفُونَ مَقامَهُ ، بِمَنْزِلَةِ

---

(١) عي : عجز لضعف القوة المحركة للسان .

(٢) تعتدل أي تستقيم عليها بالقبول والادراك ، أي لغفلتهم عنها لا تتناسب عند عقولهم فيدركوها .

(٣) الذكر : استحضار الصفات الالهية . والوقرة : ثقل في السمع . والعشوة : ضعف البصر .

(٤) الفترة بين العملين زمان بينهما يخلو منهما ، والمراد أزمنة الخلو من الانبياء مطلقاً . وناجاهم أي خاطبهم بالالهام .

(٥) استصبح : أضاء مصباحه أي أضاء مصباح الهدى لهم بنور اليقظة في أبصارهم الخ .

الأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ[1]، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ[2] وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذَٰلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ، وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ: يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ[3]، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ، وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَٰلِكَ، فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الإِقَامَةِ فِيهِ[4]، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَٰلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ. فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ[5]

---

(١) [الأدلة: الذين يدلون المسافرين على الطريق] والفلوات: المفازات والقفار.

(٢) أخذ القصد أي ركب الاعتدال في سلوكه.

(٣) هتف به – كضرب – صاح ودعا. وهتفت الحمامة: صاتت.

(٤) في طول الاقامة حال من أهل البرزخ. والعدات: جمع عدة – بكسر ففتح مخفف – أي كأنما القيامة كشفت لهم عن الوعود التي وعد بها الاخيار والاشرار.

(٥) مقاوم: جمع مقام، مقاماتهم في خطاب الوعظ. والدواوين: جمع ديوان وهو مجتمع الصحف. والدفتر ما يكتب فيه أسماء الجيش وأهل الأعطيات.

وَمجالِسهِمْ ٱلْمَشْهُودَةِ ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمالِهِمْ ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا ، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا ، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ ، فَضَعُفُوا عَنِ الاسْتِقْلَالِ بِهَا ، فَنَشَجُوا نَشِيجاً ، وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً ، يَعِجُّونَ[1] إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَاوِمِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى ، وَمَصَابِيحَ دُجًى ، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ ٱلْكَرَامَاتِ ، فِي مَقَامٍ اطَّلَعَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ[2] رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ ، وَأُسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ ، جَرَحَ طُولُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ[3] ، وَطُولُ ٱلْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ ، لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى ٱللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ ٱلْمَنَادِحُ[4] ، وَلَا

---

(١) أي نسبوا ما صدر عنهم إلى تقصير هممهم عن أداء الواجب عليهم ولم يحولوه على ربهم فجعلوا الأوزار حملا على ظهورهم فأحسوا بالضعف عن الاستقلال بها أي القيام بحملها . ونشج الباكي ينشج – كضرب يضرب – نشيجاً غص بالبكاء في حلقه . والنحيب أشد البكاء . وتجاوبوا به أجاب بعضهم بعضاً يتناحبون . وعج يعج – كضرب ومل – صاح ورفع صوته فهم يصيحون مواقف الندم والاعتراف بالخطأ .

(٢) تنسم النسيم : تشممه . والروح – بالفتح – النسيم أي يتوقعون التجاوز بدعائهم له .

(٣) الأسى : الحزن .

(٤) المنادح : جمع مندوحة ، وهي كالندحة بالضم والفتح . والمنتدح – بفتح الدال – المتسع من الأرض .

يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ .

فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ ، لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله عند تلاوته (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم)

أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً [١] وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً ، لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ .

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ، وَمَا آنَسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ ؟ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ [٢] ، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقَظَةٌ ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ ؟ فَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ لِحَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ [٣] ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ [٤] فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ ، فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ ، وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ ، وَعَزَّاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ ، وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ [٥] وَقَد

---

(١) أدحض خبر محذوف هو الانسان ودحضت الحجة ـ كمنع ـ بطلت . وأبرح بنفسه أي أعجبته نفسه بجهالتها .

(٢) بل مرضه يبل ـ كقل يقل ـ بلولا حسنت حاله بعد هزال .

(٣) ضحاضحوا : برز في الشمس .

(٤) يمض جسده يبالغ في نهكه .

(٥) أي خوف ان تبيت بنقمة من الله ورزية تذهب بنعيمك وقد وقعت بمعاصيه في طرق سطواته وتعرضت لانتقامه .

تورّطت بمعاصيه مدارج سطواته ، فتداوَ من داء الفترة في قلبك بعزيمة ، ومن كرى الغفلة في ناظرك بيقظة[1] وكن لله مطيعاً ، وبذكره آنساً ، وتمثّل في حال تولّيك عنه إقباله عليك[2] : يدعوك إلى عفوه ، ويتغمّدك بفضله ، وأنت متولٍّ عنه إلى غيره ، فتعالى من قويٍّ ما أكرمه ![3] ، وتواضعت من ضعيفٍ ما أجرأك على معصيته ، وأنت في كنف ستره مقيم ، وفي سعة فضله متقلّب ، فلم يمنعك فضله ، ولم يهتك عنك ستره ، بل لم تخلُ من لطفه مطرف عينٍ في نعمة يحدثها لك[4] ، أو سيئة يسترها عليك ، أو بليّة يصرفها عنك !! فما ظنّك به لو أطعته ، وايم الله لو أنّ هذه الصفة كانت في متّفقين في القوّة متوازيين في القدرة ، لكنت أوّل حاكمٍ على نفسك بذميم الأخلاق ، ومساوىء الأعمال . وحقّاً أقول ما الدنيا غرّتك[5] ولكن بها اغتررت ، ولقد كاشفتك العظات ،

---

(١) الكرى – بالفتح والقصر – النوم .

(٢) تمثل تصور واذكر عند اعراضك عن الله إلى لهوك انه مقبل عليك بنعمه ويتغمدك اي يغمرك .

(٣) الضمير في تعالى لله .

(٤) طرف عينه – كضرب – أطبق جفنيها والمراد من المطرف اللحظة يتحرك فيها الجفن في نعمة يتعلق بلطفه .

(٥) ان الدنيا ما خبأت عن بصرك شيئاً من تقلباتها المفزعة ولكن غفلت عما ترى ولقد كاشفتك وأظهرت لك العظات أي المواعظ ، وآذنتك أعلمتك على عدل .

وَآذَنَتْكَ عَلَى سَوَاءٍ، وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ ٱلْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ، أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ، أَوْ تَغُرَّكَ، وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ [١]، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ، وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي ٱلدِّيَارِ ٱلْخَاوِيَةِ [٢]، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَالشَّحِيحِ بِكَ [٣]، وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلاً [٤]! وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ ٱلْهَارِبُونَ مِنْهَا ٱلْيَوْمَ.

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ [٥]، وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا ٱلْقِيَامَةُ، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يُجْزَى فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي ٱلْهَوَاءِ [٦]، وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَكَمْ حُجَّةٍ

---

(١) رب حادث من حوادثها يلقي اليك النصيحة بالعبرة فتتهمه وهو مخلص.

(٢) تعرفتها طلبت معرفتها وعاقبة الركون اليها.

(٣) الشحيح بك: البخيل بك على الشقاء والهلكة.

(٤) وطنه ـ بالتشديد ـ اتخذه وطناً.

(٥) الراجفة النفخة الأولى حين تهب ريح الفناء فتنسف الأرض نسفا. وحقت القيامة وقعت وثبتت بعظائمها. والمنسك ـ بفتح الميم والسين ـ العبادة أو مكانها.

(٦) يجز ـ من الجزاء ـ مبني للمجهول ونائب فاعله خرق بصر وهمس قدم، أي لا تجازي لمحة البصر تنفذ في الهواء ولا همسة القدم في الأرض إلا بحق وذلك بعدل الله.

يَوْمَ ذاكَ داحِضَةٍ ، وَعلائِقُ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٍ .

فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ ، مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ [١] ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ ، وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ [٢] ، وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ ، وَشِمْ بَرْقَ ٱلنَّجاةِ ، وَٱرْحَلْ مَطايَا ٱلتَّشْمِيرِ .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[يتبرّى من الظلم]

وَٱللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ ٱلسَّعْدَانِ مُسَهَّداً [٣] ، وَأُجَرَّ فِي ٱلْأَغْلالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى ٱللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ ٱلْعِبادِ ، وَغاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْحُطامِ ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى ٱلْبِلَى قُفُولُها [٤] وَيَطُولُ فِي ٱلثَّرَى حُلُولُها ؟!

وَٱللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً [٥] وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى ٱسْتَماحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صاعاً ، وَرَأَيْتُ صِبْيانَهُ شُعْثَ ٱلشُّعُورِ ، غُبْرَ ٱلْأَلْوانِ مِنْ

---

(١) تحر من التحري أي اطلب ما هو أحرى وأليق لأن يقوم به عذرك .

(٢) ما يبقى لك هو العمل الصالح فخذه من الدنيا التي لا تبقى لها . وتيسر : تأهب . وشام البرق : لمحه . ورحل المطية : وضع عليها رحلها للسفر .

(٣) كأنه يريد من الحسك الشوك . والسعدان : نبت ترعاه الابل له شوك تشبه به حلمة الثدي . والمسهد — من سهده — إذا أسهره . والمصفد : المقيد .

(٤) يريد من النفس نفسه كرم الله وجهه أي كيف أظلم لأجل منفعة نفس يسرع الى الفناء رجوعها . والثرى : التراب .

(٥) عقيل أخوه [قتله أهل الكوفة بعدُ وكان رسول الحسين اليها] وأملق : افتقر أشد الفقر . واستماحني : استعطاني . والبر القمح .

فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً [1] وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً ، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي ، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ [2] مُفَارِقاً طَرِيقَتِي ، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا ، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا [3] وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا ، فَقُلْتُ لَهُ : ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ ، يَا عَقِيلُ [4] ، أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ ؟ أَتَئِنُّ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظَى ؟! وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا ، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا ، فَقُلْتُ : أَصِلَةٌ [5] ، أَمْ زَكَاةٌ ، أَمْ صَدَقَةٌ ؟ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا

---

(١) شعث – جمع أشعث – وهو من الشعر المتلبد بالوسخ . والغبر – بضم الغين – : جمع أغبر متغير اللون شاحبه . والعظلم – كزبرج – سواد يصبغ به قيل هو النيلج أي النيلة .

(٢) القياد : ما يقاد به كالزمام .

(٣) الدنف – بالتحريك – : المرض ؛ والميسم – بكسر الميم وفتح السين – المكواة .

(٤) ثكل – كفرح – أصاب ثكلا بالضم وهو فقدان الحبيب أو خاص بالولد . والثواكل النساء ، دعاء عليه بالموت لتألمه من نار ضعيفة الحرارة وطلبه عملا وهو تناول شيء من بيت المال زيادة عن المفروض له يوجب الوقوع في نار سجرها أي أضرمها الجبار وهو الله للانتقام بمن عصاه . ولظى اسم جهنم .

(٥) الملفوفة نوع من الحلواء أهداها اليه الاشعث بن قيس . وشنئتها أي كرهتها . والصلة العطية .

أَهْلَ ٱلْبَيْتِ، فَقَالَ : لا ذَا وَلا ذَاكَ ، وَلٰـكِنَّهَا هَدِيَّةٌ ، فَقُلْتُ :
هَبِلَتْكَ ٱلْهَبُولُ [١] ،أَعَنْ دِينِ ٱللّٰهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي؟أَمُخْتَبِطٌ أَنتَ ،
أَمْ ذُو جِنَّةٍ ، أَمْ تَهْجُرُ [٢] ؟ وَٱللّٰهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ
بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ ٱللّٰهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ
شَعِيرَةٍ [٣] مَا فَعَلْتُ ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي
فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا [٤] مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى !
نَعُوذُ بِٱللّٰهِ مِنْ سُبَاتِ ٱلْعَقْلِ [٥] ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ. وَبِهِ نَسْتَعِينُ .

ومن دعاء له عليه السلام

[يلتجيء الى الله ان يغنيه]

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ [٦] وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ ،

---

(١) هبلتك – بكسر الباء – ثكلتك ، والهبول – بفتح الهاء – المرأة لا يعيش لها ولد . عن دين الله متعلق بتخدعني .

(٢) أمختبط في رأسك فاختل نظام أدراكك ، أم أصابك جنون ، أم تهجر أي تهذو بما لا معنى له .

(٣) جلب الشعيرة – بكسر الجيم – قشرتها . وأصل الجلب غطاء الرحـــل فتجوز في اطلاقه على غطاء الحبة .

(٤) قضمت الدابة الشعير – من باب علم – : كسرته باطراف أسنانها .

(٥) سبات العقل نومه . والزلل : السقوط في الخطأ .

(٦) صيانة الوجه حفظه من التعرض للسؤال . وبذل الجاه : إسقاط المنزلة من القلوب . واليسار : الغني . والاقتار : الفقر . وقوله فأسترزق ترتيب على البذل بالاقتار فانه لو افتقر لطلب الرزق من طلاب رزق الله وهم الناس.

فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في التنفير من الدنيا]

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا يَسْلَمُ نُزَّالُهَا (١).

أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالْأَمَانُ فِيهَا مَعْدُومٌ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ، تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ (٣) مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً، وَأَعْمَرَ دِيَاراً، وَأَبْعَدَ آثَاراً أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً (٤)، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً.

---

(١) النزال بالضم وتشديد الزاي جمع نازل [أي لا يسلم أهلها من آفاتها]

(٢) الحمام – بالكسر – الموت.

(٣) أنتم وما تتمتعون به قيام على سبيل الماضين تنتهون إلى نهايته وهو الفناء. وبعد الآثار طول بقائها بعد ذويها.

(٤) راكدة : ساكنة. وركود الريح كناية عن انقطاع العمل وبطلان الحركة. آثارهم عافية أي مندرسة.

فَاسْتَبْـدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّـدَةِ [١] الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ ، وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ [٢] . الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ فِنَاؤُهَا [٣] ، وَشِيدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا . فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ . بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ [٤] لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ وَدُنُوِّ الدَّارِ . وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ ، وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلَى [٥] ، وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى . وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ [٦] ، وَارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ . فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ [٧] ، وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ « هُنَالِكَ

---

(١) النمارق – جمع نمرقة – : تطلق على الوسادة الصغيرة وعلى الطنفسة اي البساط ولعله المراد هنا . والممهدة المفروشة والصخور مفعول استبدلوا .

(٢) لطأ بالأرض – كمنع وفرح – : لصق . الملحدة من ألحد القبر جعل له لحداً اي شقاً في وسطه او جانبه .

(٣) فناء الدار – بالكسر – ساحتها وما اتسع امامها . وبناء الفناء بالخراب تمثيل لما يتخيله الفكر في ديار الموتى من الفناء الدائم الى نهاية العالم .

(٤) متشاغلين بما شاهدوا من عقبى اعمالهم .

(٥) الكلكل هو صدر البعير كأن البلى – بكسر الباء – اي الفناء جمل برك عليهم فطحنهم . والجنادل : الحجارة . والثرى : التراب .

(٦) ولقرب آجالكم كأنكم قد صرتم الى مصيرهم وحبستم في ذلك المضجع كما يحبس الرهن في يد المرتهن .

(٧) تناهى به الامر : وصل الى غايته . والمراد انتهاء مدة البرزخ . وبعثرت القبور قلب ثراها واخرج موتاها .

تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ [١] ، وَرُدُّوا إِلَى ٱللهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ » .

ومن دعاء له عليه السلام

[يلجأ فيه الى الله ليهديه الى الرشاد]

اللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ ٱلآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ [٢] . وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ . تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ . فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ [٣] . إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ ٱلْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ ، وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى ٱلِاسْتِجَارَةِ بِكَ ، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ ٱلْأُمُورِ بِيَدِكَ ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ .

اللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي [٤] أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي ، فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي ، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي ، فَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ [٥] وَلَا بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ .

---

(١) تبلوه اي تخبره فتقف على خيره وشره .

(٢) آنس اشد انساً ، فقلوب الاولياء اشد انساً بالله من كل أليف فالله آنس الموجودات عندها وهو اشد النصراء حضوراً بما يكفي المعتمدين عليه .

(٣) الملهوف : المضطر يستغيث ويتحسر .

(٤) فهه – كفرح – عيّ فلم يستطع البيان . والطلبة – بكسر الطاء – المطلوب . والمراشد : مواضع الرشد .

(٥) النكر – بالضم – : المنكر . والبدع – بالكسر – : الأمر يكون اولاً ، اي الغريب غير المعهود .

اللَّهُمَّ ٱحْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ[1] وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يريد به بعض اصحابه]

لِلَّهِ بِلَاءُ فُلَانٍ[2] فَقَدْ قَوَّمَ ٱلْأَوَدَ ، وَدَاوَى ٱلْعَمَدَ . خَلَّفَ ٱلْفِتْنَةَ وَأَقَامَ ٱلسُّنَّةَ . ذَهَبَ نَقِيَّ ٱلثَّوْبِ ، قَلِيلَ ٱلْعَيْبِ . أَصَابَ خَيْرَهَا ، وَسَبَقَ شَرَّهَا . أَدَّى إِلَى ٱللَّهِ طَاعَتَهُ وَٱتَّقَاهُ بِحَقِّهِ . رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ[3] لَا يَهْتَدِي فِيهَا ٱلضَّالُّ وَلَا يَسْتَيْقِنُ ٱلْمُهْتَدِي .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في وصف بيعته بالخلافة]

قال الشريف : وَقَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُهُ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ .

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا ، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ[4] تَدَاكَّ ٱلْإِبِلِ ٱلْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا

---

(١) اعتراف منه بالتقصير فلو عامله الله بالعدل لاشتدعليه الهول فالتجأ الى العفو.

(٢) [ولله بلاء فلان أي لله مافعل من الخير، وفلان :] هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقوم الأود عدل الاعوجاج . والعمد ـ بالتحريك ـ : العلة وخلف الفتنة تركها خلفاً لا هو ادركها ولا هي ادركته .

(٣) عبارة عن الاختلاف .

(٤) التداكّ : الازدحام كأن كل واحد يدك الآخر أي يدقه . والهيم أي العطاش جمع هيماء ، كعيناء وعين .

حَتَّى ٱنْقَطَعَتِ ٱلنَّعْلُ ، وَسَقَطَتِ ٱلرِّدَاءُ ، وَوُطِئَ ٱلضَّعِيفُ ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ ٱلنَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ٱبْتَهَجَ بِهَا ٱلصَّغِيرُ وَهَدَجَ إِلَيْهَا ٱلْكَبِيرُ [1] وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا ٱلْعَلِيلُ ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا ٱلْكِعَابُ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[في مقاصد اخرى]

فضل التقوى

فَإِنَّ تَقْوَى ٱللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ [2] ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ . بِهَا يَنْجَحُ ٱلطَّالِبُ ، وَيَنْجُو ٱلْهَارِبُ وَتُنَالُ ٱلرَّغَائِبُ .

فضل العمل

فَٱعْمَلُوا وَٱلْعَمَلُ يُرْفَعُ [3] ، وَٱلتَّوْبَةُ تَنْفَعُ ، وَٱلدُّعَاءُ يُسْمَعُ .

---

(١) هدج : مشى مشية الضعيف، وهدج الظليم اذا مشى في ارتعاش والكعاب – كسحاب – : الجارية حين يبدو ثديها للنهود وهي الكاعبة . وحسرت أي كشفت عن وجهها متوجهة الى البيعة لتعقدها بلا استحياء لشدة الرغبة والحرص على اتمام الأمر لأمير المؤمنين . والغرض من الكلام الاحتجاج على المخالفين بأن الأمة بايعته مختارة .

(٢) الملكة – بالتحريك – الرق أي عتق من رق الشهوات والأهواء . والهلكة – بالتحريك – : الهلاك .

(٣) والعمل الخ الواو واو الحال . وبادروا اي اسبقوا بأعمالكم حلول آجالكم التي تنكسكم أي تقلبكم من الحياة الى الموت . والحابس المانع من العمل . والخالس : الخاطف .

وَٱلْحَالُ هَادِئَةٌ ، وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً ، وَمَرَضاً حَابِساً ، أَوْ مَوْتاً خَالِساً . فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ ، وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ [(١)] . زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوب ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوب ، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوب . قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ ، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ . وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ [(٢)] ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ . فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ وَٱحْتِدَامُ عِلَلِهِ وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ ، وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ ، وَأَلِيمُ إِزْهَاقِهِ ، وَدُجُوُّ إِطْبَاقِهِ ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ . فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ [(٣)] ، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ ، وَعَفَّى آثَارَكُمْ ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ

---

(١) طياتكم جمع طية – بالكسر – : القصد أي يحول بينكم وبين مقاصدكم فيبعدها . والقرن – بالكسر – : الكفؤ في الشجاعة . والتسمية تبكيت لمن يظن مغالبة الموت فلا يستعد له بالصالحات كأنه يقول إذا كنتم أقوياء فالموت كفؤ لكم غير مغلوب ، والواتر : الجاني والموت لا يطالبُ بالقصاص على جنايته . أعلقتكم الحبائل أوقعتكم فيها فاقتنصتكم وهي جمع حبالة : المصيدة من الحبال . وتكنفتكم أحاطتكم . أقصده : رماه بسهم فأصاب مقتله والمعابل – جمع معبلة كمكنسة بكسر الميم – وهي النصل الطويل العريض .

(٢) العدوة – بالفتح – العدوان . والنبوة – بالفتح – ان يخطىء في الضربة فلا يصيب . والدواجي – جمع داجية – أي مظلمة . والظلل – جمع الظلة – أي السحابة . والاحتدام الاشتداد . والحنادس : جمع حندس – بكسر الحاء والدال – الظلمة الشديدة . والغمرات : الشدائد . والدجو : الاظلام . والجشوبة : الخشونة .

(٣) النجي : القوم يتناجون . والندي : الجماعة يجتمعون للمشاورة . وعفى الآثار : محاها . والتراث : الميراث . والحميم : الصديق .

تراثكم بين حميم خاص لم ينفع، وقريب محزون لم يمنع، وآخر شامت لم يجزع.

فضل الجد

فعليكم بالجد والاجتهاد، والتأهب والاستعداد، والتزود في منزل الزاد. ولا تغرنكم الدنيا كما غرت من كان قبلكم من الأمم الماضية والقرون الخالية الذين احتلبوا درتها [1]، وأصابوا غرتها، وأفنوا عدتها، وأخلقوا جدتها. أصبحت مساكنهم أجداثاً [2]، وأموالهم ميراثاً. لا يعرفون من أتاهم، ولا يحفلون من بكاهم [3]، ولا يجيبون من دعاهم، فاحذروا الدنيا فإنها غدارة، غرارة خدوع، معطية منوع، ملبسة نزوع [4]. لا يدوم رخاؤها، ولا ينقضي عناؤها، ولا يركد بلاؤها.

(منها في صفة الزهاد): كانوا قوماً من أهل الدنيا وليسوا من أهلها، فكانوا فيها كمن ليس منها. عملوا فيها بما يبصرون، وبادروا فيها ما يحذرون [5]. تقلب أبدانهم بين

---

(١) الدرة – بالكسر –: اللبن. والغرة – بالكسر –: الغفلة أي أصابوا منها غفلة فتمتعوا بلذاتها وأفنوا العدد الكثير من أيامها وجعلوا جديدها خلقاً قديماً بطول أعمارهم.

(٢) الاجداث: القبور.

(٣) يحفلون: يبالون.

(٤) ما ألبست إلا نزعت لباسها عمن ألبسته. ولا يركد أي لا يسكن.

(٥) بادر المحذور: سبقه فلم يصبه

ظَهْرَانَيْ أَهْلِ ٱلآخِرَةِ [1] ، يَرَوْنَ أَهْلَ ٱلدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خطبها بذي قار وهو متوجه إلى البصرة

ذكرها الواقدي في كتاب الجمل

[يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم]

فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ [2] ، وَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ فَلَمَّ ٱللهُ بِهِ ٱلصَّدْعَ . وَرَتَقَ بِهِ ٱلْفَتْقَ . وَأَلَّفَ بِهِ ذَوِي ٱلْأَرْحَامِ بَعْدَ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلْوَاغِرَةِ فِي ٱلصُّدُورِ ، وَٱلضَّغَائِنِ ٱلْقَادِحَةِ فِي ٱلْقُلُوبِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلم به عبد الله بن زمعة وكان من شيعته

وَذٰلِكَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ فِي خِلَافَتِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَالاً فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

---

(١) تقلب أبدانهم أي تتقلب ، اي ان ابدانهم وهي في الدنيا تتقلب بين أظهر أهل الآخرة وهو بين ظهرانيهم أي بينهم حاضراً ظاهراً .

(٢) الضمير في صدع ، للنبي - صلى الله عليه وسلم - .ولم الصدع لحم المنشق فأعاده الى القيام بعد الاشراف على الانهدام . والفتق نقض خياطة الثوب فينفصل بعض أجزائه عن بعض . والرتق خياطتها ليعود ثوباً . أي جمع الله به متفرق القلوب ومتشتت الأحوال. والواغرة : الداخلة . والقادحة المشتعلة.

إنَّ هٰذَا ٱلْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ[1] وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلَّا فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[بعد ان اقدم احدهم على الكلام فحصر وهو في بيان أهل البيت وفساد الزمان]

بيان أهل البيت

أَلَا إِنَّ ٱللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ[2] فَلَا يُسْعِدُهُ ٱلْقَوْلُ إِذَا ٱمْتَنَعَ، وَلَا يُمْهِلُهُ ٱلنُّطْقُ إِذَا ٱتَّسَعَ. وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ ٱلْكَلَامِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ.

فساد الزمان

وَٱعْلَمُوا رَحِمَكُمُ ٱللّٰهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ ٱلْقَائِلُ فِيهِ بِٱلْحَقِّ

---

(١) [عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب من بني عبد العزّي بن قصي بن كلاب] الفيء : الخراج والغنيمة [عند بعضهم وعند الشافعي وغيره الفيء مختص بما أخذ من مال الكفار بغير قتال] وشركه – كعلمه – : شاركه. والجناة بفتح – الجيم – : ما يجنى من الشجر أي يقطف.

(٢) أي أن اللسان آلة تحركها سلطة النفس فلا يسعد بالنطق ناطق امتنع عليه ذهنه من المعاني فلم يستحضرها ولا يمهله النطق إذا هو أتسع في فكره بل تنحدر المعاني إلى الالفاظ جارية على اللسان قهراً عنه، فسعة الكلام تابعة لسعة العلم، وتنشبت الأصول علقت وثبتت. والمراد من العروق الأفكار العالية والعلوم السامية. والغصون. وجوه القول في فصاحته وصفاته الفاعلة في النفوس. وتهدلت أي تدلت علينا فأظلتنا.

قَليلٌ ، وَاللِّسَانُ عَن الصِّدْقِ كَلِيلٌ[١] ، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ . أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ . مُصْطَلِحُونَ عَلَى الإِدْهَانِ ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ[٢] ، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ ، وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ . لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ ، وَلَا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

رَوَى أَبُو مُحَمَّدٍ الْيَمَانِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ قُتَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ يَزِيدَ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِحْيَةَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ ذُكِرَ عِنْدَهُ اخْتِلَافُ النَّاسِ فَقَالَ :

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ[٣] وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا ، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا . فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ . فَتَامُّ الرُّوَاءِ[٤] نَاقِصُ الْعَقْلِ ، وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ ، وَزَاكِي

---

(١) كل لسانه : نبا عن الغرض ، وإذا مرنت الأسماع على سماع الكذب نبا عنها لسان الصدق فلم يصب منها حظاً .

(٢) شرس : سيء الخلق . والمماذق من يمزج وده بالغش وهو من صنف المنافقين .

(٣) جمع طينة يريد عناصر تركيبهم . والفلقة — بكسر الفاء — : القطعة من الشيء . وسبخ الارض : مالحها . والحزن — بفتح الحاء — : الخشن ضد السهل فتقارب الناس حسب تقارب العناصر المؤلفة لبناهم وكذلك تباعدهم بتباعدها .

(٤) الرواء — بالضم والمد — : حسن المنظر . وماد القامة طويلها . والقعر يريد به قعر البدن اي انه قصير الجسم لكنه داهي الفؤاد . والضريبة : الطبيعة . والجليبة ما يتصنعه الانسان على خلاف طبعه .

ٱلْعَمَلِ قَبِيحُ ٱلْمَنْظَرِ ، وَقَرِيبُ ٱلْقَعْرِ بَعِيدُ ٱلسَّبْرِ ، وَمَعْرُوفُ ٱلضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ ٱلْحِلْيَةِ ، وَتَائِهُ ٱلْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ ٱللُّبِّ ، وَطَلِيقُ ٱللِّسَانِ حَدِيدُ ٱلْجَنَانِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله وهو يلي غسل رسول الله ، صلى الله عليه وآله ـ وتجهيزه

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! لَقَدِ ٱنْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ ٱلنُّبُوَّةِ وَٱلْأَنْبَاءِ وَأَخْبَارِ ٱلسَّمَاءِ . خَصَّصْتَ [1] حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ ٱلنَّاسُ فِيكَ سَوَاءً . وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ ، وَنَهَيْتَ عَنِ ٱلْجَزَعِ ، لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ ٱلشُّئُونِ [2] ، وَلَكَانَ ٱلدَّاءُ مُمَاطِلاً ، وَٱلْكَمَدُ مُحَالِفاً ، وَقَلَّا لَكَ [3] ، وَلٰكِنَّهُ مَا لَا يُمْلَكُ رَدُّهُ [4] وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ . بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَٱجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ !

---

(١) النبي ﷺ خص أقاربه وأهل بيته حتى كان فيه الغنى والسلوة لهم عن جميع من سواه . وهو برسالته عام للخلق فالناس ، في النسبة إلى دينه ، سواء .

(٢) لأنفدنا أي لأفنينا على فراقك ماء عيوننا الجاري من شؤونه وهي منابع الدمع من الرأس .

(٣) مماطلا بالشفاء . والكمد : الحزن . ومحالفته : ملازمته . وقلّا فعل ماض متصل بألف التثنية ، أي مماطلة الداء ومحالفة الكمد قليلتان لك .

(٤) ما خبر لكن أي لكنه الموت الذي لا يملك رده الخ . وما حتم وقعه فلا يفيد الأسف عليه لأن الأسف وضع في النفوس لمداركة الفائت والحذر من الآتي .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي – صلى الله عليه وآله – ثم لحاقه به

فَجَعَلْتُ أَتَّبِعُ مَأْخَذَ رَسُولِ ٱللهِ – صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – فَأَطَأُ ذِكْرَهُ، حَتَّى ٱنْتَهَيْتُ إِلَى ٱلْعَرَجِ[1].

قال السيد الشريف رضي الله عنه – في كلام طويل – :

قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: فَأَطَأُ ذِكْرَهُ. مِنَ ٱلْكَلَامِ ٱلَّذِي رُمِيَ بِهِ إِلَى غَايَتَيِ ٱلْإِيجَازِ وَٱلْفَصَاحَةِ، أَرَادَ أَنِّي كُنْتُ أُعْطَى خَبَرَهُ[2] – صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – مِنْ بَدْءِ خُرُوجِي إِلَى أَنِ ٱنْتَهَيْتُ إِلَى هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ فَكَنَى عَنْ ذٰلِكَ بِهٰذِهِ ٱلْكِنَايَةِ ٱلْعَجِيبَةِ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[في المسارعة الى العمل]

فَٱعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ ٱلْبَقَاءِ[3] وَٱلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ،

---

(١) العرج – بالتحريك – موضع بين مكة والمدينة.

(٢) أعطى بالبناء للمجهول.

(٣) نفس – بالتحريك – اي سعة البقاء. وصحف الاعمال منشورة لكتابة الصالحات والسيئات. وبسط التوبة: قبولها. والمدبر اي المعرض عن الطاعة يدعى اليها. والمسيء يرجى احسانه ورجوعه عن اساءته. وخمود العمل: انقطاعه بحلول الموت.

وَٱلتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ . وَٱلْمُدْبِرُ يُدْعَى وَٱلْمُسِيءُ يُرْجَى . قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ ٱلْعَمَلُ ، وَيَنْقَطِعَ ٱلْمَهَلُ ، وَيَنْقَضِيَ ٱلْأَجَلُ ، وَيُسَدَّ بَابُ ٱلتَّوْبَةِ ، وَتَصْعَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ [١] .

فَأَخَذَ ٱمْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ [٢] . وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ ، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ . ٱمْرُؤٌ خَافَ ٱللهَ [٣] وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ ، ٱمْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا [٤] فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي ٱللهِ وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ ٱللهِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

في شأن الحكمين وذم أهل الشام

جُفَاةٌ طَغَامٌ [٥] ، وَعَبِيدٌ أَقْزَامٌ . جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ،

---

(١) صعود الملائكة لعرض أعمال العبد إذا انتهى أجله ليس بعده توبة .

(٢) أخذ أمر بصيغة الماضي أي فليأخذ ، أو هو على حقيقته مرتب على قوله فاعملوا ، أي لو عملتم لأخذ امرؤ ، وأخذه من نفسه تعاطي الأعمال الجليلة لنفسه أي المسعد بها نفسه . والحي والميت هو المرء نفسه ولكنه في حياته قادر على العمل فاذا مات فليس له الا ما اخذه من حياته . ومن فان أي حياة فانية وهي الدنيا لباق وهو الآخرة ، وهكذا الذاهب والدائم .

(٣) امرؤ خاف الخ أي الناجي هو امرؤ خاف الله فأدى الواجب عليه وللناس وهو في مهلة الحياة تمتد به الى اجله . ومنظور أي ممهل من الله لا يأخذه بالعقاب الى أن يعمل فيعفو عن تقصيره ويثيبه على عمله .

(٤) زمها أي قادها بقيادها .

(٥) الجفاة ـ بضم الجيم : جمع جاف ، أي غليظ فظ . والطغام ـ كسحاب ـ :

وَتُلُقِّطوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ[1] ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ . لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ .

أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ[2] وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ : « إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ » فَإِنْ كَانَ صَادِقاً[3] فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ ، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ

أوغاد الناس . والعبيد كناية عن رديئي الأخلاق . والاقزام : جمع قزم – بالتحريك – أرذال الناس جمعوا من كل أوب أي ناحية . والشوب : الخلط كناية عن كونهم أخلاطاً ليسوا من صراحة النسب في شيء .

(١) ممن ينبغي أي أنهم على جهل فينبغي أن يفقهوا ويؤدبوا ويعلموا فرائضهم ويمرنوا على العمل بها ، وهم سفهاء الاحلام فينبغي ان يولى عليهم أي يقام لهم الأولياء ليلزموهم بمصالحهم ويعملوا لهم ويأخذوا على أيديهم فلا يبيحون لهم التصرف من أنفسهم والا جرتهم الى الضرر بالجهل والسفه . تبوأوا الدار أي نزلوا المدينة المنورة ، كناية عن الانصار الاولين .

(٢) أقرب القوم يريد به أبا موسى الأشعري وهو عبد الله بن قيس ، وهو لعدم وقوفه على وجوه الحيل يؤخذ بالخديعة فيكون أقرب الى موافقة الاعداء على أغراضهم وهو ما يكرهه ، أصحاب أمير المؤمنين خصوصاً وقد عهدوه بالأمس – اي عند أعداد الجيش للحرب – يقول : ان الحادثة فتنة فقطعوا أوتار القسي وشيموا أي أغمدوا السيوف ولا تقاتلوا . يثبط بذلك أصحاب علي عن الحرب .

(٣) ان صح قول أبي موسى انها فتنة ولم يكرهه أحد على الدخول فيها فقد أخطأ بمسيره اليها وكان عمله خلاف عقيدته ، ومن كان شأنه ذلك فلا يصلح للحكم ، وان كان كاذباً فيما يقول فقد كان عارفاً بالحق ونطق بالباطل فهو منهم ويخشى ان يكون منه مثل ذلك في الحكم . وقوله فادفعوا الخ أي أختاروا ابن عباس حكما

لَزِمَتْهُ ٱلتُّهَمَةُ . فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَبَّاسِ ، وَخُذُوا مَهَلَ ٱلْأَيَّامِ ، وَحُوطُوا قَوَاصِيَ ٱلْإِسْلَامِ . أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى ، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

يذكر فيها آل محمد – صلى الله عليه وآله –

هُمْ عَيْشُ ٱلْعِلْمِ وَمَوْتُ ٱلْجَهْلِ . يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ . وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ . لَا يُخَالِفُونَ ٱلْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ . هُمْ دَعَائِمُ ٱلْإِسْلَامِ ، وَوَلَائِجُ ٱلِاعْتِصَامِ [1] بِهِمْ عَادَ ٱلْحَقُّ فِي نِصَابِهِ [2] ، وَٱنْزَاحَ ٱلْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ ، وَٱنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ . عَقَلُوا ٱلدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ [3] ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ

فانه كفؤ لعمرو بن العاص . وخذوا مهل الايام في فسحتها فاستعدوا فيها بجمع قواكم وتوفير عددكم وتجنيد جيوشكم . وحوطوا قواصي الاسلام أي احفظوها من غارة أهل الفتنة عليها ، واجعلوا كل قاصية لكم لا عليكم . وقواصي الاسلام أطرافه . ورمي الصفاة – بفتح الصاد – كناية عن طمع العدو فيها باليد. وأصل الصفاة الحجر الصلد يراد منها القوة وما يحميه الانسان .

(١) ولائج : جمع وليجة ، وهي ما يدخل فيه السائر اعتصاماً من مطر أو برد أو توقياً من مفترس .

(٢) نصاب الحق : أصله ، والأصل في معنى النصاب مقبض السكين ، فكأن الحق نصل ينفصل عن مقبضه ويعود اليه . وانزاح : زال . وانقطاع لسان الباطل عن منبته – بكسر الباء – اي عن أصله مجاز عن بطلان حجته وانخذاله عند هجوم جيش الحق عليه .

(٣) عقل الوعاية حفظ في فهم . والرعاية ملاحظة أحكام الدين وتطبيق الأعمال عليها وهذا هو العلم بالدين حقيقة أما السماع والرواية مجردين عن الفهم والرعاية فمنزلتهما لا تخالف منزلة الجهل إلا في الاسم .

وَرِوَايَةٍ . فَإِنَّ رُوَاةَ ٱلْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لعبد الله بن عباس وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج الى ماله بينبع ليقلّ هتف الناس باسمه للخلافة (١) بعد ان كان سأله مثل ذلك من قبل ، فقال عليه السلام :

يا ٱبْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ (٢) أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ ، بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدَمَ ، ثُمَّ هُوَ ٱلْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ . وَٱللهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يحث فيه أصحابه على الجهاد

وَٱللهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ (٣) وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ (٤) لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ . فَشُدُّوا عُقَدَ

---

(١) كان الناس يهتفون باسم أمير المؤمنين للخلافة أي ينادون به وعثمان — رضي الله عنه — محصور ، فأرسل اليه عثمان يأمره ان يخرج الى ينبع وكان فيها رزق لأمير المؤمنين فخرج ثم استدعاه لينصره فحضر ، ثم عاود الامر بالخروج مرة ثانية .

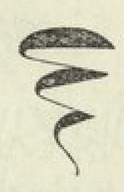
(٢) نضح الجمل الماء حمله من بئر او نهر ليسقى به الزرع فهو ناضح . والغرب — بفتح فسكون — الدلو العظيمة ، والكلام تمثيل للتسخير .

(٣) مستأديكم : طالب منكم اداء شكره . وأمره : سلطانه في الأرض يورثه الصالحين المحافظين على رعاية أوامره ونواهيه .

(٤) ممهلكم أي معطيكم مهلة في مضمار الحياة المحدود بالأجل . وأصل المضمار المكان تضمر فيه الخيل أي تحضر للسباق لتتنازعوا أي تتنافسوا في سبقه . والسبق — بالتحريك — : الخطر يوضع بين المتسابقين يأخذه السابق منهم وهو هنا الجنة .

ٱلمآزِرِ (١) ، وَٱطْوُوا فُضُولَ ٱلْخَوَاصِرِ ، وَلَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ (٢) . مَا أَنْقَضَ ٱلنَّوْمَ لِعَزَائِمِ ٱلْيَوْمِ (٣) ، وَأَمْحَى ٱلظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ ٱلْهِمَمِ !

وَصَلَّى ٱللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ مَصَابِيحِ ٱلدُّجَى وَٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَى وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً .



---

(١) العقد : جمع عقدة . والمآزر : جمع مئزر . وشد عقد المآزر كناية عن الجد والتشمير فان من شد العقدة أمن من انحلالها فيمضي في عمله غير خائف . واطووا فضول الخواصر أي ما فضل من مآزركم يلتف على أقدامكم فاطووه حتى تخفوا في العمل ولا يعوقكم شيء عن الاسراع في عملكم .

(٢) أي لا يجتمع طلب المعالي مع الركون الى اللذائذ .

(٣) ما : تعجبية أي ما أشد النوم نقضاً لعزيمة النهار بعزم السائر على قطع جزء من الليل في السير ، فاذا جاء الليل غلبه النوم فنقض عزيمته . والظلم : جمع ظلمة ، متى دخلت محت تذكار الهمة التي كانت في النهار . والله أعلم .

باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام
إلى أعدائه وأمراء بلاده

ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله، ووصاياه لأهله وأصحابه

ومن كتاب له عليه السلام

لأهل الكوفة، عند مسيره من المدينة الى البصرة

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ: جَبْهَةِ ٱلْأَنْصَارِ [1] . وَسَنَامِ ٱلْعَرَبِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ [2] إِنَّ ٱلنَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ ٱسْتِعْتَابَهُ [3] وَأُقِلُّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَٱلزُّبَيْرُ أَهْوَنُ

---

(١) [وقال عليه السلام كلامه هذا وهو في مكان يقال له العذيبة وبعث به مع ابن الحسن وعمار بن ياسر] شبههم بالجبهة من حيث الكرم، وبالسنام من حيث الرفعة.

(٢) عيانه : رؤيته .

(٣) استعتابه : استرضاؤه . والوجيف : ضرب من سير الخيل والابل سريع . وجملة أهون سيرهما الوجيف خبر كان ، أي أنهما سارعا لاثارة الفتنة عليه . والحداء زجل الابل وسوقها .

سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ ، وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ [١] ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا [٢] ، وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمِرْجَلِ ، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ ، فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اليهم ، بعد فتح البصرة

وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ [١] عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ [٢] بِطَاعَتِهِ ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ .

---

(١) قيل ان أم المؤمنين أخرجت نعلي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقميصه من تحت ستارها وعثمان — رضي الله عنه — على المنبر وقالت : هذان نعلا رسول الله وقميصه لم تبل ، وقد بدلت من دينه وغيرت من سنته ، وجرى بينهما كلام المخاشنة ، فقالت اقتلوا نعثلا ، تشبهه برجل معروف . وأتيح أي قدر له قوم فقتلوه .

(٢) دار الهجرة : المدينة . وقلع المكان بأهله نبذهم فلم يصلح لاستيطانهم . وجاشت غلت . والجيش الغليان . والمرجل — كمنبر — : القدر [واستعارة الجيشان ، ملاحظة لشبهها بالقدر في حال غليانها] أي فعليكم أن تقتدوا باهل دار الهجرة فقد خرجوا جميعاً لقتال أهل الفتنة . والقطب هو نفس الامام قامت عليه فتنة أصحاب الجمل .

ومن كتاب له عليه السلام

كتبه لشريح بن الحارث قاضيه [1]

روي أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً ، فبلغه ذلك ، فاستدعاه ، وقال له :

بَلَغَنِي أَنَّكَ ٱبْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِيناراً ، وَكَتَبْتَ كِتَاباً ، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً ، فَقَالَ شُرَيْحٌ : قَدْ كَانَ ذٰلِكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَنظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ مُغْضَبٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

يَا شُرَيْحُ ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً [2] وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً ، فَانْظُرْ يَاشُرَيْحُ لَا تَكُونُ ٱبْتَعْتَ هٰذِهِ ٱلدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ ، أَوْ نَقَدْتَ ٱلثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ ! فَإِذاً أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الآخِرَةِ ! أَمَّا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هٰذِهِ ٱلنُّسْخَةِ ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هٰذِهِ ٱلدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ .

---

(١) هو شريح بن الحارث الكندي استقضاه عمر على الكوفة ولم يزل بها بعد ذلك قاضياً خمساً وسبعين سنة لم يتعطل فيها غير عامين او اربعة استعفى فيهما الحجاج بن يوسف في فتنة ابن الزبير فاعفاه .

(٢) [شاخصاً] : ذاهباً مبعداً .

وَٱلنُّسْخَةُ : هٰذَا مَا ٱشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ ، مِنْ عَبْدٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ ، ٱشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ ٱلْغُرُورِ مِنْ جَانِبِ ٱلْفَانِينَ ، وَخِطَّةِ ٱلْهَالِكِينَ ، وَتَجْمَعُ هٰذِهِ ٱلدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ : ٱلْحَدُّ ٱلْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي ٱلآفَاتِ ، وَٱلْحَدُّ ٱلثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي ٱلْمُصِيبَاتِ ، وَٱلْحَدُّ ٱلثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى ٱلْهَوَى ٱلْمُرْدِي ، وَٱلْحَدُّ ٱلرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى ٱلشَّيْطَانِ ٱلْمُغْوِي ، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هٰذِهِ ٱلدَّارِ[1] . اشْتَرَى هٰذَا ٱلْمُغْتَرُّ بِٱلْأَمَلِ ، مِنْ هٰذَا ٱلْمُزْعَجِ بِٱلْأَجَلِ ، هٰذِهِ ٱلدَّارَ بِٱلْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ ٱلْقَنَاعَةِ ، وَٱلدُّخُولِ فِي ذُلِّ ٱلطَّلَبِ وَٱلضَّرَاعَةِ[2] ، فَمَا أَدْرَكَ هٰذَا ٱلْمُشْتَرِي فِيمَا ٱشْتَرَى مِنْ دَرَكٍ ، فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ ٱلْمُلُوكِ ، وَسَالِبِ نُفُوسِ ٱلْجَبَابِرَةِ ، وَمُزِيلِ مُلْكِ ٱلْفَرَاعِنَةِ ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ ، وَمَنْ جَمَعَ ٱلْمَالَ عَلَى ٱلْمَالِ فَأَكْثَرَ ، وَبَنَى وَشَيَّدَ وَزَخْرَفَ ، وَنَجَّدَ وَٱدَّخَرَ ، وَٱعْتَقَدَ وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ ــ إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً[3] إِلَى مَوْقِفِ

---

(١) يشرع اي يفتح في الحد الرابع .

(٢) الضراعة : الذلة . والدرك ــ بالتحريك ــ : التبعة ، والمراد منه ما يضر بملكية المشتري او منفعته بما اشترى ويكون الضمان فيه على البائع . ومبلبل الاجسام مهيج داءاتها المهلكة لها . ونجد بتشديد الجيم اي زين . واعتقد المال اقتناه

(٣) [تبع هم ملوك اليمن . وحمير ابو قبيلة من اليمن من سبأ المنتمية الى قحطان . وشيّد : اي رفع البناء] أشخاصهم مبتدأ مؤخر خبره على مبلبل الاجسام الخ . اي إذا لحق المشتري ما يوجب الضمان فعلى مبلبل الاجسام إرساله هو والبائع الى موقف الحساب الخ .

ٱلعَرْضِ وَٱلْحِسَابِ ، وَمَوْضِعِ ٱلثَّوَابِ وَٱلعِقَابِ . إِذَا وَقَعَ ٱلْأَمْرُ بِفَصْلِ ٱلْقَضَاءِ « وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ » شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ ٱلْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ ٱلْهَوَى وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ ٱلدُّنْيَا » .

ومن كتاب له عليه السلام

الى بعض امراء جيشه

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ ٱلطَّاعَةِ فَذَاكَ ٱلَّذِي نُحِبُّ ، وَإِنْ تَوَافَتِ ٱلْأُمُورُ بِالقَوْمِ إِلَى ٱلشِّقَاقِ وَٱلعِصْيَانِ [١] فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ ، وَٱسْتَغْنِ بِمَنِ ٱنْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ ، فَإِنَّ ٱلْمُتَكَارِهَ [٢] مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ شُهُودِهِ ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ .

ومن كتاب له عليه السلام

الى اشعث بن قيس عامل اذربيجان

وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ [٣] وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ ،

---

(١) توافى القوم وافى بعضهم بعضاً حتى تم اجتماعهم ، اي وان اجتمعت اهواؤهم الى الشقاق فانهد اي انهض [ويقال انه كتب هذا الى عثمان بن حنيف عامله على البصرة حين انتهى اصحاب الجمل اليها وعزموا على حربه] .

(٢) المتكاره المتثاقل بكراهة الحرب وجوده في الجيش يضر اكثر مما ينفع .

(٣) عملك اي ما وليت لتعمله في شؤون الامة . ومسترعى يرعاك من فوقك وهو الخليفة .

وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ. لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ[1] وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ ـ وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ ـ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَنْ لَا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ وَٱلسَّلَامُ[2].

ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاويه[3]

إِنَّهُ بَايَعَنِي ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا ٱلشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ، فَإِنِ ٱجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَٰلِكَ لِلهِ رِضًى، فَإِنْ خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى ٱتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَوَلَّاهُ ٱللهُ مَا تَوَلَّى.

وَلَعَمْرِي، يَا مُعَاوِيَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ

---

(١) تفتات اي تستبد، وهو افتعال من الفوت كأنه يفوت آمره فيسبقه الى الفعل قبل ان يأمره. والخزان ـ بضم فتشديد ـ : جمع خازن.

(٢) الولاة : جمع وال من ولي عليه إذا تسلط، يرجو ان لا يكون شر المتسلطين عليه ولا يحق الرجاء إلا إذا استقام.

(٣) [وهذا فصل من كتاب كتبه اليه مع جرير بن عبد الله البجلي حين نزعه من همدان].

لَتجِدَنِّي أَبْرَأَ ٱلنَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى [1] فَتُجَنَّ مَا بَدَا لَكَ ، وَٱلسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

اليه أيضاً

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ [2] ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِكَ ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ ، وَكِتَابُ ٱمْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ ، قَدْ دَعَاهُ ٱلْهَوَى فَأَجَابَهُ ، وَقَادَهُ ٱلضَّلَالُ فَٱتَّبَعَهُ فَهَجَرَ لَاغِطاً [3] وَضَلَّ خَابِطاً .

منه : لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُثَنَّى فِيهَا ٱلنَّظَرُ [4] وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا ٱلْخِيَارُ . ٱلْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ ، وَٱلْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ .

---

(١) تجنى – كتولى – : ادعى الجناية على من لم يفعلها . وتُجن ما بدا لك اي تستره وتخفيه .

(٢) موصلة بصيغة المفعول ملفقة من كلام مختلف وصل بعضه ببعض على التباين ، كالثوب المرقع ، ومحبرة اي مزينة . ونمقتها حسنت كتابتها . وأمضيتها أنفذتها وبعثتها . و كتاب : عطف على موعظة .

(٣) هجر : هذى في كلامه ولغا . واللغط : الجلبة بلا معنى .

(٤) لا ينظر فيها ثانياً بعد النظر الاول ، ولا خيار لأحد فيها يستأنفه بعد عقدها . والمروي هو المتفكر هل يقبلها او ينبذها . والمداهن المنافق .

وَمِن كِتابٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

الى جرير بن عبد ٱلله البجلي لما أرسله الى معاوية

أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى ٱلْفَصْلِ (١)، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ ٱلْجَزْمِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ، فَإِنِ ٱخْتَارَ ٱلْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنِ ٱخْتَارَ ٱلسِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ وَٱلسَّلَامُ.

وَمِن كِتابٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَٱجْتِيَاحَ أَصْلِنَا (٢)، وَهَمُّوا بِنَا ٱلْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا ٱلْأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا ٱلْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا

---

(١) الفصل الحكم القطعي. وحرب مجلية اي مخرجة له من وطنه. والسلم المخزية: الصلح الدال على العجز. والخطل في الرأي الموجب للخزي. فانبذ اليه اي اطرح اليه عهد الأمان وأعلنه بالحرب والفعل من باب ضرب.

(٢) يحكي معاملة قريش للنبي ﷺ في أول البعثة. والاجتياح الاستئصال والاهلاك. وهموا الهموم: قصدوا نزولها. والأفاعيل: جمع أفعولة: الفعلة الرديئة والعذب هنيء العيش. وأحلسونا: ألزمونا. واضطرونا: الجأونا. والجبل الوعر الصعب الذي لا يرقى اليه كناية عن مضايقة قريش لشعب أبي طالب حيث جاهروهم بالعداوة وحلفوا لا يزوجونهم ولا يكلمونهم ولا يبايعونهم، وكتبوا على ذلك عهدهم عداوة للنبي ﷺ.

ٱلْخَوْفَ، وَٱضْطَرُّونَا إلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ ٱلْحَرْبِ، فَعَزَمَ ٱللّٰهُ لَنَا عَلَى ٱلذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ [١]، وَٱلرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ. مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذٰلِكَ ٱلْأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ ٱلْأَصْلِ. وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ ٱلْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ [٢].

وَكَانَ رَسُولُ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ إِذَا ٱحْمَرَّ ٱلْبَأْسُ [٣] وَأَحْجَمَ ٱلنَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ ٱلسُّيُوفِ وَٱلْأَسِنَّةِ. فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ ٱلْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ [٤]، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ. وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ ٱسْمَهُ مِثْلَ ٱلَّذِي أَرَادُوا مِنَ ٱلشَّهَادَةِ [٥]، وَلٰكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ وَمَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ. فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ

---

(١) عزم الله: أراد لنا ان نذب عن حوزته، والمراد من الحوزة هنا الشريعة الحقة. ورمى من وراء الحرمة: جعل نفسه وقاية لها يدافع السوء عنها فهو من ورائها أو هي من ورائه.

(٢) كان المسلمون من غير آل البيت آمنين على انفسهم إما بتحالفهم مع بعض القبائل او بالاستناد الى عشائرهم.

(٣) احمرار البأس: اشتداد القتال، والوصف لما يسيل فيه من الدماء. وحر الأسنة ـ بفتح الحاء ـ: شدة وقعها.

(٤) عبيدة ابن عمه، وحمزة عمه، وجعفر أخو الامام. ومؤتة بضم الميم بلد في حدود الشام.

(٥) من لو شئت يريد نفسه.

بِقَدَمِي [1] ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ ، وَلَا أَظُنُّ اللّٰهَ يَعْرِفُهُ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هٰذَا الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ [2] لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ ، وَزَوْرٌ لَا يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ [3] وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اليه أيضاً

وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا [4] وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا . دَعَتْكَ

---

(١) بقدم مثل قدمي جرت وثبتت في الدفاع عن الدين . والسابقة : فضله السابق في الجهاد. وأدلى اليه برحمه : توسل، ويقال دفعه اليه و كلا المعنيين صحيح.

(٢) تنزع – كتضرب – اي تنته .

(٣) الزور –بفتح فسكون– : الزائرون. وافراد الضمير في لقيانه باعتبار اللفظ.

(٤) الجلابيب جمع جلباب وهو الثوب فوق جميع الثياب كالملحفة . وتبهجت: تحسنت . والضمير فيه وفيما بعده للدنيا .

فَأَجَبْتَهَا ، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا ، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا . وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ [1] . فَاقْعَسْ عَنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ ، وَخُذْ أُهْبَةَ ٱلْحِسَابِ ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ ، وَلَا تُمَكِّنِ ٱلْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ ، وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ [2] ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ ٱلشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى ٱلرُّوحِ وَٱلدَّمِ .

وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ ٱلرَّعِيَّةِ [3] وَوُلَاةَ أَمْرِ ٱلْأُمَّةِ ؟ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ ، وَنَعُوذُ بِٱللهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ ٱلشَّقَاءِ . وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِيًا فِي غِرَّةِ ٱلْأُمْنِيَّةِ [4] مُخْتَلِفَ ٱلْعَلَانِيَةِ وَٱلسَّرِيرَةِ .

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى ٱلْحَرْبِ فَدَعِ ٱلنَّاسَ جَانِبًا وَٱخْرُجْ إِلَيَّ وَأَعْفِ ٱلْفَرِيقَيْنِ مِنَ ٱلْقِتَالِ لِيُعْلَمَ أَيُّنَا ٱلْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ [5] وَٱلْمُغَطَّى عَلَى

---

(١) المجن : الترس ، اي يوشك ان يطلعك الله على مهلكة لك لا تتقي منها بترس . واقعس تأخر . والاهبة كالعدة وزنا ومعنى . والغواة : قرناء السوء يزينون الباطل ويحملون على الفساد .

(٢) أي أنبهك بصدمة القوة الى ما لم تنتبه اليه نفسك فتعرف الحق وتقلع عن الباطل . والمترف من أطغته النعمة .

(٣) ساسة : جمع سائس . والباسق : العالي الرفيع .

(٤) الغرة – بالكسر – : الغرور . والامنية – بضم الهمزة – : ما يتمناه الانسان ويؤمل ادراكه .

(٥) المرين – بفتح فكسر – : اسم مفعول من ران ذنبه على قلبه : غلب عليه فغطى بصيرته .

بَصَرِه ، فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ [١] وَخَالِكَ وَأَخِيكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ ، وَذٰلِكَ ٱلسَّيْفُ مَعِي ، وَبِذٰلِكَ ٱلْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي ، مَا ٱسْتَبْدَلْتُ دِيناً ، وَلَا ٱسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً . وَإِنِّي لَعَلَى ٱلْمِنْهَاجِ ٱلَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ [٢] وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ .

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِعُثْمَانَ [٣] . وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً ، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ ٱلْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ ٱلْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ [٤] وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي - جَزَعاً مِنَ ٱلضَّرْبِ ٱلْمُتَتَابِعِ وَٱلْقَضَاءِ ٱلْوَاقِعِ وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ - إِلَى كِتَابِ ٱللّٰهِ ، وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ ، أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ .

ومن وصيّة له عليه السّلام

وصى بها جيشاً بعثه الى العدو

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي

---

(١) جد معاوية لأمه عتبة بن أبي ربيعة ، وخاله الوليد بن عتبة ، وأخوه حنظلة بن ابي سفيان . وشدخا أي كسرا ، قالوا هو الكسر في الرطب ، وقيل في اليابس .

(٢) المنهاج هو طريق الدين الحق لم يدخل فيه أبو سفيان ومعاوية رضى الله عنهما إلا بعد الفتح كرها .

(٣) ثأر به : طلب بدمه ، ويشير بحيث وقع دم عثمان الى طلحة والزبير .

(٤) تفرس فيما سيكون من معاوية وجنده وكان الأمر كما تفرس الأمام. والحائدة : العادلة عن البيعة بعد الدخول فيها .

قُبَيْلِ ٱلْأَشْرَافِ [1] أَوْ سِفَاحِ ٱلْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ ٱلْأَنْهَارِ، كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً، وَدُونَكُمْ مَرَدًّا. وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ ٱثْنَيْنِ، وَٱجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي ٱلْجِبَالِ وَمَنَاكِبِ ٱلْهِضَابِ [2]، لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ، وَٱعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ ٱلْقَوْمِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ ٱلْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ. وَإِيَّاكُمْ وَٱلتَّفَرُّقَ! فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَٱنْزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا ٱرْتَحَلْتُمْ فَٱرْتَحِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا غَشِيَكُمُ ٱللَّيْلُ فَٱجْعَلُوا ٱلرِّمَاحَ كِفَّةً [3]، وَلَا تَذُوقُوا ٱلنَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً.

ومن وصيّة له عليه السّلام

لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه الى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له

ٱتَّقِ ٱللَّهَ ٱلَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ. وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ. وَسِرِ ٱلْبَرْدَيْنِ [4]. وَغَوِّرْ

---

(١) قدام الجبال. والاشراف جمع شرف ـ محركة ـ العلو والعالي وسفاح الجبال أسافلها. والاثناء: منعطفات الانهار. والرده ـ بكسر فسكون ـ: العون. والمرد ـ بتشديد الدال ـ: مكان الرد والدفع.

(٢) صياصي: اعالي. والمناكب: المرتفعات. والهضاب: جمع هضبة ـ بفتح فسكون ـ الجبل لا يرتفع عن الارض كثيراً مع انبساط في اعلاه.

(٣) مثل كفة الميزان فانصبوها مستديرة حولكم محيطة بكم كأنها كفة الميزان. والغرار ـ بكسر الغين ـ: النوم الخفيف. والمضمضة ان ينام ثم يستيقظ ثم ينام تشبيهاً بمضمضة الماء في الفم يأخذه ثم يمجه [وهو أدق التشبيه وأجمله].

(٤) [اي وقتي ابتراد الارض والهواء من حر النهار] الغداة والعشي.

بِالنَّاسِ ، وَرَفِّهْ بِالسَّيْرِ . وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ [1] فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وَقَدَّرَهُ مُقَاماً لَا ظَعْناً . فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ . فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ [2] أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً ، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ ، وَلَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ [3] عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ .

ومن كتاب له عليه السلام

الى أميرين من أمراء جيشه

وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا [4] مَالِكَ بْنَ

---

(١) وغور : اي أنزل بهم في الغائرة وهي القائلة. ونصف النهار اي وقت شدة الحر . ورفه اي هون ولا تتعب نفسك ولا دابتك . والظعن السفر .

(٢) ينبطح : ينبسط، مجاز عن استحكام الوقت بعد مضي مدة منه وبقاء مدة .

(٣) الشنآن : البغضاء . والاعذار اليهم : تقديم ما يعذرون به في قتالهم .

(٤) [الاميران هما زياد بن النضر وشريح بن هانيء حين بعثهما على مقدمة له في اثني عشر الفاً فالتقيا بجند الشام] الحيز ما يتحيز فيه الجسم اي يتمكن ، والمراد منه مقر سلطتهما .

الْحَارِثَ الْأَشْتَرَ فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَاجْعَلَاهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً [1]، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا سَقْطَتُهُ وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ.

ومن وصيّة له عليه السلام

لعسكره قبل لقاء العدو بصفين

لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ. فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلَا تُصِيبُوا مُعْوِراً [2]، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ. وَلَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى. وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ. إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ [3]. وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

---

(١) الدرع ما يلبس من مصنوع الحديد للوقاية من الضرب والطعن. والمجن الترس اي اجعلاه حامياً لكما. والوهن: الضعف. والسقطة: الغلطة وأحزم أقرب للحزم. وأمثل أولى واحسن.

(٢) [أي اذا وقعت الهزيمة بالعدو] و المعور – كمجرم – الذي امكن من نفسه وعجز عن حمايتها. وأصله أعور أبدى عورته. وأجهز على الجريح: تمم أسباب موته.

(٣) هذا حكم الشريعة الاسلامية لا ما يتوهمه جاهلوها من إباحتها التعرض لاعراض الاعداء نعوذ بالله. [وإن أمر سارة الجاسوسة والتي عفا عنها النبي مع تلبسها بالجريمة لمعروف مشهور]

بِالْفِهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ [1] فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِن بَعْدِهِ .

وَمِنْ دُعَاءٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وكان عليه السلام يقول اذا لقي العدو محارباً :

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ [2] . وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ . وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ ، وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ ، وَأُنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ . اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْتُومُ الشَّنَآنِ [3] ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا . وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا ، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا . « رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ » .

وكان يقول عليه السلام لاصحابه عند الحرب :

لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ [4] ، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا . وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا [5]

---

(١) الفهر – بالكسر – : الحجر على مقدار ما يدق به الجوز او يملأ الكف . والهراوة – بالكسر – : العصا او شبه الدبوس من الخشب [والدبوس : المقمعة] وعقبه عطف على ضمير يعير .

(٢) أفضت انتهت ووصلت . وأنضيت : أبليت بالهزال والضعف في طاعتك .

(٣) صرح القوم بما كانوا يكتمون من البغضاء . وجاشت : غلت . والمراجل : القدور . والاضغان : جمع ضغن وهو الحقد . [ولا يخفى ان كل هـذه الجمل يراد بها التحسر]

(٤) لا يشق عليكم الامر إذا انهزمتم متى عدتم للكرة ، ولا تثقل عليكم الدورة من وجه العدو إذا كانت بعدها حملة وهجوم عليه .

(٥) وطئوا مهدوا للجنوب : جمع جنب ، مصارعها : اماكن سقوطها ، اي إذا ضربتم فأحكموا الضرب ليصيب ، فكأنكم مهدتم للمضروب مصرعه . واذمروا – على وزن اكتبوا – اي حرضوا .

وَٱذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى ٱلطَّعْنِ ٱلدَّعْسِيِّ (١) وَٱلضَّرْبِ ٱلطِّلَحْفَى. وَأَمِيتُوا ٱلْأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ. فَوَٱلَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ وَبَرَأَ ٱلنَّسَمَةَ مَا أَسْلَمُوا، وَلٰكِنِ ٱسْتَسْلَمُوا وَأَسَرُّوا ٱلْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ.

ومن كتاب له عليه السلام

الى معاوية، جوابا عن كتابا منه اليه

فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ ٱلشَّامَ (٢) فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ ٱلْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ ٱلْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ ٱلْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ، أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ ٱلْحَقُّ فَإِلَى ٱلْجَنَّةِ، وَمَنْ أَكَلَهُ ٱلْبَاطِلُ فَإِلَى ٱلنَّارِ. وَأَمَّا ٱسْتِوَاؤُنَا فِي ٱلْحَرْبِ وَٱلرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى ٱلشَّكِّ مِنِّي عَلَى ٱلْيَقِينِ. وَلَيْسَ أَهْلُ ٱلشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى ٱلدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ ٱلْعِرَاقِ عَلَى ٱلْآخِرَةِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذٰلِكَ نَحْنُ. وَلٰكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ

---

(١) الدعسى اسم من الدعس اي الطعن الشديد. والطلحفى – بفتحتين فسكون ففتح – : أشد الضرب. وامانة الاصوات: انقطاعها بالسكوت.

(٢) كتب معاوية الى علي يطلب منه ان يترك له الشام ويدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم الحرب ولم يبق منهم إلا حشاشات أنفس: جمع حشاشة بالضم: بقية الروح، ويخوفه باستواء العدد في رجال الفريقين ويفتخر بانه من أمية وهو وهاشم من شجرة واحدة فأجابه امير المؤمنين بما ترى.

وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ . وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ . وَلَا ٱلْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ [١] ، وَلَا ٱلصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ . وَلَا ٱلْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ . وَلَا ٱلْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ . وَلَبِئْسَ ٱلْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ !

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ ٱلنُّبُوَّةِ ٱلَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا ٱلْعَزِيزَ ، وَنَعَشْنَا بِهَا ٱلذَّلِيلَ [٢] . وَلَمَّا أَدْخَلَ ٱللهُ ٱلْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً ، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً ، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي ٱلدِّينِ : إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً ، عَلَى حِينِ فَازَ أَهْلُ ٱلسَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وَذَهَبَ ٱلْمُهَاجِرُونَ ٱلْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ . فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً ، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً .

ومن كتاب له عليه السلام

الى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة [٣]

أَعْلَمْ أَنَّ ٱلْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ ، وَمَغْرِسُ ٱلْفِتَنِ ، فَحَادِثْ أَهْلَهَا

---

(١) الطليق الذي أسر فأطلق بالمن عليه او الفدية ، وأبو سفيان ومعاوية كانوا من الطلقاء يوم الفتح . والمهاجر من آمن في المخافة وهاجر تخلصاً منها . والصريح صحيح النسب في ذوي الحسب . واللصيق من ينتمي اليهم وهو أجنبي عنهم . والصراحة والالتصاق بالنسبة الى الدين . والمدغل : المفسد [وصفات الخير كلها هنا لبني هاشم وصفات الشر لبني حرب بن أمية]

(٢) نعشنا : رفعنا .

(٣) كان عبد الله بن عباس قد اشتد على بني تميم لأنهم كانوا مع طلحة والزبير يوم الجمل فأقصى كثيراً منهم ، فعظم على بعضهم من شيعة الامام فشكى له .

بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَاُحْلُلْ عُقْدَةَ اَلْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ .

وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ [1] وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ [2] ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ . وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً وَقَرَابَةً خَاصَّةً نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا . فَارْبَعْ [3] أَبَا اَلْعَبَّاسِ ، رَحِمَكَ اَللّٰهُ فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذٰلِكَ ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ ، وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ . وَاَلسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً [4] ،

---

(١) تنمرك : اي تنكر أخلاقك .

(٢) غيبوبة النجم : كناية عن الضعف . وطلوعه كناية عن القوة والوغم – بفتح فسكون – : الحرب والحقد . أي لم يسبقهم احد في البأس وكان بين بني تميم وهاشم مصاهرة وهي تستلزم القرابة بالنسل .

(٣) [مأزورون: اي يلحق بنا الوزر وهو الاثم] اربع : ارفق وقف عند حد ما تعرف . وفال رأيه :ضعف.

(٤) الدهاقين : الأكابر يأمرون من دونهم ولا يأتمرون [والدهقان إن لم تكن نونه اصلية منع من الصرف ، والمقول ان هؤلاء الدهاقين كانوا مجوسا ولما شكوا اليه غلظة عامله فكر في أمرهم] .

وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لِأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ[1] وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ[2]، وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة وعبد الله عامل أمير المؤمنين يومئذ عليها وعلى كور الاهواز وفارس وكرمان[3]

وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً صَادِقاً لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً[4] لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئِيلَ الْأَمْرِ، وَالسَّلَامُ.

---

(١) لأن يقربوا فانهم مشركون ولا لأن يبعدوا فانهم معاهدون.

(٢) تشوبه: تخلطه.

(٣) كور: جمع كورة، وهي الناحية المضافة الى أعمال بلد من البلدان. والاهواز: تسع كور بين البصرة وفارس.

(٤) فيئهم. ما لهم من غنيمة او خراج. والوفر: المال [وثقل الظهر يحتمل ان يكون معناه الضعف عن النهوض بما يحتاج اليه] والضئيل: الضعيف النحيف.

وَمِن كِتابٍ لَه عليه السلام

اليه أيضاً

فَدَعِ ٱلْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً، وَٱذْكُرْ فِي ٱلْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكْ مِنَ ٱلْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ ٱلْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ [1].

أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ ٱللهُ أَجْرَ ٱلْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ. وَتَطْمَعُ - وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي ٱلنَّعِيمِ تَمْنَعُهُ ٱلضَّعِيفَ وَٱلْأَرْمَلَةَ - أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ ٱلْمُتَصَدِّقِينَ؟ وَإِنَّمَا ٱلْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ [2]، وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ. وَٱلسَّلَامُ.

وَمِن كِتابٍ لَه عليه السلام

الى عبد الله بن العباس

وكان عبد الله يقول : ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله كانتفاعي بهذا الكلام !

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ،

---

(١) ما يفضل من المال فقدمه ليوم الحاجة كالاعداد ليوم الحرب مثلاً، أو قدم فضل الاستقامة للحاجة يوم القيامة.

(٢) [متمرغ في النعيم : متقلب فيه يتلذذ به] وأسلف : قدم في سالف أيامه.

وَيَسُوءهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ [١] . فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ . وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا . وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلاَ تُكْثِرْ فِيهِ فَرَحاً . وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلاَ تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً . وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ .

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

قاله قبيل موته على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم ـ لعنه الله ـ

وَصِيَّتِي لَكُمْ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً . وَمُحَمَّدٌ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ [٢] فَلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ . أَقِيمُوا هٰذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ ، وَخَلاَكُمْ ذَمٌّ [٣] !

أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ . إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي ، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي . وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ ، فَاعْفُوا « أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ » .

وَاللهِ مَا فَجَئَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ ، وَلاَ طَالِعٌ

---

(١) قد يسر الانسان بشيء وقد حتم في قضاء الله انه له ، ويحزن بفوات شيء محتوم عليه ان يفوته . والمقطوع بحصوله لا يصح الفرح به كالمقطوع بفواته لا يصح الحزن له لعدم الفائدة في الثاني ونفي الغائلة في الأول . ولا تأس : اي لا تحزن

(٢) ومحمد عطف على « أن لا تشركوا » مرفوع .

(٣) عداكم الذم : جاوزكم اللوم بعد قيامكم بالوصية

أَنْكَرْتُهُ . وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ[1] وَطَالِبٍ وَجَدَ « وَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ » .

[قال السيد الشريف رضي الله عنه] : أَقُولُ : وَقَدْ مَضَى بَعْضُ هٰذَا ٱلْكَلَامِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ ٱلْخُطَبِ إِلَّا أَنَّ فِيهِ هٰهُنَا زِيَادَةً أَوْجَبَتْ تَكْرِيرَهُ .

ومن وصيّة له عليه السّلام

بما يُعمل في أمواله . كتبها بعد منصرفه من صفين

هٰذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ ٱللهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي مَالِهِ ، ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللهِ ، لِيُولِجَهُ بِهِ ٱلْجَنَّةَ[2] ، وَيُعْطِيَهُ بِهِ ٱلْأَمَنَةَ .

منها : وَإِنَّهُ يَقُومُ بِذٰلِكَ ٱلْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْفِقُ فِي ٱلْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ[3] وَحُسَيْنٌ حَيٌّ — قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ، وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ .

وَإِنَّ لِابْنَيْ فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ ٱلَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ ، وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ ٱلْقِيَامَ بِذٰلِكَ إِلَى ٱبْنَيْ فَاطِمَةَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللهِ

---

(١) القارب : طالب الماء ليلاً — كما قال الخليل — ولا يقال لطالبه نهاراً ، يريد أنه عليه السلام مستعد للموت راغب في لقاء الله ، وليس يكره ما يقبل عليه منه

(٢) يولجه : يدخله . والأمنة — بالتحريك — : الأمن

(٣) الحدث — بالتحريك — : الحادث أي الموت وأصدره : أجراه كما كان يجري على يد الحسن

وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ ٱللهِ ، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ [١] .

وَيَشْتَرِطُ [٢] عَلَى ٱلَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ ٱلْمَالَ عَلَى أُصُولِهِ ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وَهُدِيَ لَهُ ، وَأَنْ لَا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخْلِ هٰذِهِ ٱلْقُرَى وَدِيَّةً [٣] حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً .

وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي ـ ٱللَّاتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ ـ لَهَا وَلَدٌ ، أَوْ هِيَ حَامِلٌ ، فَتُمْسَكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ ، فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ ، قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا ٱلرِّقُّ ، وَحَرَّرَهَا ٱلْعِتْقُ .

قال الشريف : قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي هٰذِهِ ٱلْوَصِيَّةِ : أَنْ لَا يَبِيعَ مِنْ نَخْلِهَا وَدِيَّةً . ٱلْوَدِيَّةُ ٱلْفَسِيلَةُ وَجَمْعُهَا وَدِيٌّ . قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً : هُوَ مِنْ أَفْصَحِ ٱلْكَلَامِ . وَٱلْمُرَادُ بِهِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَكْثُرُ فِيهَا غِرَاسُ ٱلنَّخْلِ حَتَّى يَرَاهَا ٱلنَّاظِرُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ ٱلصِّفَةِ ٱلَّتِي عَرَفَهَا بِهَا فَيُشْكِلَ عَلَيْهِ أَمْرُهَا وَيَحْسَبُهَا غَيْرَهَا .

---

(١) الوصلة — بالضم — : الصلة وهي هنا القرابة

(٢) ضمير الفعل الى علي أو الحسن . والذي يجعله اليه هو من يتولى المال بعد علي أو الحسن بوصيته . وترك المال على اصوله أن لا يباع منه شيء ولا يقطع منه غرس

(٣) الودية — كهدية — : واحدة الودي أي صغار النخل وهو هنا الفسيل . والسر في النهي أن النخلة في صغرها لم يستحكم جذعها في الارض فقلع فسيلها يضر بها

وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات

قال الشريف : وانما ذكرنا هنا جملا ليعلم بها انه كان يقيم عماد الحق ويشرع أمثلة العدل في صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها .

انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ . وَلا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً [1] وَلا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً ، وَلا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ ، وَلا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ [2] ، ثُمَّ تَقُولَ : عِبَادَ اللهِ ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللهِ وَخَلِيفَتُهُ لآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللهِ فِي أَمْوَالِكُمْ ، فَهَلْ للهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : لا ، فَلا تُرَاجِعْهُ ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ [3] فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ ، فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ ، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلا عَنِيفٍ

---

(١) روعه ترويعاً : خوفه . والاجتياز : المرور ، أي لا تمر عليه وهو كاره لك لغلظة فيك

(٢) أخدجت السحابة : قل مطرها أي لا تبخل

(٣) [أي إن] قال لك نعم . أو تعسفه : تأخذه بشدة . وترهقه : تكلفه ما يصعب عليه

بِهِ ، وَلَا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلَا تُفْزِعَنَّهَا وَلَا تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا ، وَٱصْدَعِ ٱلْمَالَ صَدْعَيْنِ [1] ثُمَّ خَيِّرْهُ ، فَإِذَا ٱخْتَارَ فَلَا تَعَرَّضَنَّ لِمَا ٱخْتَارَهُ . ثُمَّ ٱصْدَعِ ٱلْبَاقِي صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ فَإِذَا ٱخْتَارَ فَلَا تَعَرَّضَنَّ لِمَا ٱخْتَارَهُ . فَلَا تَزَالُ كَذَٰلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ ٱللَّهِ فِي مَالِهِ ، فَٱقْبِضْ حَقَّ ٱللَّهِ مِنْهُ . فَإِنِ ٱسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ [2] ثُمَّ ٱخْلِطْهُمَا ، ثُمَّ ٱصْنَعْ مِثْلَ ٱلَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ ٱللَّهِ فِي مَالِهِ . وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا [3] وَلَا هَرِمَةً وَلَا مَكْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ ، وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ رَافِقًا بِمَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ ، وَلَا تُوَكِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِيظًا ، غَيْرَ مُعْنِفٍ وَلَا مُجْحِفٍ [4] ، وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُتْعِبٍ ، ثُمَّ ٱحْدُرْ إِلَيْنَا مَا ٱجْتَمَعَ عِنْدَكَ [5] نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ . فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا [6] وَلَا يُمَصِّرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَٰلِكَ بِوَلَدِهَا ، وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوبًا . وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ

---

(١) [اصدع المال أي] اقسمه قسمين ثم خير صاحب المال في أيهما

(٢) أي فان ظن في نفسه سوء الاختيار وأن ما أخذت منه الزكاة أكرم مما في يده وطلب الاعفاء من هذه القسمة فأعفه منها واخلط وأعد القسمة

(٣) العود – فتح فسكون – : المسنة من الابل . والهرمة أسن من العود . والمهلوسة : الضعيفة . هلسه المرض أضعفه . والعوار – بفتح العين ، وتضم – : العيب

(٤) المجحف من يشتد في سوقها حتى تهزل . والملغب المعي من التعب

(٥) حدر يحدر كينصر ويضرب أسرع ، والمراد سق الينا سريعاً

(٦) فصيل الناقة : ولدها وهو رضيع . ومصر اللبن تمصيراً قلله ، أي لا يبالغ في حلبها حتى يقل اللبن في ضرعها

صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذٰلِكَ وَبَيْنَهَا ، وَلْيَرْفَه عَلَى اللَّاغِبِ [1] . وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ وَالظَّالِعِ . وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ [2] وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ ، وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ [3] وَالْأَعْشَابِ حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللهِ بُدَّنًا مُنْقِيَاتٍ غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ [4] ، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَإِنَّ ذٰلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ .

ومن عهد له عليه السلام

الى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة

آمُرُهُ بِتَقْوَى اللهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ ، حَيْثُ لَا شَهِيدَ غَيْرُهُ وَلَا وَكِيلَ دُونَهُ . وَآمُرُهُ أَنْ لَا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ [5] ، وَمَنْ

---

(١) أي ليرح ما لغب أي أعياه التعب ، وليستأن أي يرفق من الاناة بمعنى الرفق . والنقب ـ بفتح فكسر ـ : ما نقب خفه كفرح ، أي تخرق . وظلع البعير : غمز في مشيته

(٢) الغدر : جمع غدير ما غادره السيل من المياه

(٣) النطاف ـ جمع نطفة ـ : المياه القليلة ، أي يجعل لها مهلة لتشرب وتأكل

(٤) البدن ـ بضمتين ـ : جمع بادنة أي سمينة . والمنقيات اسم فاعل من أنقت الابل إذا سمنت ، وأصله صارت ذات نِقي ـ بكسر فسكون ـ أي مخ

(٥) فيخالف هو مصب النهي

لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ فَقَدْ أَدَّى ٱلْأَمَانَةَ وَأَخْلَصَ ٱلعِبَادَةَ.

وَآمُرُهُ أَنْ لَا يَجْبَهَهُمْ [1] وَلَا يَعْضَهَهُمْ، وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمُ ٱلإِخْوَانُ فِي ٱلدِّينِ، وَٱلْأَعْوَانُ عَلَى ٱسْتِخْرَاجِ ٱلْحُقُوقِ.

وَإِنَّ لَكَ فِي هٰذِهِ ٱلصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَحَقّاً مَعْلُوماً، وَشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ، وَضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ، وَإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ، فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ ٱلنَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، وَبُؤْساً لِمَنْ ـ خَصْمُهُ عِنْدَ ٱللّٰهِ ـ ٱلْفُقَرَاءُ وَٱلْمَسَاكِينُ [2] وَٱلسَّائِلُونَ وَٱلْمَدْفُوعُونَ وَٱلْغَارِمُ وَٱبْنُ ٱلسَّبِيلِ. وَمَنِ ٱسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ وَرَتَعَ فِي ٱلْخِيَانَةِ وَلَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ فِي ٱلْخِزْيِ [3] وَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى. وَإِنَّ أَعْظَمَ ٱلْخِيَانَةِ خِيَانَةُ ٱلْأُمَّةِ، وَأَفْظَعَ ٱلْغِشِّ غِشُّ ٱلْأَئِمَّةِ. وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) جبهه ـ كمنعه ـ: ضرب جبهته. وعضه فلاناً كفرح بهته. نهى عن المخاشنة والتقريع. ولا يرغب عنهم لا يتجافى

(٢) بئس ـ كسمع ـ بؤساً اشتدت حاجته، ومن كان خصمه الفقراء فلا بد أن يبأس لأنهم لا يعفون ولا يتسامحون في حقهم لتفرح قلوبهم من المنع عند الحاجة

(٣) جمع خزية بفتح الخاء، أي بلية، الجمع بضم ففتح كنوبة ونوب

ومن عهد له عليه السلام

الى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ، وَٱبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ ، وَآسِ[2] بَيْنَهُمْ فِي ٱللَّحْظَةِ وَٱلنَّظْرَةِ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ ٱلْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ ، وَلَا يَيْأَسَ ٱلضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ بِهِمْ ، فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ ٱلصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَٱلْكَبِيرَةِ ، وَٱلظَّاهِرَةِ وَٱلْمَسْتُورَةِ ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ .

وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّ ٱلْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ ٱلدُّنْيَا وَآجِلِ ٱلْآخِرَةِ ، فَشَارَكُوا أَهْلَ ٱلدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ ، فَحَظُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ ٱلْمُتْرَفُونَ[3] ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ ٱلْجَبَابِرَةُ ٱلْمُتَكَبِّرُونَ . ثُمَّ ٱنْقَلَبُوا عَنْهَا بِٱلزَّادِ ٱلْمُبَلِّغِ وَٱلْمَتْجَرِ ٱلرَّابِحِ . أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ ٱلدُّنْيَا فِي

---

(٢) آس أمر من آسى بمد الهمزة أي سوى . يريد اجعل بعضهم أسوة بعض أي مستوين . وحيفك لهم أي ظلمك لأجلهم يطمعون في ذلك إذا خصصتهم بشيء من الرعاية

(٣) المنعمون فان المتقي يؤدي حق الله وحقوق العباد ويتلذذ بما آتاه الله من النعمة وينفق ماله فيما يرفع شأنه ويعلي كلمته فيعيش سعيداً مترفاً كما عاش الجبابرة ثم ينقلب بالزاد وهو الأجر الذي يبلغه سعادة الآخرة جزاء على رعاية حق نفسه ومنفعتها الصحيحة فيما أوتي من الدنيا ، وهو بهذا يكون زاهداً في الدنيا وهي مغدقة عليه .

دُنْيَاهُمْ ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ ٱللهِ غَداً فِي آخِرَتِهِمْ . لا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ . فَاحْذَرُوا عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمَوْتَ وَقُرْبَهُ ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ ، بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً . أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً . فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا [١] ؟ ، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى ٱلنَّارِ مِنْ عَامِلِهَا ؟ وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ ٱلْمَوْتِ إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ . الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ [٢] وَٱلدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ . فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ . دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ . وَلَا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ . وَإِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ ٱللهِ وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ ٱلْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ [٣] ، وَإِنَّ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ ظَنّاً بِاللهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلهِ .

وَٱعْلَمْ – يَا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِي بَكْرٍ – أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي : أَهْلَ مِصْرَ ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى

---

(١) استفهام بمعنى النفي ، أي لا أقرب الى الجنة ممن يعمل لها الخ

(٢) النواصي – جمع ناصية – : مقدم شعر الرأس

(٣) فان من خاف ربه عمل لطاعته وانتهى عن معصيته فرجا ثوابه بخلاف من لم يخفه فان رجاه يكون طمعاً في غير مطمع نعوذ بالله منه

نفسك [1]، وأن تنافح عن دينك ولو لم يكن لك إلا ساعة من الدهر، ولا تسخط الله برضا أحد من خلقه فإن في الله خلفاً من غيره [2] وليس من الله خلف في غيره.

صل الصلاة لوقتها الموقت لها، ولا تعجل وقتها لفراغ، ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال. واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك.

ومنه: فإنه لا سواء إمام الهدى وإمام الردى، وولي النبي وعدو النبي. ولقد قال لي رسول الله - صلى الله عليه وآله -: إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً. أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأما المشرك فيقمعه الله بشركه [3]، ولكني أخاف عليكم كل منافق [4] الجنان عالم اللسان، يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون.

ومن كتاب له عليه السلام

الى معاوية جواباً. قال الشريف: وهو من محاسن الكتب

---

(١) أي مطالب بحق بمخالفتك شهوة نفسك. والمنافحة: المدافعة

(٢) اذا فقدت مخلوقاً ففي فضل الله عوض عنه، وليس في خلق الله عوض عن الله.

(٣) يقمعه: يقهره لعلم الناس انه مشرك فيحذرونه

(٤) منافق الجنان: من أسر النفاق في قلبه. وعالم اللسان: من يعرف أحكام الشريعة ويسهل عليه بيانها فيقول حقاً يعرفه المؤمنون ويفعل منكراً ينكرونه.

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ ٱللهِ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ وَتَأْيِيدِهِ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا ٱلدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً [1] إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ ٱللهِ عِنْدَنَا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذٰلِكَ كَنَاقِلِ ٱلتَّمْرِ إِلَى هَجَرَ [2] أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى ٱلنِّضَالِ. وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ ٱلنَّاسِ فِي ٱلْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ ٱعْتَزَلَكَ كُلُّهُ [3]، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ تَلْحَقْكَ ثُلْمَتُهُ. وَمَا أَنْتَ وَٱلْفَاضِلَ وَٱلْمَفْضُولَ [4]، وَٱلسَّائِسَ وَٱلْمَسُوسَ؟ وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ ٱلطُّلَقَاءِ وَٱلتَّمْيِيزَ بَيْنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ ٱلْأَوَّلِينَ وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ. هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا [5]، وَطَفِقَ يَحْكُمُ

---

(١) أخفى امراً عجيباً ثم أظهره. وطفقت – بفتح فكسر – أخذت. وعطف النعمة على البلاء تفسير وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً

(٢) هجر مدينة بالبحرين كثيرة النخيل. والمسدد: معلم رمي السهام. والنضال: المراماة أي كمن يدعو أستاذه في فن الرمي إلى المناضلة. وهما مثلان لناقل الشيء إلى معدنه والمتعالم على معلميه

(٣) ان صح ما ادعيت من فضلهم لم يكن لك حظ منه فأنت عنه بمعزل. وثلمته: عيبه

(٤) يريد أي حقيقة تكون لك مع هؤلاء، أي ليست لك ماهية تذكر بينهم. والطلقاء الذين اسروا بالحرب ثم أطلقوا، وكان منهم أبو سفيان ومعاوية. والمهاجرون من نصروا الدين في ضعفه ولم يحاربوه

(٥) حن: صوت. والقدح – بالكسر –: السهم: وإذا كان سهم يخالف السهام كان له عند الرمي صوت يخالف أصواتها، مثل يضرب لمن يفتخر بقوم ليس منهم. وأصل المثل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ قال له عقبة بن أبي معيط أأقتل من بين قريش؟ فأجابه «حن قدح ليس منها»

فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ ٱلْحُكْمُ لَهَا. أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ[1] وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ؟ وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ ٱلْقَدَرُ، فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ ٱلْمَغْلُوبِ، وَلَا ظَفَرُ ٱلظَّافِرِ!

وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي ٱلتِّيهِ[2] رَوَّاغٌ عَنِ ٱلْقَصْدِ. أَلَا تَرَى – غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ ٱللهِ أُحَدِّثُ – أَنَّ قَوْماً[3] ٱسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا ٱسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا[4] قِيلَ سَيِّدُ ٱلشُّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ ٱللهِ – صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ. أَوَلَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ – وَلِكُلٍّ فَضْلٌ – حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ[5] قِيلَ ٱلطَّيَّارُ فِي ٱلْجَنَّةِ وَذُو ٱلْجَنَاحَيْنِ، وَلَوْلَا مَا نَهَى ٱللهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ ٱلْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً[6] تَعْرِفُهَا قُلُوبُ ٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) يقال اربع على ظلعك أي قف عند حدك. والذرع – بالفتح – : بسط اليد ويقال للمقدار

(٢) ذهاب – بتشديد الهاء – ؟ كثير الذهاب. والتيه: الضلال. والرواغ: الميال. والقصد: الاعتدال

(٣) مفعول لترى وقوله غير مخبر خبر لمبتدأ محذوف أي أنا، والجملة اعتراضية

(٤) هو حمزة بن عبد المطلب استشهد في أحد، والقائل رسول الله ﷺ.

(٥) واحدنا هو جعفر بن أبي طالب أخو الامام

(٦) ذاكر هو الامام نفسه

وَلا تَمُجُّها آذانُ السَّامِعِينَ ، فدعْ عنكَ مَنْ مالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ [1] فَإِنَّا صَنائِعُ رَبِّنا [2] وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنائِعُ لَنا . لَمْ يَمْنَعْنا قَدِيمُ عِزِّنا [3] وَلا عادِيُّ طَوْلِنا عَلى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْناكُمْ بِأَنْفُسِنا فَنَكَحْنا وَأَنْكَحْنا فِعْلَ الْأَكْفاءِ ، وَلَسْتُمْ هُناكَ ! وَأَنَّى يَكُونُ ذلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ [4] ، وَمِنَّا أَسَدُ اللهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلافِ ، وَمِنَّا سَيِّدُ شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ ، وَمِنَّا خَيْرُ نِساءِ الْعالَمِينَ ، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ ، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنا وَعَلَيْكُمْ [5] .

---

(١) الرمية : الصيد يرميه الصائد . ومالت به : خالفت قصده فاتبعها ، مثل يضرب لمن اعوج غرضه فمال عن الاستقامة لطلبه .

(٢) آل النبي اسراء احسان الله عليهم والناس اسراء فضلهم بعد ذلك . وأصل الصنيع من تصنعه لنفسك بالاحسان حتى خصصته بك كأنه عمل يدك .

(٣) قديم مفعول يمنع . والعادي : الاعتيادي المعروف . والطول - بفتح فسكون - : الفضل . وأن خلطناكم فاعل يمنع . والأكفاء : جمع كفؤ - بالضم - النظير في الشرف .

(٤) المكذب : أبو جهل . وأسد الله : حمزة . وأسد الأحلاف : أبو سفيان لأنه حزب الأحزاب وحالفهم على قتال النبي في غزوة الخندق . وسيد شباب أهل الجنة : الحسن والحسين بنص قول الرسول . وصبية النار قيل هم أولاد مروان بن الحكم أخبر النبي عنهم وهم صبيان بانهم من أهل النار ، ومرقوا عن الدين في كبرهم . وخير النساء فاطمة . وحمالة الحطب : أم جميل بنت حرب عمة معاوية وزوجة أبي لهب .

(٥) أي هذه الفضائل المعدودة لنا وأضدادها المسرودة لكم قليل في كثير مما لنا وعليكم .

فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لا تُدْفَعُ [1] ، وَكِتَابُ ٱللهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا ، وَهُوَ قَوْلُهُ « وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللهِ » وَقَوْلُهُ تَعَالَى « إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱللهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ » فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ . وَلَمَّا ٱحْتَجَّ ٱلْمُهَاجِرُونَ عَلَى ٱلْأَنْصَارِ يَوْمَ ٱلسَّقِيفَةِ بِرَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَلَجُوا عَلَيْهِمْ [2] ، فَإِنْ يَكُنِ ٱلْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ .

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ ٱلْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ ، فَإِنْ يَكُنْ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ فَلَيْسَ ٱلْجِنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونَ ٱلْعُذْرُ إِلَيْكَ * وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا [3] *

وَقُلْتَ : إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ ٱلْجَمَلُ ٱلْمَخْشُوشُ حَتَّى

---

(١) شرفنا في الجاهلية لا ينكره أحد .

(٢) يوم السقيفة عندما اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة بعد موت النبي ﷺ ليختاروا خليفة له وطلب الانصار ان يكون لهم نصيب في الخلافة ، فاحتج المهاجرون عليهم بانهم شجرة الرسول ففلجوا أي ظفروا بهم ، فظفر المهاجرين بهذه الحجة ظفر لأمير المؤمنين على معاوية ، لأن الامام من ثمرة شجرة الرسول ، فان لم تكن حجة المهاجرين بالنبي صحيحة فالأنصار قائمون على دعواهم من حق الخلافة ، فليس لمثل معاوية حق فيها لأنه اجنبي منهم .

(٣) شكاة ـ بالفتح ـ أى نقيصة وأصلها المرض . وظاهر من ظهر إذا صار ظهراً أي خلفاً أي بعيد . والشطرة لأبي ذؤيب ، وأول البيت : وعيرها الواشون أني أحبها .

أُبَايِعَ [1] وَلَعَمْرُ ٱللهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ . وَمَا عَلَى ٱلْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً [2] مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ . وَهٰذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا [3] ، وَلٰكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا .

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هٰذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ [4] فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ [5] وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ . أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ [6] ، أَمْ مَنِ ٱسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ ٱلْمَنُونَ إِلَيْهِ [7] حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ . كَلَّا وَٱللهِ « لَقَدْ عَلِمَ ٱللهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ [8] وَٱلْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً » .

---

(١) الخشاش — ككتاب — ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب لينقاد . وخششت البعير : جعلت في أنفه الخشاش ، طعن معاوية على الامام بانه كان يجبر على مبايعة السابقين من الخلفاء .

(٢) الغضاضة : النقص .

(٣) يحتج الامام على حقه لغير معاوية لأنه مظنة الاستحقاق ، أما معاوية فهو منقطع عن جرثومة الأمر فلا حاجة للاحتجاج عليه . وسنح أي ظهر وعرض .

(٤) لقرابتك منه يصح الجدال معك فيه .

(٥) أعدى : أشد عدواناً . والمقاتل : وجوه القتل .

(٦) من بذل النصرة هو الامام واستقعده عثمان أي طلب قعوده ولم يقبل نصره .

(٧) استنصر عثمان بعشيرته من بني أمية كمعاوية فخذلوه وخلوا بينه وبين الموت فكأنما بثوا المنون أي أفضوا بها اليه

(٨) المعوقون : المانعون من النصرة .

وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً [١] ، فَإِنْ كَانَ ٱلذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

* وَقَدْ يَسْتَفِيدُ ٱلظِّنَّةَ ٱلْمُتَنَصِّحُ [٢] « وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا ٱلْإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِٱللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ » .

وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَابِي إِلَّا ٱلسَّيْفُ . فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ ٱسْتِعْبَارٍ [٣] ، مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ عَنِ ٱلْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ [٤] وَبِالسُّيُوفِ مُخَوَّفِينَ * لَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ ٱلْهَيْجَا حَمَلْ [٥] * فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ [٦] فِي جَحْفَلٍ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ

---

(١) نقم عليه – كضرب – عاب عليه . والأحداث : جمع حدث ، البدعة .

(٢) الظنة – بالكسر – التهمة . والمتنصح المبالغ في النصح لمن لا ينتصح أي ربما تنشأ التهمة من اخلاص النصيحة عند من لا يقبلها . وصدر البيت : وكم سقت في آثاركم من نصيحة .

(٣) الاستعبار البكاء فقوله يبكي من جهة أنه اصرار على غير الحق وتفريق في الدين ، ويضحك لتهديد من لا يهدد .

(٤) ألفيت : وجدت . وناكلين : متأخرين .

(٥) لبث – بتشديد الباء – فعل أمر من لبثه اذا استزاد لبثه . أي مكثه ، يريد أمهل . والهيجاء : الحرب . وحمل – بالتحريك – هو ابن بدر رجل من قشير أغير على ابله في الجاهلية فاستنقذها وقال :

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل لا بأس بالموت اذا الموت نزل

فصار مثلا يضرب للتهديد بالحرب .

(٦) مرقل : مسرع . والجحفل : الجيش العظيم .

وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ [1] ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ ، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ [2] أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ ، قَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ [3] وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ [4] « وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ »

وَمِن كتابٍ له عليه السّلام

الى أهل البصرة

وَقَدْ كَانَ مِنَ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبُوا عَنْهُ [5] فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ . فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ الْمُرْدِيَةُ [6] وَسَفَهُ الْآرَاءِ الْجَائِرَةِ إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلَافِي فَهَا أَنَاذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي [7]

---

(١) صفة لجحفل . والساطع : المنتشر . والقتام ـ بالفتح ـ : الغبار .

(٢) متسربلين : لابسين لباس الموت كأنهم في أكفانهم .

(٣) من ذرارى أهل بدر .

(٤) أخوه حنظلة وخاله الوليد بن عتبة وجده عتبة بن ربيعة .

(٥) انتشار الحبل: تفرق طاقاته وانحلال فتله مجاز عن التفرق. وغبا عنه: جهله .

(٦) خطت : تجاوزت . والمردية : المهلكة . وسفه الآراء: ضعفها . والجائرة: المائلة عن الحق . والمنابذة : المخالفة .

(٧) قرب خيله : أدناها منه ليركبها . ورحل ركابه : شد الرحال عليها . والركاب : الابل .

وَرَحَلتُ رِكَابِي ، وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى ٱلْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لَا يَكُونُ يَوْمُ ٱلْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعْقَةِ لَاعِقٍ[1] ، مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي ٱلطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ وَلِذِي ٱلنَّصِيحَةِ حَقَّهُ ، غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَى بَرِيءٍ ، وَلَا نَاكِثاً إِلَى وَفِيٍّ[2] .

وَمِن كِتَابٍ لَه عَلَيهِ السَّلام

إلى معاوية

فَاتَّقِ ٱللهَ فِيمَا لَدَيْكَ ، وَٱنْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ ، وَٱرْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً ، وَسُبُلاً نَيِّرَةً ، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً[3] وَغَايَةً مَطْلُوبَةً يَرِدُهَا ٱلْأَكْيَاسُ[4] وَيُخَالِفُهَا ٱلْأَنْكَاسُ . مَنْ نَكَّبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ ٱلْحَقِّ ، وَخَبَطَ فِي ٱلتِّيهِ[5] ، وَغَيَّرَ ٱللهُ نِعْمَتَهُ ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ . فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ ، فَقَدْ بَيَّنَ ٱللهُ لَكَ سَبِيلَكَ . وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ

---

(١) في السهولة وسرعة الانتهاء . واللعقة اللحسة .

(٢) الناكث : ناقض عهده .

(٣) المحجة : الطريق الواضحة . والنهجة : الواضحة كذلك .

(٤) الأكياس العقلاء : جمع كيس ، كسيد والأنكاس : جمع نكس : ـ بكسر النون ـ الدنيء الخسيس .

(٥) نكب : عدل . وجار : مال . وخبط : مشى على غير هداية . والتيه : الضلال .

أُمُورَكَ فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ [١]، وَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرًّا، وَأَقْحَمَتْكَ غَيًّا [٢]، وَأَوْرَدَتْكَ ٱلْمَهَالِكَ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ ٱلْمَسَالِكَ [٣].

ومن وصيّة له عليه السلام

للحسن بن علي عليهما السلام

كتبها إليه بحاضرين منصرفاً من صفّين [٤]

[يصف نفسه واولاده في معرض الوعظ والتنفير من الدنيا]

مِنَ ٱلْوَالِدِ ٱلْفَانِ. ٱلْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ [٥]، ٱلْمُدْبِرِ ٱلْعُمْرِ، ٱلْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ. ٱلذَّامِّ لِلدُّنْيَا، ٱلسَّاكِنِ مَسَاكِنَ ٱلْمَوْتَى. وَٱلظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً. إِلَى ٱلْمَوْلُودِ ٱلْمُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرَكُ [٦]، ٱلسَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ ٱلْأَسْقَامِ وَرَهِينَةِ ٱلْأَيَّامِ.

---

(٣) أجريت مطيتك مسرعاً إلى غاية خسران.

(٤) أولجتك: أدخلتك. وأقحمتك: رمت بك في الغي ضد الرشاد.

(٥) أوعرت: أخشنت وصعبت.

(٦) [ويقول جعفر بن بابويه القمّي: ان هذه الوصية كتبها الامام الى ابنه محمد بن الحنيفة وهي من أفصح الكلام وأبلغه وأشمله لدقائق الحكمة ولطائفها] حاضرين اسم بلدة في نواحي صفين.

(٧) المعترف له بالشدة.

(٨) يؤمل البقاء وهو مما لا يدركه أحد.

وَرَمِيَّةِ ٱلْمَصَائِبِ [١] . وَعَبْدِ ٱلدُّنْيَا . وَتَاجِرِ ٱلْغُرُورِ . وَغَرِيمِ ٱلْمَنَايَا . وَأَسِيرِ ٱلْمَوْتِ . وَحَلِيفِ ٱلْهُمُومِ . وَقَرِينِ ٱلْأَحْزَانِ . وَنُصُبِ ٱلْآفَاتِ [٢] . وَصَرِيعِ ٱلشَّهَوَاتِ ، وَخَلِيفَةِ ٱلْأَمْوَاتِ .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ ٱلدُّنْيَا عَنِّي وَجُمُوحِ ٱلدَّهْرِ عَلَيَّ [٣] وَإِقْبَالِ ٱلْآخِرَةِ إِلَى مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ [٤] ، وَٱلِاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي [٥] ، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ ٱلنَّاسِ هَمُّ نَفْسِي ، فَصَدَفَنِي رَأْيِي وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ [٦] ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ ، وَصِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ . وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي ، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي ، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي ، وَكَأَنَّ ٱلْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي ، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ [٧] مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ .

---

(١) هدفها ترمي اليه سهامها . والرهينة المرهونة أي أنه في قبضتها وحكمها . والرمية ما أصابه السهم .

(٢) من قولهم فلان نصب عيني –بالضم– أي لا يفارقني . والصريع : الطريح .

(٣) جموح الدهر : استعصاؤه وتغلبه .

(٤) ما مفعول تبينت .

(٥) من أمر الآخرة .

(٦) صدفه : صرفه ، والضمير في صرفني للرأي . ومحض الأمر : خالصه .

(٧) مفعول كتب . هو قوله فاني أوصيك الخ . وقوله مستظهراً به أي مستعيناً بما أكتب اليك على ميل قلبك وهوى نفسك .

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى ٱللهِ - أَيْ بُنَيَّ - وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَٱلِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ. وَأَيُّ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ؟

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ ٱلْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ[1]، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ ٱلدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ ٱلدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ ٱللَّيَالِي وَٱلْأَيَّامِ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ ٱلْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ ٱلْأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا ٱنْتَقَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ ٱنْتَقَلُوا عَنِ ٱلْأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دِيَارَ ٱلْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ. فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ. وَدَعِ ٱلْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَٱلْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ. وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ فَإِنَّ ٱلْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ ٱلضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ ٱلْأَهْوَالِ. وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ ٱلْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ[2]. وَجَاهِدْ فِي ٱللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي

---

(١) أطلب منه الاقرار بالفناء. وبصره أي اجعله بصيراً بالفجائع جمع فجيعة وهي المصيبة تفزع بحلولها.

(٢) باين أي باعد وجانب الذي يفعل المنكر.

اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ . وَخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ [١] ، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ ! وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلٰهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ [٢] ، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ . وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ ، وَأَكْثِرِ الاسْتِخَارَةَ [٣] وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي ، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً [٤] فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ [٥] .

أَيْ بُنَيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً [٦] ، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي [٧] ، وَأَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نَقَصْتُ فِي جِسْمِي [٨] ، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا [٩] ، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ .

---

(١) الغمرات : الشدائد .
(٢) الكهف الملجأ . والحريز : الحافظ .
(٣) الاستخارة . اجالة الرأي في الأمر قبل فعله لاختيار أفضل وجوهه .
(٤) صفحا أي جانبا أي لا تعرض عنها .
(٥) لا يحق بكسر الحاء وضمها أي لا يكون من الحق كالسحر ونحوه .
(٦) أي وصلت النهاية من جهة السن . والوهن : الضعف .
(٧) أفضى : ألقى اليك .
(٨) وان أنقص عطف على ان يعجل .
(٩) أي يسبقني بالاستيلاء على قلبك غلبات الاهواء فلا تتمكن نصيحتي من النفوذ الى فؤادك فتكون كالفرس الصعب غير المذلل . والنفور ضد الآنس .

وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ. فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ [1]، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَٰلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ [2].

أَيْ بُنَيَّ إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ. بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَٰلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ [3] وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ [4] أَنْ يَكُونَ [5] ذَٰلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ وَمُقْتَبَلُ

---

(١) ليكون جد رأيك أي محققه وثابته مستعداً لقبول الحقائق التي وقف عليها أهل التجارب و كفوك طلبها . والبغية ـ بالكسر ـ : الطلب .

(٢) استبان : ظهر إذا انضم رأيه الى آراء أهل التجارب فربما يظهر له ما لم يكن ظهر لهم فان رأيه يأتي بامر جديد لم يكونوا أتوا به .

(٣) النخيل : المختار المصفى . وتوخيت أي تحريت .

(٤) أجمعت : عزمت عطف على يعني الوالد .

(٥) أن يكون : مفعول رأيت .

ٱلدَّهْرِ ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ ، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ ٱللهِ وَتَأْوِيلِهِ ، وَشَرَائِعِ ٱلْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، لَا أُجَاوِزُ ذٰلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ (١) . ثُمَّ أَشْفَقْتُ (٢) أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا ٱخْتَلَفَ ٱلنَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ ٱلَّذِي ٱلْتَبَسَ عَلَيْهِمْ (٣) ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذٰلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتَ مِنْ تَنْبِيهِكَ بِهِ ٱلْهَلَكَةَ (٤) . وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ ٱللهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هٰذِهِ .

وَٱعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى ٱللهِ وَٱلِاقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ ٱللهُ عَلَيْكَ ، وَٱلْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ ٱلْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ ، وَٱلصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ (٥) ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذٰلِكَ إِلَى ٱلْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا

---

(١) لا أتعدى بك كتاب الله الى غيره بل أقف بك عنده .

(٢) أشفقت أي خشيت وخفت .

(٣) مثل : صفة لمفعول مطلق محذوف أي التباساً مثل الذي كان لهم .

(٤) أي أنك، وان كنت تكره ان ينبهك أحد لما ذكرت لك، فاني أعد اتقان التنبيه على كراهتك له أحب الي من اسلامك أي القائك الى أمر تخشى عليك به الهلكة .

(٥) لم يتركوا النظر لأنفسهم في أول امرهم بعين لا ترى نقصاً ولا تحذر خطراً ثم ردتهم آلام التجربة الى الأخذ بما عرفوا حسن عاقبته، وامساك انفسهم عن عمل لم يكلفهم الله اتيانه .

وَٱلْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا . فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذٰلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذٰلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ ، لَا بِتَوَرُّطِ ٱلشُّبُهَاتِ وَعُلُوِّ ٱلْخُصُومَاتِ . وَٱبْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذٰلِكَ بِالاسْتِعَانَةِ بِإِلٰهِكَ ، وَٱلرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ [1] ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ . فَإِذَا أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذٰلِكَ هَمًّا وَاحِداً ، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ . وَإِنْ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ ، وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ ٱلْعَشْوَاءَ [2] وَتَتَوَرَّطُ ٱلظَّلْمَاءَ . وَلَيْسَ طَالِبُ ٱلدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ ، وَٱلْإِمْسَاكُ عَنْ ذٰلِكَ أَمْثَلُ [3] .

فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي ، وَٱعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ ٱلْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ ٱلْحَيَاةِ ، وَأَنَّ ٱلْخَالِقَ هُوَ ٱلْمُمِيتُ ، وَأَنَّ ٱلْمُفْنِيَ هُوَ ٱلْمُعِيدُ ، وَأَنَّ ٱلْمُبْتَلِيَ هُوَ ٱلْمُعَافِي ، وَأَنَّ ٱلدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا ٱللّٰهُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلنَّعْمَاءِ [4] ، وَٱلِابْتِلَاءِ ، وَٱلْجَزَاءِ فِي ٱلْمَعَادِ

---

(١) الشائبة : ما يشوب الفكر من شك وحيرة . وأولجتك : أدخلتك

(٢) العشواء : الضعيفة البصر أي تخبط خبط الناقة العشواء لا تأمن ان تسقط فيما لا خلاص منه . وتورط الأمر : دخل فيه على صعوبة في التخلص منه .

(٣) حبس النفس عن الخلط والخبط في الدين أحسن .

(٤) لا تثبت الدنيا إلا على ما أودع الله في طبيعتها من التلون بالنعماء تارة والاختبار بالبلاء تارة واعقابها للجزاء في المعاد يوم القيامة على الخير خيراً وعلى الشر شراً .

أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا نَعْلَمُ ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ جَاهِلاً ثُمَّ عَلِمْتَ . وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ . فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ (١) .

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَارْضَ بِهِ رَائِداً (٢) ، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِداً ، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً (٣) . وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ - وَإِنِ اجْتَهَدْتَ - مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ .

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ ، وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ . لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ . وَلَا يَزُولُ أَبَداً . وَلَمْ يَزَلْ أَوَّلَ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ (٤) . وَآخِرٌ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ . عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ . فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ (٥) ،

---

(١) شفقتك أي خوفك .

(٢) الرائد من ترسله في طلب الكلأ ليتعرف موقعه . والرسول قد عرف عن الله واخبرنا فهو رائد سعادتنا .

(٣) [لم آلك نصيحة] أي : لم اقصر في نصيحتك .

(٤) فهو أول بالنسبة الى الاشياء لكونه قبلها إلا انه لا أولية أي لا ابتداء له .

(٥) خطره أي قدره .

وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ ، وَالرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ . فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنٍ ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ .

يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا ، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الأَمْثَالَ لِتَعْتَبِرَ بِهَا وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا . إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا [1] كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً وَجَنَاباً مَرِيعاً ، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ [2] وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ أَلَماً ، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرَماً ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ .

وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ

---

(١) خبر الدنيا : عرفها كما هي بامتحان أحوالها . والسفر ـ بفتح فسكون ـ المسافرون . ونبا المنزل بأهله : لم يوافقهم المقام فيه لوخامته . والجديب : المقحط لا خير فيه . وأموا : قصدوا . والجناب : الناحية . والمريع ـ بفتح فكسر ـ : كثير العشب .

(٢) وعثاء السفر : مشقته . والجشوبة ـ بضم الجيم ـ : الغلظ ، أو كون الطعام بلا أدم .

عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ[1] وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ .

يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا ، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ . وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ[2] . وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الْأَلْبَابِ[3] . فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ[4] وَلَا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ[5] . وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ[6] وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ . وَأَنَّهُ لَا غِنَى لَكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْارْتِيَادِ[7] . قَدْرَ بَلَاغِكَ مِنَ

---

(١) هجم عليه : انتهى اليه بغتة .

(٢) اذا عاملوك بمثل ما تعاملهم فارض بذلك ولا تطلب منهم أزيد مما تقدم لهم .

(٣) الاعجاب : استحسان ما يصدر عن النفس مطلقاً وهو خلق من أعظم الاخلاق مصيبة على صاحبه ، ومن الآفات ضرراً اقلبه .

(٤) الكدح : أشد السعي .

(٥) لا تحرص على جمع المال ليأخذه الوارثون بعدك بل انفق فيما يجلب رضاء الله عنك .

(٦) هو طريق السعادة الابدية .

(٧) الارتياد : الطلب . وحسنه : اتيانه من وجهه . والبلاغ -بالفتح- : الكفاية .

ٱلزَّادِ مَعَ خِفَّةِ ٱلظَّهْرِ . فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونَ ثِقْلُ ذٰلِكَ وَبَالاً عَلَيْكَ . وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ (١) . وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ . وَٱغْتَنِمْ مَنِ ٱسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ .

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤُوداً (٢) ، ٱلْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ ٱلْمُثْقِلِ ، وَٱلْمُبْطِىءُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ ٱلْمُسْرِعِ ، وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ . فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ (٣) وَوَطِّئِ ٱلْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ ، فَلَيْسَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ (٤) ، وَلَا إِلَى ٱلدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ .

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي ٱلدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ

---

(١) الفاقة : الفقر ، واذا اسعفت الفقراء بالمال كان أجر الاسعاف وثوابه ذخيرة تنالها في القيامة ، فكأنهم حملوا عنك زاداً يبلغك موطن سعادتك يؤدونه اليك وقت الحاجة . وهذا الكلام من أفصح ما قيل في الحث على الصدقة .

(٢) صعبة المرتقى . والمخف ـ بضم فكسر ـ : الذي خفف حمله ، والمثقل بعكسه ، وهو من أثقل ظهره بالأوزار .

(٣) ابعث رائداً من طيبات الاعمال توقفك الثقة به على جودة المنزل .

(٤) المستعتب والمنصرف مصدران، والاستعتاب : الاسترضاء، ولا انصراف الى الدنيا بعد الموت حتى يمكن استرضاء الله بعد اغضابه باستئناف العمل

وَتسترحمهُ لِيرحمك ، وَلَمْ يجعل بَيْنك وَبَيْنه من يحجبُهُ عنْك ، وَلَمْ يُلجئك إلى مَن يشفع لكَ إلَيْه ، وَلَمْ يمنعك إن أسأت مِنَ التَّوْبة ، وَلَمْ يُعَاجلك بالنِّقمةِ ، وَلَمْ يُعيِّرْك بِالإِنَابَةِ [١] وَلَمْ يَفضحك حيث الفضيحة بك أوْلى ، وَلَمْ يُشدِّدْ عليك في قبول الإنابَةِ ، وَلَمْ يُناقشك بِالجريمَةِ ، وَلَمْ يُؤْيسك من الرَّحمَة . بل جعل نُزوعك عن الذنب حسنة [٢] ، وحسب سيِّئتك واحدة ، وحسب حسنتك عشرًا ، وفتح لك باب المتاب . فإذا ناديته سمع نداءك ، وإذا ناجيته علم نجواك [٣] فأفضيت إليه بحاجتك [٤] ، وأبثثته ذات نفسك ، وشكوت إليه هُمومك ، واستكشفته كُروبك [٥] ، واستعنته على أمورك ، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار وصحَّةِ الأبدان وسعةِ الأرزاق . ثُمَّ جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من مسألته ، فمتى شئت استفتحت بالدُّعاء أبواب نعمته ، واستمطرت شآبيب رحمته [٦] . فلا يُقنِّطنَّك

---

(١) الانابة : الرجوع الى الله ، والله لا يعير الراجع اليه برجوعه .

(٢) نزوعك : رجوعك .

(٣) المناجاة : المكالمة سراً . والله يعلم السر كما يعلم العلن .

(٤) أفضيت : ألقيت . وأبثثته : كاشفته . وذات النفس : حالتها .

(٥) طلبت كشفها .

(٦) الشؤبوب – بالضم – : الدفعة من المطر ، وما اشبه رحمة الله بالمطر ينزل على الأرض الموات فيحييها ، وما اشبه نوباتها بدفعات المطر .

إبْطَاءِ إجَابَتِهِ [1] فَإِنَّ ٱلعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ ٱلنِّيَّةِ . وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ ٱلْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذٰلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ ٱلسَّائِلِ وَأَجْزَلَ لِعَطاءِ ٱلآمِلِ . وَرُبَّمَا سَأَلتَ ٱلشَّيْءَ فَلاَ تُؤْتَاهُ وَأُوتِيتَ خَيْرًا مِنْـهُ عَاجلاً أَوْ آجِـلاً ، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ . فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ . فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ . فَالْمَالُ لا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ .

وَٱعْلَمْ أَنَّكَ إنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لا لِلدُّنْيَا ، وَلِلْفَنَـاءِ لا لِلْبَقَاءِ ، وَلِلْمَوْتِ لا لِلْحَياةِ ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ [2] وَدَارِ بُلْغَةٍ ، وَطَرِيقٍ إِلَي ٱلآخِرَةِ ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي لا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ ، فَكُنْ مِنْـهُ عَلَى حَذَرِ أَنْ يُدْرِكَكَ [3] وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَـةِ فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذٰلِكَ ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ .

ذكر الموت

يَا بُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ ٱلْمَوْتِ ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْـهِ ،

---

(١) القنوط : اليأس .

(٢) قلعة – بضم القاف وسكون اللام، وبضمتين ، وبضم ففتح ، يقال منزل قلعة اي لا يملك لنازله ، أو لا يدري متى ينتقل عنه . والبلغة : الكفـاية أي دار تؤخذ منها الكفاية للآخرة .

(٣) [مصدر ان يدر كك في محل جر بالأضافة ولذلك امتنع تنوين حذر] .

وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ[١] وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ، وَلَا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ[٢]. وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا[٣]، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا[٤]، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضاً[٥]، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا. نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ[٦]، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا[٧] وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحُ عَاهَةٍ[٨] بِوَادٍ وَعْثٍ. لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلَا مُقِيمٌ يُسِيمُهَا[٩]. سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى،

---

(١) الحذر – بالكسر – الاحتراز والاحتراس . والازر – بالفتح – القوة.

(٢) بهر – كمنع – : غلب ، اي يغلبك على امرك .

(٣) اخلاد أهل الدنيا : سكونهم اليها . والتكالب : التواثب .

(٤) نعاه : أخبر بموته . والدنيا تخبر بحالها عن فنائها .

(٥) ضارية : مولعة بالافتراس . يهر – بكسر الهاء وضمها – : أي يمقت ويكره بعضها بعضاً .

(٦) عقل البعير – بالتشديد – : شد وظيفه الى ذراعه . والنعم – بالتحريك – : الابل ، أي ابل منعها عن الشر عقالها وهم الضعفاء ، وأخرى مهملة تأتي من السوء ما تشاء وهم الاقوياء .

(٧) أضلت : اضاعت عقولها وركبت طريقها المجهول لها .

(٨) السروح – بالضم – : جمع سرح بفتح فسكون وهو المال السائم من ابل ونحوها . والعاهة الآفة ، اي أنهم يسرحون لرعي الآفات وادي المتاعب . والوعث : الرخو يصعب السير فيه

(٩) أسام الدابة : سرحها الى المرعى .

وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ ٱلْهُدَى ، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا ، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا ، وَٱتَّخَذُوهَا رَبًّا ، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا ، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا .

الترفق في الطلب

رُوَيْداً يُسْفِرُ ٱلظَّلَامُ[1] . كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ ٱلْأَظْعَانُ[2] . يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ . وَٱعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً وَيَقْطَعُ ٱلْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً[3] .

وَٱعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ . فَخَفِّضْ فِي ٱلطَّلَبِ[4] ، وَأَجْمِلْ فِي ٱلْمُكْتَسَبِ ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ[5] فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ . وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى ٱلرَّغَائِبِ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا

---

(٥) يسفر : أي يكشف ظلام الجهل عما خفي من الحقيقة عند انجلاء الغفلة بحلول المنية .

(٦) الأظعان – جمع ظعينة – وهو الهودج تركب فيه المرأة ، عبرته عن المسافرين في طريق الدنيا الى الآخرة كأن حالهم أن وردوا على غاية سيرهم .

(٧) الوادع : الساكن المستريح .

(٨) خفض : أمر من خفض – بالتشديد – أي رفق . وأجمل في كسبه : أي سعى سعياً جميلا لا يحرص فيمنع الحق ولا يطمع فيتناول ما ليس بحق .

(١) الحرب – بالتحريك – : سلب المال [والشقاء]

تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً [١] ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ ٱللّٰهُ حُرّاً . وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ [٢] ، وَيُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ [٣] .

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا ٱلطَّمَعِ [٤] فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ ٱلْهَلَكَةِ . وَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللّٰهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ . فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ وَآخِذٌ سَهْمَكَ . وَإِنَّ ٱلْيَسِيرَ مِنَ ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ ٱلْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ [٥] .

وصايا شتى

وَتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ

---

(١) ان رغائب المال انما تطلب لصون النفس عن الابتذال ، فلو بذل باذل نفسه لتحصيل المال فقد ضيع ما هو المقصود من المال فكان جمع المال عبثاً ولا عوض لما ضيع .

(٢) يريد أي خير في شيء سماه الناس خيراً وهو مما لا يناله الانسان إلا بالشر، فإن كان طريقه شراً فكيف يكون هو خيراً .

(٣) ان العسر الذي يخشاه الانسان هو ما يضطره لرذيل الفعال فهو يسعى كل جهده ليتحامى الوقوع فيه فان جعل الرذائل وسيلة لكسب اليسر أي السعة فقد وقع أول الأمر فيما يهرب منه فما الفائدة في يسره وهو لا يحميه من النقيصة .

(٤) توجف : تسرع . والمناهل ما ترده الابل ونحوها للشرب .

(٥) [ليس أفعل في النفس من هذا الكلام الذي يكاد من قوته وإصابته الحق يقطع القارىء المؤمن لفوره عن الدنيا] .

مِنْ مَنْطِقِكَ [1]، وَحِفْظُ مَا فِي ٱلْوِعَاءِ بِشَدِّ ٱلْوِكَاءِ. وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدِ غَيْرِكَ [2]. وَمَرَارَةُ ٱلْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ ٱلطَّلَبِ إِلَى ٱلنَّاسِ. وَٱلْحِرْفَةُ مَعَ ٱلْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْغِنَى مَعَ ٱلْفُجُورِ. وَٱلْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ [3]. وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ [4]. مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ [5]. وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ. قَارِنْ أَهْلَ ٱلْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ. وَبَايِنْ أَهْلَ ٱلشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ. بِئْسَ ٱلطَّعَامُ ٱلْحَرَامُ. وَظُلْمُ ٱلضَّعِيفِ أَفْحَشُ ٱلظُّلْمِ. إِذَا كَانَ ٱلرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ ٱلْخُرْقُ رِفْقاً [6]. رُبَّمَا كَانَ ٱلدَّوَاءُ دَاءً وَٱلدَّاءُ دَوَاءً. وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ ٱلنَّاصِحِ وَغَشَّ ٱلْمُسْتَنْصَحُ [7]. وَإِيَّاكَ وَٱتِّكَالَكَ عَلَى ٱلْمُنَى فَإِنَّهَا

---

(١) التلافي: التدارك لاصلاح ما فسد أو كاد. وما فرط أي قصر عن افادة الغرض أو انالة الوطر. وادراك ما فات هو اللحاق به لأجل استرجاعه، وفات أي سبق الى غير صواب؛ وسابق الكلام لا يدرك فيسترجع بخلاف مقصر السكوت فسهل تداركه، وإنما يحفظ الماء في القربة مثلاً بشد وكائها أي رباطها، وإن لم يشد الوكاء صب ما في الوعاء ولم يمكن ارجاعه فكذلك اللسان.

(٢) ارشاد للاقتصاد في المال.

(٣) فالأولى عدم اباحته لشخص آخر وإلا فشا.

(٤) قد يسعى الانسان بقصد فائدته فينقلب سعيه بالضرر عليه لجهله أو سوء قصده.

(٥) أهجر إهجاراً وهجراً بالضم: هذا [يهذي] في كلامه. وكثير الكلام لا يخلو من الاهجار.

(٦) إذا كان المقام يلزمه العنف فيكون ابداله بالرفق عنفاً ويكون العنف من الرفق، وذلك كمقام التأديب وإجراء الحدود مثلا. والخرق -بالضم-: العنف.

(٧) المستنصح - اسم مفعول -: المطلوب منه النصح فيلزم التفكر والتروي في جميع الاحوال لئلا يروج غش او تنبذ نصيحة.

بَضَائِعُ ٱلْمَوْتَى [١] ، وَٱلْعَقْلُ حِفْظُ ٱلتَّجَارِبِ . وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ [٢] . بَادِرِ ٱلْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً . لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ . وَمِنَ ٱلْفَسَادِ إِضَاعَةُ ٱلزَّادِ [٣] وَمَفْسَدَةُ ٱلْمَعَادِ . وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ . سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ . التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ . وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ . لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ [٤] وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ . سَاهِلِ ٱلدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ [٥] . وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ ٱللَّجَاجِ [٦] .

احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى ٱلصِّلَةِ [٧] ، وَعِنْدَ

---

(١) المنى : جمع منية – بضم فسكون – ما يتمناه الشخص لنفسه ويعلل نفسه باحتمال الوصول اليه ، وهي بضائع الموتى لأن المتجر بها يموت ولا يصل الى شيء، فان تمنيت فاعمل لأمنيتك .

(٢) افضل التجربة ما زجرت عن سيئة وحملت على حسنة وذلك الموعظة .

(٣) زاد الصالحات والتقوى، او المراد إضاعة المال مع مفسدة المعاد بالاسراف في الشهوات وهو أظهر .

(٤) مهين إما بفتح الميم بمعنى حقير فان الحقير لا يصلح لأن يكون معينا ، أو بضمها بمعنى فاعل الاهانة فيعينك ويهينك فيفسد ما يصلح . والظنين بالظاء : المتهم وبالضاد البخيل .

(٥) القعود بالفتح من الابل ما يقتعده الراعي في كل حاجته، ويقال للبكر الى ان يثنى وللفصيل ، أي ساهل الدهر ما دام منقاداً وخذ حظك من قياده .

(٦) اللجاج – بالفتح – : الخصومة أي احذرك من ان تغلبك الخصومات فلا تملك نفسك من الوقوع في مضارها .

(٧) صرمه : قطيعته ، أي الزم نفسك بصلة صديقك إذا قطعك الخ .

صُدُودِهِ عَلَى ٱللُّطفِ وَٱلْمُقَارَبَةِ . وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى ٱلْبَذْلِ [1] ،
وَعِنْـــدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى ٱلدُّنُوِّ ، وَعِنْـــدَ شِدَّتِهِ عَلَى ٱللِّينِ ،
وَعِنْدَ جُرْمِـهِ عَلَى ٱلْعُذْرِ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَـةٍ
عَلَيْكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذٰلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ
أَهْلِهِ . لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ . وَٱمْحَضْ
أَخَاكَ ٱلنَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً . وَتَجَرَّعِ ٱلْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ
جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً [2] . وَلِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ [3]
فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ . وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّـهُ
أَحْلَى ٱلظَّفَرَيْنِ [4] وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَٱسْتَبْقِ لَهُ مِنْ
نَفْسِكَ بَقِيَّةً تَرْجِـعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذٰلِكَ يَوْماً مَا [5] . وَمَنْ
ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ [6] . وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ ٱتِّكَالاً
عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ .
وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى ٱلْخَلْقِ بِكَ . وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ
فِيـكَ . وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى

---

(١) جموده : بخله .
(٢) المغبة – بفتحتين ثم باء مشددة – : بمعنى العاقبة ، وكظم الغيظ وإن صعب على النفس في وقته إلا أنها تجد لذته عند الافاقة من الغيظ ، فللعفو لذة إن كان في محله ، وللخلاص من الضرر المعقب لفعل الغضب لذة اخرى .
(٣) لن أمر من اللين ضد الغلظ والخشونة .
(٤) ظفر الانتقام وظفر التملك بالاحسان ، والثاني أحلى وأربح فائدة .
(٥) بقية من الصلة يسهل لك معها الرجوع اليه إذا ظهر له حسن العودة .
(٦) صدقه بلزوم ما ظن بك من الخير .

صِلَتِهِ[1] وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى ٱلإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى ٱلإِحْسَانِ، وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ .

وَٱعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ ٱلرِّزْقَ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ . مَا أَقْبَحَ ٱلْخُضُوعَ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ وَٱلْجَفَاءَ عِنْدَ ٱلْغِنَى ؟ إِنَّ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ[2] . وَإِنْ جَزِعْتَ عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ[3] فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ . اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ. فَإِنَّ ٱلْأُمُورَ أَشْبَاهٌ. وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ ٱلْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلَامِهِ ، فَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالآدَابِ ، وَٱلْبَهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ . أَطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ ٱلْهُمُومِ بِعَزَائِمِ ٱلصَّبْرِ وَحُسْنِ ٱلْيَقِينِ . مَنْ تَرَكَ ٱلْقَصْدَ جَارَ[4] وَٱلصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ[5] وَٱلصَّدِيقُ مَنْ

---

(١) مراده إذا أتى أخوك بأسباب القطيعة فقابلها بموجبات الصلة حتى تغلبه ولا يصح أن يكون أقدر على ما يوجب القطيعة منك على ما يوجب الصلة ، وهذا أبلغ قول في لزوم حفظ الصداقة .

(٢) منزلتك من الكرامة في الدنيا والآخرة .

(٣) تفلت ـ بتشديد اللام ـ أي تماص من اليد فلم تحفظه ، فالذي يجزع على ما فاته كالذي يجزع على ما لم يصله ، والثاني لا يحصر فينال، فالجزع عليه غير لائق فكذا الأول .

(٤) القصد : الاعتدال . وجار : مال عن الصواب .

(٥) يراعى فيه ما يراعى في قرابة النسب [ومنه رأي الصادق عليه السلام أن صحبة أربعين يوماً قرابة].

صدق غيبُهُ [١] . وَٱلْهوى شريكُ ٱلْعناء [٢] رُبَّ قريبٍ أبْعدُ مِنْ بعيدٍ ، وَرُبَّ بعيدٍ أقْربُ مِنْ قريبٍ . وَٱلْغريبُ مَنْ لَمْ يكُنْ لَهُ حبيبٌ . مَنْ تعدَّى ٱلْحقَّ ضاقَ مذْهبُهُ . وَمَنِ ٱقْتصرَ على قدْرِهِ كانَ أبْقى لَهُ . وَأوْثقُ سببٍ أخذْتَ بِهِ سببٌ بيْنكَ وَبيْنَ ٱللهِ . وَمَنْ لَمْ يُبالِكَ فهُوَ عدُوُّكَ [٣] قدْ يكُونُ ٱلْيأسُ إدْراكاً إذا كانَ ٱلطَّمعُ هلاكاً . ليْسَ كُلُّ عوْرةٍ تظْهرُ وَلا كُلُّ فُرْصةٍ تُصابُ . وَرُبَّما أخْطأَ ٱلْبصيرُ قصْدهُ وَأصابَ ٱلْأعْمى رُشْدهُ . أخِّرِ الشَّرَّ فإنَّكَ إذا شِئْتَ تعجَّلْتهُ [٤] . وَقطيعةُ ٱلْجاهِلِ تعْدلُ صِلةَ ٱلْعاقِلِ . مَنْ أمِنَ ٱلزَّمانَ خانهُ ، وَمَنْ أعْظمهُ أهانهُ [٥] . ليْسَ كُلُّ مَنْ رمى أصابَ . إذا تغيَّرَ السُّلْطانُ تغيَّرَ الزَّمانُ . سَلْ عنِ الرَّفيقِ قبْلَ ٱلطَّريقِ ، وَعنِ ٱلْجارِ قبْلَ ٱلدَّارِ . إيَّاكَ أنْ تذْكُرَ في ٱلْكلامِ ما يكُونُ مُضْحِكاً وَإنْ حكيْتَ ذٰلِكَ عنْ غيْرِكَ .

الرأي في المرأة

وَإيَّاكَ وَمُشاوَرةَ ٱلنِّساء فإنَّ رأْيهُنَّ إلى أفْنٍ ، وَعزْمهُنَّ إلى

---

(١) الغيب : ضد الحضور أي من حفظ لك حقك وهو غائب عنك .
(٢) الهوى شهوة غير منضبطة ولا مملوكة بسلطان الشرع والادب . والعناء الشقاء .
(٣) لم يبالك أي لم يهتم بأمرك . بالبته وباليت به أي راعيت واعتنيت به .
(٤) لأن فرص الشر لا تنقضي لكثرة طرقه ، وطريق الخير واحد وهو الحق .
(٥) من هاب شيئاً سلطه على نفسه .

وَهْنٍ [1]. وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ [2]، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ. وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ [3] وَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ بِغَيْرِهَا. وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ [4] فَإِنَّ ذَٰلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السُّقْمِ وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ. وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ لَا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ [5]. وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ.

دعاء

أَسْتَوْدِعُ اللّٰهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ. وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالسَّلَامُ.

---

(١) الأفن – بالتحريك –: ضعف الرأي. والوهن: الضعف.

(٢) أي اذا ادخلت على النساء من لا يوثق بامانته فكأنك أخرجتهن الى مختلط العامة فأي فرق بينهما؟

(٣) القهرمان الذي يحكم في الامور ويتصرف فيها بامره. ولا تعد – بفتح فسكون – أي لا تجاوز بكرامها نفسها فتكرم غيرها بشفاعتها. أين هذه الوصية من حال الذين يصرفون النساء في مصالح الأمة، بل ومن يختص بخدمتهن كرامةلهن.

(٤) التغاير: اظهار الغيرة على المرأة بسوء الظن في حالها من غير موجب.

(٥) يتواكلوا: يتكل بعضهم على بعض.

ومن كلام له عليه السلام

إلى معاوية

وَأَرْدَيْتَ جِيلاً [1] مِنَ ٱلنَّاسِ كَثِيراً خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ [2]، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ ٱلظُّلُمَاتُ، وَتَتَلاطَمُ بِهِمُ ٱلشُّبُهَاتُ، فَجَازُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ [3] وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ [4] إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَصَائِرِ فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى ٱللهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ [5] إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى ٱلصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ ٱلْقَصْدِ. فَاتَّقِ ٱللهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ ٱلشَّيْطَانَ قِيَادَكَ [6]، فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَٱلآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ. وَٱلسَّلامُ.

---

(١) أرديت: أهلكت جيلا، أي قبيلا وصنفا [من الناس وقد صار الجيل يستعمل الآن في صنف من الناس يجمعهم في زمان واحد]

(٢) الغي: الضلال، ضد الرشاد.

(٣) بعدوا عن وجهتهم - بكسر الواو - أي جهة قصدهم، كانوا يقصدون حقاً فمالوا الى باطل، ويروى «جاروا» بالراء المهملة - والمراد واحد. ونكصوا: رجعوا.

(٤) «عولوا» أي اعتمدوا على شرف قبائلهم فتعصبوا تعصب الجاهلية ونبذوا نصرة الحق، إلا من فاء - أي رجع - الى الحق.

(٥) الموازرة: المعاضدة.

(٦) القياد: ما تقاد به الدابة، أي إذا جذبك الشيطان بهواك فجاذبه، أي امنع نفسك من متابعته.

ومن كتاب له عليه السّلام

إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِي ـ بِالْمَغْرِبِ ـ[1] كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ عَلَى ٱلْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ[2] ٱلْعُمْيِ ٱلْقُلُوبِ، ٱلصُّمِّ ٱلْأَسْمَاعِ، ٱلْكُمْهِ ٱلْأَبْصَارِ[3]، ٱلَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ ٱلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُطِيعُونَ ٱلْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ ٱلْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ ٱلدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ[4]، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ ٱلْأَبْرَارِ وَٱلْمُتَّقِينَ. وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ، وَلَا يُجْزَى جَزَاءَ ٱلشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ. فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ ٱلْحَازِمِ ٱلصَّلِيبِ[5] وَٱلنَّاصِحِ ٱللَّبِيبِ، وَٱلتَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ ٱلْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ. وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ[6].

---

(١) «عيني» أي رقيبي في البلاد الغربية.

(٢) وجه ـ مبنى للمجهول ـ أي وجههم معاوية، والموسم: الحج.

(٣) الكمه، جمع اكمه، وهو من ولد أعمى.

(٤) يحتلبون الدنيا: يستخلصون خيرها، والدر ـ بالفتح ـ اللبن، أي ويجعلون الدين وسيلة لما ينالون من حطامها.

(٥) الصليب: الشديد، ويروى: «قيام الحازم الطبيب»، وكل حاذق عند العرب فهو طبيب.

(٦) احذر ان تفعل شيئاً يحتاج الى الاعتذار.

وَلا تَكُنْ عِنْدَ ٱلنَّعْماء بَطِراً [1] وَلا عِـنْدَ ٱلبَأْساء فَشِلاً .
وَٱلسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السّلام

الى محمد بن أبي بكر ، لما بلغه توجده من عزله [2] بالأشتر عن مصر
ثم توفى الأشتر في توجهه الى مصر قبل وصوله إليها

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الأَشْتَرِ إلَى عَمَلِكَ [3] ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذٰلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي ٱلْجَهْدِ ، وَلا ازْدِيَاداً فِي ٱلْجِدِّ [4] وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً ، وَأَعْجَبُ إلَيْكَ وِلَايَةً .

إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلاً لَنَـا نَاصِحاً ، وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً [5] فَرَحِمَهُ ٱللهُ ، فَلَقَدِ ٱسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ ، وَلَاقَى حِمَامَهُ [6] وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ ، أَوْلَاهُ ٱللهُ رِضْوَانَهُ ،

---

(١) البطر : شدة الفرح مع ثقة بدوام النعمة [ويتبع ذلك الاهمال الذي يضيع النعم] ، والبأساء : الشدة ، كما ان النعماء الرخاء والسعة .

(٢) توجده : تكدره .

(٣) « موجدتك » أي غيظك ، والتسريح : الارسال ، والعمل : الولاية .

(٤) أي ما رأيت منك تقصيراً فأردت ان اعاقبك بعزلك لتزداد جداً .

(٥) ناقماً أي كارهاً .

(٦) الحمام ـ بالكسر ـ : الموت .

وَضَاعَفَ ٱلثَّوَابَ لَهُ. فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ، وَٱمْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ[1]. شَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ، وَٱدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَأَكْثِرِ ٱلِاسْتِعَانَةَ بِٱللَّهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِنْكَ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ، إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبد الله بن العباس، بعد مقتل محمد بن أبي بكر

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ ٱفْتُتِحَتْ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ قَدِ ٱسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ ٱللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً[2] وَعَامِلاً كَادِحاً، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَرُكْناً دَافِعاً، وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ ٱلنَّاسَ عَلَى لِحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ ٱلْوَقْعَةِ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَجَهْراً، وَعَوْداً وَبَدْءاً، فَمِنْهُمُ ٱلْآتِي كَارِهاً، وَمِنْهُمُ ٱلْمُعْتَلُّ كَاذِباً، وَمِنْهُمُ ٱلْقَاعِدُ خَاذِلاً. وَأَسْأَلُ ٱللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلاً، فَوَٱللَّهِ لَوْلَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي ٱلشَّهَادَةِ، وَتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى ٱلْمَنِيَّةِ،

---

(١) «أصحر له»، أي ابرز له. من «أصحر» إذا برز للصحراء [وفارق الأبنية فصار مكشوفاً]

(٢) احتسبه عند الله: سأل الأجر على الرزية فيه، وسماه ولداً لأنه كان ربيباً له وأمه أسماء بنت عميس: كانت مع جعفر بن ابي طالب وولدت له محمداً وعوناً وعبد الله بالحبشة أيام هجرتها معه اليها، وبعد قتله تزوجها أبو بكر فولدت له محمداً هذا. وبعد وفاته تزوجها علي فولدت له يحيى. والكادح: المبالغ في سعيه.

لَاحْبَبْتُ أَنْ لَا أَلْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْماً وَاحِداً، وَلَا أَلْتَقِي بِهِمْ أَبَداً.

وِمن كتابٍ له عليه السلام

إلى أخيه عقيل بن أبي طالب، في ذكر جيش أنفذه الى بعض الأعداء
وهو جواب كتاب كتبه اليه عقيل

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَٰلِكَ شَمَّرَ هَارِباً، وَنَكَصَ نَادِماً، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ طَفَّلَتِ ٱلشَّمْسُ لِلْإِيَابِ [(١)] فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً، كَلَا وَلَا [(٢)]، فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضاً [(٣)] بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ [(٤)]، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ، فَلَأْياً بِلَأْيٍ مَا نَجَا [(٥)]، فَدَعْ عَنْكَ

---

(١) «طفلت تطفيلا» أي دنت وقربت، والاياب: الرجوع الى مغربها.

(٢) [لا ولا] كناية عن السرعة التامة، فان حرفين ثانيهما حرف لين سريع الانقضاء عند السمع، قال ابو برهان المغربي:

وأسرع في العين من لحظة   وأقصر في السمع من لا ولا

(٣) الجريض - بالجيم -: المغموم، وبالحاء: الساقط لا يستطيع النهوض.

(٤) المخنق - بضم ففتح فنون مشددة - الحلق محل ما يوضع الخناق، والرمق - بالتحريك -: بقية النفس.

(٥) لأيا: مصدر محذوف العامل، ومعناه الشدة والعسر، و «ما» بعده: مصدرية. و «نجا» في معنى المصدر، أي عسرت نجاته عسراً بعسر.

قُرَيْشاً وَتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ وَتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ [1] وَجِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - قَبْلِي ، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي [2] فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي [3] .

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللهَ [4] ، لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً ، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً ، وَلَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ - وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ - مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً ، وَلَا مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِناً ، وَلَا سَلِسَ الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ [5] ، وَلَا وَطِيءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُتَقَعِّدِ ، وَلٰكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سُلَيْمٍ :

فَإِنْ تَسْأَلِينِي : كَيْفَ أَنْتَ : فَإِنَّنِي * صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ [6]

---

(١) التركاض : مبالغة في الركض ، واستعاره لسرعة خواطرهم في الضلال ، وكذلك التجوال من الجول والجولان . والشقاق : الخلاف ؛ وجماحهم : استعصاؤهم على سابق الحق . والتيه : الضلال والغواية .

(٢) الجوازي : جمع جازية بمعنى المكافأة ، دعاء عليهم بالجزاء على أعمالهم .

(٣) [قوله ابن أمي] يريد رسول الله ﷺ ، فأن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين وبت رسول الله في حجرها فقال النبي في شأنها : « فاطمة أمي بعد أمي » [وذلك في حزنه عليه الصلاة والسلام يوم ماتت ونزل معها في قبرها]

(٤) المحلون : الذين يحلون القتال ويجوزونه .

(٥) السلس - بفتح فكسر - : السهل . والوطيء : اللين . والمتعقد : الذي يتخذ الظهر [أي الدابة] قعوداً يستعمله للركوب في كل حاجاته ، ويروى « للراكب المقتعد » اسم فاعل من الاقتعاد .

(٦) صليب : شديد .

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تَرَى بِي كَآبَةً[1] * فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية

فَسُبْحَانَ ٱللهِ ! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ ٱلْمُبْتَدَعَةِ، وَالْحَيْرَةِ ٱلْمُتْعِبَةِ[2] مَعَ تَضْيِيعِ ٱلْحَقَائِقِ، وَاطِّرَاحِ ٱلْوَثَائِقِ، الَّتِي هِيَ لِلهِ طِلْبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ[3] فَأَمَّا إِكْثَارُكَ ٱلْحِجَاجَ فِي عُثْمَانَ وَقَتَلَتِهِ[4] فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ ٱلنَّصْرُ لَكَ[5]، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ، وَالسَّلَامُ.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى أهل مصر، لما ولى عليهم الأشتر

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى ٱلْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا

---

(١) يعز علي : يشق علي، والكآبة : ما يظهر علـى الوجه من اثر الحزن، وعاد أي عدو.

(٢) ويروى « والحيرة المتبعة » اسم مفعول من « اتبعه ».

(٣) طلبة - بالكسر وبفتح فكسر - : مطلوبة.

(٤) الحجاج - بالكسر - : الجدال [بالاكثار من الحجج والالحاح فيها]

(٥) حيث كان الانتصار له فائدة لك تتخذه ذريعة لجمع الناس الى غرضك، أما وهو حي وكان النصر يفيده فقد خذلته وأبطأت عنه.

لِلّٰهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ ، فَضَرَبَ ٱلْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى ٱلْبَرِّ وَٱلْفَاجِرِ [١] ، وَٱلْمُقِيمِ وَٱلظَّاعِنِ ، فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ [٢] ، وَلَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ ٱللّٰهِ ، لَا يَنَامُ أَيَّامَ ٱلْخَوْفِ ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ ٱلْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ ٱلرَّوْعِ [٣] ، أَشَدَّ عَلَى ٱلْكُفَّارِ مِنْ حَرِيقِ ٱلنَّارِ ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ ٱلْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ [٤] ، فَاسْمَعُوا لَهُ ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ ٱلْحَقَّ ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ ٱللّٰهِ ، لَا كَلِيلُ ٱلظُّبَةِ [٥] ، وَلَا نَابِي ٱلضَّرِيبَةِ [٦] فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا ، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا ، فَإِنَّهُ لَا يُقْدِمُ وَلَا يُحْجِمُ ، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا

---

(١) السرادق ـ بضم السين ـ : الغطاء الذي يمد فوق صحن البيت . والغبار : الدخان . والبر ـ بفتح الباء ـ : النقي . والظاعن : المسافر .

(٢) يستراح اليه : يعمل به ؛ وأصله « استراح اليه » بمعنى سكن واطمأن ، والسكون الى المعروف يستلزم العمل به.

(٣) نكل عنه ـ كضرب ونصر وعلم ـ نكص وجبن ، والروع : الخوف .

(٤) مذحج ـ كمجلس ـ قبيلة مالك ، وأصله اسم اكمة ولد عندها أبو القبيلتين طيء ومالك ، فسميت قبيلتاهما به ، ويروى « أشد على الفجار » جمع فاجر .

(٥) الظبة ـ بضم ففتح مخفف ـ : حد السيف والسنان ونحوهما . والكليل : الذي لا يقطع .

(٦) الضريبة : المضروب بالسيف ، ونبا عنها السيف : لم يؤثر فيها ، وإنما دخلت التاء في ضريبة ـ وهي بمعنى المفعول ـ لذهابها مذهب الاسماء كالنطيحة والذبيحة .

يُقدِّمُ ، إلَّا عَنْ أَمْرِي . وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ (١) .

وِمن كتاب له عليه السّلام

الى عمرو بن العاص

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا أمْرِيءٍ ظَاهِرٍ غَيُّه ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ (٢) : يَلُوذُ إِلَى مَخَالِبِهِ ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ ! وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ ، فَإِنْ يُمَكِّنِّي مِنْكَ وَمِنْ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا ، وَإِنْ تُعْجِزَانِي وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا ، وَالسَّلَامُ (٣) .

---

(١) « آثرتكم » خصصتكم به وأنا في حاجة اليه ، تقديماً لنفعكم على نفعي . والشكيمة في اللجام : الحديدة المعرضة في فم الفرس ، ويعبر بشدتها عن قوة النفس وشدة البأس .

(٢) الضرغام : الأسد [واتباع الكلب للضرغام معناه الذهاب الى الفريسة للأكل منها بعد ان يشبع الأسد]

(٣) وإن تعجزاني عن الايقاع بكما ، وتبقيا في الدنيا بعدي ، فأمامكما حساب الله على أعمالكما [وهو أكثر وأوجع من عقاب علي]

ومن كتاب له عليه السلام

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ ، إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ [1] .

بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ ، وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى بعض عماله [2]

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي ، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي ، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي [3] وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ إِلَيَّ ، فَلَمَّا رَأَيْتَ

---

(١) ألصقت بأمانتك خزية ـ بالفتح ـ أي رزية أفسدتها ، وكان هذا العامل أخذ ما عنده من مخزون بيت المال .

(٢) هو العامل السابق بعينه .

(٣) المواساة : من «آساه» اذا أناله من ماله عن كفاف لا عن فضل ، أو مطلقاً وقالوا : ليست مصدراً لواساه فانه غير فصيح ، وتقدم للامام استعماله ، ـ وهو حجة ـ . الموازرة : المناصرة .

ٱلزَّمَانَ عَلَى ٱبْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ ، وَٱلعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ ، وَأَمَانَـةَ ٱلنَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ (١) ، وَهٰذِهِ الأُمَّةَ قَدْ فَنَكَتْ وَشَغَرَتْ (٢) ، قَلَبْتَ لِٱبْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ ٱلمِجَنِّ (٣) فَفَارَقْتَـهُ مَعَ ٱلمُفَارِقِينَ ، وَخَذَلْتَـهُ مَعَ ٱلخَاذِلِينَ ، وَخُنْتَـهُ مَعَ ٱلخَائِنِينَ فَلَا ٱبْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ (٤) ، وَلَا ٱلأَمَانَةَ أَدَّيْتَ ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ ٱللهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ ، وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هٰذِهِ ٱلأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ (٥) وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ ، فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ ٱلأُمَّةِ أَسْرَعْتَ ٱلكَرَّةَ ، وَعَاجَلْتَ ٱلوَثْبَةَ ، وَٱخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ ٱلمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمُ ٱخْتِطَافَ ٱلذِّئْبِ ٱلأَزَلِّ دَامِيَةَ ٱلمِعْزَى ٱلكَسِيرَةَ (٦) فَحَمَلْتَهُ إِلَى ٱلحِجَازِ رَحِيبَ ٱلصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ

---

(١) كلب ـ كفرح ـ : اشتد وخشن ، والكلبة ـ بالضم ـ الشدة والضيق وحرب ـ كفرح ـ اشتد غضبه ، أو كطلب : بمعنى سلب ماله، وخزيت ـ كرضيت ـ وقعت في بلية الفساد الفاضح .

(٢) من « فنكت الجارية » اذا صارت ماجنة ، ومجون الأمة اخذها بغير الحزم في أمرها كأنها هازلة ، وشغرت : لم يبق فيها من يحميها .

(٣) المجن : الترس ، وهذا مثل يضرب لمن يخالف ما عهد فيه .

(٤) آسيت : ساعدت وشاركت في الملمات .

(٥) كاده عن الأمر : خدعه حتى ناله منه ، والغرة : الغفلة ، والفيء : مال الغنيمة والخراج [وقد سبق بيان الفرق بينهما]

(٦) الأزل : السريع الجري،أو الخفيف لحم الوركين ، والدامية : المجروحة والكسيرة : المكسورة ، والمعزى : أخت الضأن ، اسم الجنس كالمعز والمعيز .

مِنْ أَخْذِهِ [١] كَأَنَّكَ ـ لَا أَبَا لِغَيْرِكَ ـ حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثاً مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ ،فَسُبْحَانَ ٱللهِ ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ ؟ أَوَ مَا تَخَافُ نِقَاشَ ٱلْحِسَابِ [٢] ! أَيُّهَا ٱلْمَعْدُودُ ـ كَانَ ـ عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي ٱلْأَلْبَابِ [٣] كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَطَعَاماً وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً وَتَشْرَبُ حَرَاماً ، وَتَبْتَاعُ ٱلْإِمَاءَ وَتَنْكِحُ ٱلنِّسَاءَ مِنْ مَالِ ٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَفَاءَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ هٰذِهِ الْأَمْوَالَ وَأَحْرَزَ بِهِمْ هٰذِهِ ٱلْبِلَادَ ؟ فَاتَّقِ ٱللهَ وَارْدُدْ إِلَي هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي ٱللهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى ٱللهِ فِيكَ [٤] ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي ٱلَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ ٱلنَّارَ ! وَٱللهِ لَوْ أَنَّ ٱلْحَسَنَ وَٱلْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ ٱلَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ [٥] ، وَلَا ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ ، حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ مِنْهُمَا ، وَأُزِيلَ ٱلْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا ، وَأُقْسِمُ بِٱللهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ : مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ

---

(١) التأثم : التحرز من الاثم ، بمعنى الذنب . و « لا أبا لغيرك » : تقال للتوبيخ مع التحامي من الدعاء عليه . وحدرت : أسرعت اليهم بتراث أو ميراث ، أو هو من « حدره » بمعنى حطه من أعلى لأسفل .

(٢) النقاش ـ بالكسر ـ : المناقشة ، بمعنى الاستقصاء في الحساب .

(٣) « كان » ههنا زائدة لافادة معنى المضي فقط ، لا تامة ، ولا ناقصة ، و « سغت الشراب ، أسيغه » كبعته أبيعه ـ : بلعته بسهولة .

(٤) أي : لأعاقبنك عقاباً يكون لي عذراً عند الله من فعلتك هذه [ودخول المضروب بسيف علي في النار دليل على انه لا يضرب به إلا أهل الباطل]

(٥) الهوادة ـ بالفتح ـ : الصلح والاختصاص بالميل .

مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي [١] أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي ، فَضَحِّ رُوَيْداً فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى [٢] ، وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى ، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ ، وَيَتَمَنَّى الْمُضَيِّعُ فِيهِ الرَّجْعَةَ ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ [٣] !

ومن كتاب له عليه السلام

إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي ، وكان عامله على البحرين

فعزله ، واستعمل نعمان بن عجلان الزُّرقي مكانه

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ نُعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرَقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا ذَمٍّ لَكَ وَلَا تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ [٤] ، فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ [٥] وَلَا مَلُومٍ ، وَلَا مُتَّهَمٍ ، وَلَا مَأْثُومٍ ، فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ

---

(١) أي لا تعتمد على قرابتك مني ؛ فإني لا أسر بان تكون لي ؛ فضلاً عن ذوي قرابتي .

(٢) فضح : من « ضحيت الغنم » اذا رعيتها في الضحى ، أي فارع نفسك على مهل فانما أنت على شرف الموت ، وكأنك قد بلغت المدى ـ بالفتح ـ : مفرد بمعنى الغاية ، او بالضم : جمع مدية ـ بالضم ايضاً ـ بمعنى الغاية ، والثرى : التراب .

(٣) ليس الوقت وقت فرار .

(٤) التثريب : اللوم .

(٥) الظنين : المتهم . وفي التنزيل : (وما هو على الغيب بظنين) .

إِلَى ظَلَمَـةِ أَهْلِ الشَّامِ [1] ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَـدَ مَعِي ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِـهِ [2] عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَإِقَامَـةِ عَمُودِ الدِّينِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وهو عامله على أردشير خُرَّة [3]

بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَـدْ أَسْخَطْتَ إِلٰهَكَ ، وَأَغْضَبْتَ إِمَامَكَ : أَنَّكَ تَقْسِمُ [4] فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْـهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ ، فِيمَنِ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ [5] فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَئِنْ كَانَ ذٰلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَاناً ، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً ، فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ ، وَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ ، فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً .

أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَقِبَلَنَا [6] مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي

---

(١) الظلمة ـ بالتحريك ـ : جمع ظالم .
(٢) أستظهر به : أستعين .
(٣) أردشير خرة ـ بضم الخاء وتشديد الراء ـ : بلدة من بلاد العجم :
(٤) « أنك الخ » بدل من « أمر » .
(٥) اعتامك : اختارك ، وأصله أخذ العيمة ـ بالكسر ـ وهي خيار المال .
(٦) قبل ـ بكسر ففتح ـ : ظرف بمعنى عند .

قِسْمَةِ هٰذَا ٱلْفَيْءِ سَوَاءٌ: يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى زياد بن أبيه، ولقد بلغه ان معاوية كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ [1]، فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ ٱلشَّيْطَانُ: يَأْتِي ٱلْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ [2] وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ.

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ ٱلنَّفْسِ [3] وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ: لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَٱلْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ ٱلْمُدَفَّعِ، وَٱلنَّوْطِ ٱلْمُذَبْذَبِ.

---

(١) يستزل، أي يطلب به الزلل، وهو الخطأ، واللب: القلب، ويستفل — بالفاء — أي: فل غربك، أي: ثلم حدتك، والغرب — بفتح فسكون — الحدة والنشاط.

(٢) يدخل غفلته بغتة فيأخذه فيها، وتشبيه الغفلة بالبيت يسكن فيه الغافل من أحسن انواع التشبيه — والغرة — بالكسر —: خلو العقل من ضروب الحيل، والمراد منها العقل الغر: أي يسلب العقل الساذج.

(٣) فلتة ابي سفيان: قوله في شأن زياد: إني أعلم من وضعه في رحم أمه — يريد نفسه —.

فلما قرأ زياد الكتاب قال: شهد بها ورب الكعبة، ولم تزل في نفسه حتى ادّعاه معاوية.

قال الرضي: قوله عليه السلام «الواغل»: هو الذي يهجم على الشَّرْب ليشرب معهم، وليس منهم، فلا يزال مُدَفَّعاً محاجَزا. و«النوط المذبذب»: هو ما يناط برجل الراكب من قعب أو قدح أو ما أشبه ذلك، فهو أبداً يتقلقل إذا حث ظهره واستعجل سيره.



فهرس الجزء الثالث

من كتاب نهج البلاغة

•

صفحة

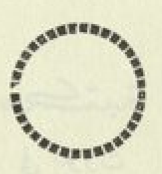
صفحة

تم بحمد الله الجزء الثالث من

نهج البـــلاغة

ويليه الجزء الرابع

وبه مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه





وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي
ابن الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين
أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام

شرح الاستاذ الامام

الشيخ محمد عبده

أشرف على تحقيقه وطبعه

الجزء الرابع

تمتاز هذه الطبعة بزيادات كثيرة أضيفت على الطبعات السابقة
من شروح ابن أبي الحديد وابن ميثم البحراني

منشورات
مكتبة الاندلس
شارع سوريا - بيروت (لبنان) - هاتف ٢٨٠١٠

ومن كتاب له عليه السلام

إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على البصرة
وقد بلغه انه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى اليها

أَمَّا بَعْدُ يَا ٱبْنَ حُنَيْفٍ : فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ ٱلْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ ٱلْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ ٱلْجِفَانُ [1] ! وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ [2]، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ، فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هٰذَا ٱلْمَقْضَمِ [3] فَمَا ٱشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَٱلْفِظْهُ [4]، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ [5] فَنَلْ مِنْهُ.

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ

---

(١) المأدبة ـ بفتح الدال وضمها ـ : الطعام يصنع لدعوة أو عرس، تستطاب: يطلب لك طيبها، والألوان : أصناف الطعام، والجفان ـ بكسر الجيم ـ : جمع جفنة، وهي القصعة.

(٢) عائلهم : محتاجهم، « مجفو » أي مطرود من الجفاء.

(٣) قضم ـ كسمع ـ : أكل بطرف أسنانه، والمراد الأكل مطلقاً. والمقضم ـ كمقعد ـ : المأكل، وقدم اعرابي على ابن عم له بمكة فقال : ان هذه بلاد مقضم، وليست ببلاد مخضم. الخضم ـ بالخاء ـ الأكل بجميع الفم، والقضم ـ بالقاف ـ دون ذلك، وقولهم : يبلغ الخضم بالقضم، أي ان الشبعة قد تدرك بالأكل بأطراف الفم، وهم يريدون بذلك ان الغاية البعيدة قد تدرك بالرفق.

(٤) أطرحه حيث اشتبه عليك حله من حرمته.

(٥) بطيب وجوهه : بالحل في طرق كسبه.

عِلْمِهِ ، أَلا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ [١] ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ ، أَلَا وإِنَّكُمْ لا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ [٢] . فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً ، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً [٣] وَلا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً [٤] . (وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً ، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ ، وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَهْوَنُ مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ) بَلَى ؟ كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ . وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ ! وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ [٥] ؟ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ

---

(١) الطمر - بالكسر - : الثوب الخلق .

(٢) إن ورع الولاة وعفتهم يعين الخليفة على إصلاح شؤون الرعية .

(٣) التبر - بكسر فسكون - : فتات الذهب والفضة قبل ان يصاغ ، والوفر : المال .

(٤) أي ما كان يهيء لنفسه طمراً آخر بدلاً عن الثوب الذي يبلى ، بل كان ينتظر حتى يبلى ثم يعمل الطمر . والثوب هنا عبارة عن الطمرين ، فان مجموع الرداء والازار يعد ثوباً واحداً فبهما يكسو البدن لا بأحدهما .

(٥) فدك - بالتحريك - : قرية لرسول الله ﷺ ، كان صالح أهلها على النصف من نخيلها بعد خيبر ؛ وإجماع الشيعة على انه كان أعطاها فاطمة رضي الله عنها قبل وفاته ، إلا أن أبا بكر - رضي الله عنه - ردها لبيت المال قائلاً : إنها كانت مالاً في يد النبي يحمل به الرجال ، وينفقه في سبيل الله ، وأنا أليه كما كان عليه . والقوم الآخرون الذين سخت نفوسهم عنها هم بنو هاشم . والمظان : جمع مظنة وهو المكان الذي يظن فيه وجود الشيء ، وموضع النفس الذي يظن وجودها فيه في غد جدث - بالتحريك - أي قبر .

آثارُهَا ، وَتَغِيبُ أَخْبارُهَا ، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ في فُسْحَتِهَا ، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لَأَضْغَطَهَا ٱلْحَجَرُ وَٱلْمَدَرُ [١] ، وَسَدَّ فُرَجَهَا ٱلتُّرَابُ ٱلْمُتَراكِمُ ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى [٢] لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ ٱلْخَوْفِ ٱلْأَكْبَرِ ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ ٱلْمَزْلَقِ [٣] ، وَلَوْ شِئْتُ لَٱهْتَدَيْتُ ٱلطَّرِيقَ [٤] إِلَى مُصَفَّى هٰذَا ٱلْعَسَلِ وَلُبَابِ هٰذَا ٱلْقَمْحِ ، وَنَسَائِجِ هٰذَا ٱلْقَزِّ ، وَلٰكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي [٥] إِلَى تَخَيُّرِ ٱلْأَطْعِمَةِ وَلَعَلَّ بِٱلْحِجَازِ أَوِ ٱلْيَمَامَةِ [٦] مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي ٱلْقُرْصِ ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ !! أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى ، وَأَكْبَادٌ حَرَّى !! أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ ٱلْقَائِلُ :

---

(١) أضغطها : جعلها من الضيق بحيث تضغط وتعصر الحال فيها .

(٢) أروضها : أذللها .

(٣) المزلق ـ ومثله المزلقة ـ موضع الزلة ، وهو المكان الذي تخشى فيه الزلة ، وهو الصراط ، وتقول : زلقت رجله ـ من باب طرب ـ وأزلقها غيره .

(٤) كان ـ كرم الله وجهه ـ إماماً عالي السلطان واسع الامكان ، فلو أراد التمتع بأي اللذائذ شاء لم يمنعه مانع ، وهو قوله « لو شئت لاهتديت الخ » والقز : الحرير .

(٥) الجشع : شدة الحرص .

(٦) جملة « ولعل ـ الخ » حالية عمل فيها تخير الأطعمة ، أي هيهات ان يتخير الأطعمة لنفسه والحال انه قد يكون بالحجاز أو اليمامة من لا يجد القرص ؛ أي الرغيف ، ولا طمع له في وجوده لشدة الفقر ، ولا يعرف الشبع . وهيهات ان يبيت مبطاناً ـ أي ممتلىء البطن ـ والحال أن حوله بطوناً غرثى ـ أي جائعة ـ واكباداً حرى ، مؤنث حران ، أي عطشان .

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ [1]

وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى ٱلْقِدِّ !

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ ؟ أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ ٱلْعَيْشِ [2] ، فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ ٱلطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ ٱلْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا ، أَوِ ٱلْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا [3] تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا ، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا ، أَوْ أُتْرَكَ سُدًى وَأُهْمَلَ عَابِثاً ، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ ٱلضَّلَالَةِ ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ ٱلْمَتَاهَةِ [4] . وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ : « إِذَا كَانَ هٰذَا قُوتُ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ ٱلضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ ٱلْأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ ٱلشُّجْعَانِ » ؟! أَلَا وَإِنَّ ٱلشَّجَرَةَ ٱلْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً ، وَٱلرَّوَائِعُ ٱلْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً [5] ، وَٱلنَّبَاتَاتُ ٱلْبَدَوِيَّةُ أَقْوَى وُقُوداً [6] وَأَبْطَأُ خُمُوداً ! وَإِنَّا مِنْ رَسُولِ ٱللهِ كَالصِّنْوِ مِنَ

---

(١) البطنة ـ بكسر الباء ـ : البطر والأشر والكظة ؛ والقد ـ بالكسر ـ : سير من جلد غير مدبوغ ، ، أي إنها تطلب أكلًا ولا تجده .

(٢) الجشوبة : الخشونة ، وتقول : جشب الطعام ـ كنصر وسمع ـ فهو جشب ، وجشب ـ ككتف ـ كشهم وبطر ـ وجشيب ومجشاب ومجشوب ، أي غلظ فهو غليظ ، أو بلا أدم ؛ وجشبه : طحنه جريشا .

(٣) التقاطها للقمامة ، أي الكناسة ، و « تكترش » أي تملأ كرشها .

(٤) اعتسف : ركب الطريق على غير قصد ، والمتاهة : موضع الحيرة .

(٥) الروائع الخضرة : الأشجار ، والأعشاب الغضة : الناعمة الحسنة .

(٦) الوقود : اشتعال النار ، أي إذا وقدت بها النار تكون اقوى اشتعالاً من النباتات غير البدوية وأبطأ منها خموداً ، ويروى « والنباتات العذية أقوى وقوداً » وهي النباتات التي لا يسقيها إلا ماء المطر .

الصِّنْوِ ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ [1] . وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا. وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ هٰذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ [2] حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ [3] .

ومن هذا الكتاب ، وهو آخره :

إِلَيْكِ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ [4] ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ ، وَاجْتَنَبْتُ الذِّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ. أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ [5] ، أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ ؟ هَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ ، وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ ! وَاللهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً ، وَقَالَباً حِسِّيّاً ، لَأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللهِ

---

(١) الصنوان : النخلتان يجمعهما أصل واحد ، فهو من جرثومة الرسول يكون في حاله ، كما كان شديد البأس وإن كان خشن المعيشة .

(٢) جهد - كمنع - : جد ، والمركوس : من الركس ، وهو رد الشيء مقلوباً وقلب آخره على أوله ، والمراد مقلوب الفكر .

(٣) المدرة - بالتحريك - : قطعة الطين اليابس ، وحب الحصيد : حب النبات المحصود كالقمح ونحوه ، أي حتى يطهر المؤمنين من المخالفين .

(٤) إليكِ عني : اذهبي عني ، والغارب : الكاهل وما بين السنام والعنق . والجملة تمثيل لتسريحها تذهب حيث شاءت . وانسل من مخالبها : لم يعلق به شيء من شهواتها ، والحبائل : جمع حبالة ، وهي شبكة الصياد ، وأفلت منها : خلص ، والمداحض : المساقط .

(٥) والمداعب : جمع مدعبة ، من الدعابة ، وهي المزاح ، والتاءات والكافات كلها بالكسر خطاباً للدنيا .

فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالْأَمَانِي وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي ٱلْمَهَاوِي ، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى ٱلتَّلَفِ وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ ٱلْبَلَاءِ ، إِذْ لَا وِرْدَ وَلَا صَدَرَ[1] . هَيْهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ[2] وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ ، وَمَنِ ٱزْوَرَّ عَنْ حِبَالِكِ وُفِّقَ[3] وَٱلسَّالِمُ مِنْكِ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ ، وَٱلدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ ٱنْسِلَاخُهُ[4] .

أُعْزُبِي عَنِّي[5] فَوَٱللَّهِ لَا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي ، وَلَا أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي ، وَأَيْمُ ٱللَّهِ ـ يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ ٱللَّهِ ـ لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا إِلَى ٱلْقُرْصِ[6] إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً ، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً ، وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا[7] مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا . أَتَمْتَلِئُ ٱلسَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ ؟ وَتَشْبَعُ ٱلرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ[8] ؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ

---

(١) الورد ـ بكسر الواو ـ : ورود الماء ، والصدر ـ بالتحريك ـ : الصدور عنه بعد الشرب .

(٢) مكان دحض ـ بفتح فسكون ـ أي زلق لا تثبت فيه الأرجل .

(٣) « أزور » : أي مال وتنكب .

(٤) حان : حضر ، وانسلاخه : زواله .

(٥) « عزب يعزب » أي بعد ، « ولا أسلس » أي لا أنقاد .

(٦) « تهش » أي تنبسط الى الرغيف وتفرح بـه من شدة ما حرمها ، و « مطعوماً » : حال من « القرص » كما ان « مأدوماً » حال من الملح ؛ أي مأدوماً به الطعام .

(٧) أي لأتركنّ مقلتي ـ أي عيني ـ وهي كعين ماء نضب ـ أي غار معينها ـ بفتح فكسر ، أي ماؤها الجاري أي أبكي حتى لا يبقى دمع .

(٨) الربيضة : الغنم مع رعاتها إذا كانت في مرابضها ، والربوض للغنم : كالبروك للابل .

فَيَهْجَعَ [1] قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ [2] إِذَا ٱقْتَدَى بَعْدَ ٱلسِّنِينَ ٱلْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ ٱلْهَامِلَةِ [3] وَٱلسَّائِمَةِ ٱلْمَرْعِيَّةِ !

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا ، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا [4] وَهَجَرَتْ فِي ٱللَّيْلِ غُمْضَهَا [5] ، حَتَّى إِذَا غَلَبَ ٱلْكَرَى عَلَيْهَا ٱفْتَرَشَتْ أَرْضَهَا ، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا ، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ [6] وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ ٱسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ (أُولَئِكَ حِزْبُ ٱللهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) .

فَٱتَّقِ ٱللهَ يَا ٱبْنَ حُنَيْفٍ ، وَلْتَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ ، لِيَكُنْ مِنَ ٱلنَّارِ خَلَاصُكَ .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ [7] ،

---

(١) يهجع : أي يسكن كما سكنت الحيوانات بعد طعامها .

(٢) دعاء على نفسه ببرود العين ـ أي جمودها ـ من فقد الحياة. تعبير باللازم.

(٣) الهاملة : المسترسلة ، والهمل من الغنم ترعى نهاراً بلا راع .

(٤) البؤس : الضر . وعركه بالجنب : الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه. ويقال : فلان يعرك بجنبه الأذى ، إذا كان صابراً عليه .

(٥) الغمض ـ بالضم ـ : النوم ، والكرى ـ بالفتح ـ : كذلك .

(٦) الهمهمة: الصوت يردد في الصدر، وأراد منه الأعم ، وتقشع الغمام: انجلى.

(٧) أستظهر : أستعين به ، و « وأقمع » اي أكسر ، والنخوة ـ بالفتح ـ : الكبر ، والأثيم : فاعل الخطايا .

وَأَقْمَعُ بِـهِ نَخْوَةَ ٱلأَثِيمِ وَأَسُـدُّ بِهِ لَهَاةَ ٱلثَّغْرِ ٱلْمَخُوفِ [1] . فَٱسْتَعِنْ بِاللهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ ، وَٱخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ [2] ، وَارْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقُ ، وَٱعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ حِينَ لَا يُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشِّدَّةُ وَٱخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ وَٱبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي ٱللَّحْظَـةِ وَالنَّظْرَةِ [3] وَالإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ ٱلْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ ، وَلَا يَيْأَسَ ٱلضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ ، وَالسَّلَامُ .

ومن وصيّة له عليه السّلام

للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى ٱللهِ ، وَأَنْ لَا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا [4] وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا [5] وَقُولَا لِلْحَقِّ ، وَٱعْمَلَا لِلأَجْرِ ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً .

أُوصِيكُمَا ، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي ، بِتَقْوَى

---

(١) الثغر : مظنة طروق الأعداء في حدود الممالك، واللهاة: قطعة لحم مدلاة في سقف الفم على باب الحلق ، قرنها بالثغر تشبيهاً له بفم الانسان .

(٢) بضغث : بخلط ، أي شيء تخلط به الشدة من اللين .

(٣) « آس » أي شارك وسو بينهم .

(٤) لا تطلباها وإن طلبتكما .

(٥) « زوي » أي قبض ونحي عنكما .

اللهِ ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ ، وَصَلاحِ ذاتِ بَيْنِكُمْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : « صَلاحُ ذاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عامَّةِ الصَّلاةِ وَالصِّيامِ » اللهَ اللهَ فِي الْأَيْتامِ ، فَلا تُغِبُّوا أَفْواهَهُمْ [1] ، وَلا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ . وَاللهَ اللهَ فِي جِيرانِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ ، مازالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ [2] . وَاللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ ، لا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ . وَاللهَ اللهَ فِي الصَّلاةِ ، فَإِنَّها عَمُودُ دِينِكُمْ . وَاللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ ، لا تُخَلُّوهُ ما بَقِيتُمْ ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُناظَرُوا [3] . وَاللهَ وَاللهَ فِي الْجِهادِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالتَّواصُلِ وَالتَّباذُلِ [4] ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدابُرَ وَالتَّقاطُعَ ، لا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلا يُسْتَجابُ لَكُمْ . ثُمَّ قالَ :

يا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لا أُلْفِيَنَّكُمْ [5] تَخُوضُونَ دِماءَ الْمُسْلِمِينَ

---

(١) أغب القوم : جاءهم يوماً وترك يوماً ، أي صلوا أفواههم بالاطعام ولا تقطعوه عنها .

(٢) يجعل لهم حقاً في الميراث .

(٣) تناظروا - مبني للمجهول - أي لا ينظر اليكم بالكرامة لا من الله ولا من الناس لاهمالكم فرض دينكم .

(٤) مداولة البذل : اي العطاء .

(٥) لا أجدنكم ، نفي في معنى النهي ، أي لا تخوضوا دماء المسلمين بالسفك انتقاماً منهم بقتلي .

خَوْضاً تَقُولُونَ : قُتِلَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (قُتِلَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، أَلا)! لاَ تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي .

أُنْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هٰـذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ ، وَلَا يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ (١) ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللّٰهِ - صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : « إِيَّاكُمْ وَٱلْمُثْلَةَ وَلَوْ، بِالْكَلْبِ ٱلْعَقُورِ » .

وَمِن كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية

وَإِنَّ ٱلْبَغْيَ وَٱلزُّورَ يُذِيعَانِ بِٱلْمَرْءِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ (٢) وَيُبْدِيَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ (٣) ، وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْراً بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ فَتَأَوَّلُوا عَلَى

---

(١) أي لا تمثلوا به ، والتمثيل : التنكيل والتعذيب ، أو هو التشويه بعد القتل أو قبله ، بقطع الاطراف مثلاً .

(٢) « يذيعان بالمرء » : يشهرانه ويفضحانه ، ويروى « يوتغان بالمرء » أي يهلكانه ، والوتغ - بالتحريك - : الهلاك ، وقد وتغ كوجل يوتغ كيوجل .

(٣) ما قضي فواته : هو دم عثمان والانتصار له ، ومعاوية يعلم انه لا يدركه لانقضاء الأمر بموت عثمان رضي الله عنه .

ٱللهِ فَأَكْذَبَهُمْ[1] فَاحْذَرْ يوْماً يَغتبطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ[2] وَيَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجاذِبْهُ.

وَقدْ دعَوْتنا إلى حُكْمِ ٱلْقُرْآنِ وَلسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلسْنَا إيَّاكَ أَجبْنا، وَلكِنَّا أَجبْنَا ٱلْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ، وَٱلسَّلَامُ.

وِمن كتابٍ له عليه السّلام

إلى غيره[3]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إلَّا فتحتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا، وَلَهجاً بِهَا[4] وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، وَمِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ، وَنَقْضُ مَا أَبْرَمَ! وَلَو ٱعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ، وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) أولئك الذين فتحوا الفتنة بطلب دم عثمان؛ يريد بهم أصحاب الجمل، و «تأولوا على الله» اي تطاولوا على أحكامه بالتأويل، فأكذبهم: حكم بكذبهم.

(٢) يغتبط: يفرح من جعل عاقبة عمله محمودة باحسان العمل او من وجد العاقبة حميدة. و «أمكن الشيطان» أي مكنه من زمامه ولم ينازعه.

(٣) في رواية ابن أبي الحديد «إلى معاوية ايضاً».

(٤) «لهجاً» اي ولوعاً وشدة حرص، وتقول: قد لهج بالشيء ـ من باب طرب ـ إذا أغرى به فثابر عليه.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى أمرائه على الجيش

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ ٱلْمَسَالِحِ [١] :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ حَقّاً عَلَى ٱلْوَالِي أَنْ لَا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ ، وَلَا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ [٢] وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ ٱللهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ ، وَعَطْفاً عَلَى إِخْوَانِهِ .

أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَنْ لَا أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرّاً إِلَّا فِي حَرْبٍ [٣] وَلَا أَطْوِيَ دُونَكُمْ أَمْراً إِلَّا فِي حُكْمٍ [٤] ، وَلَا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ ، وَلَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ [٥] ، وَأَنْ

---

(١) جمع مسلحة ؛ أي الثغور ، لأنها مواضع السلاح ، وأصل المسلحة : قوم ذوو سلاح .

(٢) الطول ـ بفتح الطاء ـ عظيم الفضل ، أي من الواجب على الوالي إذا خصه الله بفضل ان يزيده فضله قرباً من العباد وعطفاً على الاخوان ، وليس من حقه ان يتغير .

(٣) لا أكتم عنكم سراً إلا في الحرب فانها خدعة ، وكان النبي ﷺ إذا أراد حرباً روى بغيرها .

(٤) طواه عنه : لم يجعل له نصيباً فيه ، أي لا أدع مشاورتكم في أمر إلا في حكم صرح به الشرع في حد من الحدود مثلاً ، فحكم الله النافذ دون مشورتكم .

(٥) دون الحد الذي قطع به ان يكون لكم .

تَـكُونُوا عِنْدِي فِي ٱلْحَقِّ سَوَاءً ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ وَجَبَتْ لِلّٰهِ عَلَيْـكُمُ ٱلنِّعْمَـةُ وَلِي عَلَيْـكُمُ ٱلطَّاعَةُ وَأَنْ لَا تَنْـكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ [1] وَلَا تُفَرِّطُوا فِي صَـلَاحٍ ، وَأَنْ تَخُوضُوا ٱلْغَمَرَاتِ إِلَى ٱلْحَقِّ [2] ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذٰلِكَ لَمْ يَـكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنِ ٱعْوَجَّ مِنْـكُمْ ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ ٱلْعُقُوبَةَ وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً ، فَخُذُوا هٰذَا مِنْ أُمَرَائِـكُمْ ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ ٱللّٰهُ بِهِ أَمْرَكُمْ [3] .

وَمِن كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى عماله على الخراج

مِنْ عَبْدِ ٱللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ ٱلْخَرَاجِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ [4] لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا . وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ يَسِيرٌ ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ . وَلَوْ لَمْ يَـكُنْ فِيمَا نَهَى ٱللّٰهُ عَنْهُ مِنَ ٱلْبَغْيِ وَٱلْعُدْوَانِ

---

(١) أي لا تتأخروا إذا دعوتكم .

(٢) الغمرات : الشدائد .

(٣) أي خذوا حقكم من امرائكم ، وأعطوهم من أنفسكم الحق الواجب عليكم وهو ما يصلح الله به أمركم .

(٤) من لم يحذر العاقبة التي يصير اليها لم يعمل عملاً لنفسه يحفظها من سوء المصير .

عِقابٌ يُخافُ لَكانَ في ثوابِ أُجْتِنابِه مَالا عُذْرَ في تَرْكِ طَلَبِه.
فَأنصِفُوا ٱلنَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ ٱلرَّعِيَّةِ[1] وَوُكَلاءُ ٱلأُمَّةِ، وَسُفَراءُ ٱلأَئِمَّةِ. وَلا تَحْسِمُوا أَحداً عَنْ حَاجَتِهِ[2] وَلا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ، وَلا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ في ٱلْخَراجِ كِسْوَةَ شِتاءٍ وَلا صَيْفٍ وَلا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْها[3] وَلا عَبْداً، وَلا تَضْرِبُنَّ أَحداً سَوْطاً لِمَكانِ دِرْهَمٍ، وَلا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ ٱلنَّاسِ مُصَلٍّ وَلا مُعاهَدٍ إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلاحاً يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الإِسْلامِ، فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذٰلِكَ في أَيْدِي أَعْداءِ الإِسْلامِ فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ، وَلا تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً[4]، وَلا ٱلْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ وَلا

---

(١) الخزان - بضم فزاي مشددة - : جمع خازن، والولاة يخزنون أموال الرعية في بيت المال لتنفق في مصالحها.

(٢) لا تحسموا : لا تقطعوا، ويروى «ولا تحشموا» بالشين المعجمة، ويجوز ضم حرف المضارعة وفتحه قال ابن الأعرابي : حشمه أخجله، وأحشمه أغضبه والطلبة - بالكسر وبفتح الطاء وكسر اللام - : المطلوب.

(٣) أي لا تضطروا الناس لأن يبيعوا لأجل اداء الخراج شيئاً من كسوتهم ولا من الدواب اللازمة لأعمالهم في الزرع والحمل، مثلا، ولا تضربوهم لأجل الدراهم، ولا تمسوا مال أحد من المصلين - أي المسلمين - أو المعاهدين بالمصادرة إلا ما كان عدة للخارجين على الاسلام يصولون بها على أهله.

(٤) أدخر الشيء : استبقاه لا يبذل منه لوقت الحاجة، وضمن «أدخر» هنا معنى «منع» فعداه بنفسه لمفعولين، أي لا تمنعوا أنفسكم شيئاً من النصيحة بدعوى تأخيره لوقت الحاجة. بل حاسبوا أنفسكم على أعمالكم كل وقت. ومثل هذا يقال في المعطوفات.

الرَّعِيَّةِ مَعُونَـةً ، وَلَا دِينَ ٱللَّهِ قُوَّةً ، وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ مَا ٱسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ [١] فَإِنَّ ٱللَّهَ ، سُبْحَانَهُ ، قَدِ ٱصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا [٢] وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ .

وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة

أَمَّا بَعْدُ ، فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرْبَضِ الْعَنْزِ [٣] ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ [٤] وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مِنًى [٥] وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ

---

(١) « وأبلوا » أي أدوا ، يقال : أبليته عذراً ؛ أي أديته إليه .

(٢) يقال : اصطنعت عنده ، أي طلبت منه ان يصنع لي شيئاً . فالله سبحانه طلب منا ان نصنع له الشكر بطاعتنا له ورعاية حقوق عباده ، وفاء بحق ما له علينا من النعمة .

(٣) «تفيء» : أي تصل في ميلها جهة الغرب الى ان يكون لها فيء ـ أي ظل ـ من حائط المربض على قدر طوله ، وذلك حيث يكون ظل كل شيء مثله .

(٤) أي لا تزالوا تصلون بهم العصر من نهاية وقت الظهر ما دامت الشمس بيضاء حية لم تصفر ، وذلك في جزء من النهار يسع السير فرسخين . والضمير في « فيها » للعضو باعتبار كونه مدة .

(٥) « يدفع الحاج » : أي يفيض من عرفات .

حِينَ يَتَوَارَى ٱلشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ ٱللَّيْلِ ، وَصَلُّوا بِهِمُ ٱلْغَدَاةَ وَٱلرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَصَلُّوا بِهِمْ صَلَاةَ أَضْعَفِهِمْ وَلَا تَكُونُوا فَتَّانِينَ[1] .

ومن كتاب له عليه السلام

كتبه للأشتر النخعي ، لما ولاه على مصر واعمالها
حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر ، وهو أطول عهد
وأجمع كتبه للمحاسن

بسم الله الرحمن الرحيم

هٰذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ ٱللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ ٱلْحَارِثِ ٱلْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ ، حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ : جِبَايَةَ خَرَاجِهَا ، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا ، وَٱسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا ، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا .

أَمَرَهُ بِتَقْوَى ٱللهِ ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ ، وَٱتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ : مِنْ فَرَائِضِهِ ، وَسُنَنِهِ ، ٱلَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِٱتِّبَاعِهَا ، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا ، وَأَنْ يَنْصُرَ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِنَّهُ ، جَلَّ ٱسْمُهُ ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ .

---

(١) أي لا يكون الامام موجباً لفتنة المأمومين ونفرتهم من الصلاة بالتطويل .

وَأْمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ [١] ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللهُ .

ثُمَّ اعْلَمْ ، يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ ، فَلْيَكُنْ أَحَبُّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، فَامْلِكْ هَوَاكَ وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ [٢] فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ . وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ [٣] ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ

---

(١) و « يزعها » : أي يكفها عن مطامعها إذا جمحت عليه فلم تنقد لقـائد العقل الصحيح والشرع الصريح .

(٢) شح : ابخل بنفسك عن الوقوع في غير الحل ، فليس الحرص على النفس إيفاءها كل ما تحب ، بل من الحرص عليها ان تحمل على ما تكره إن كان ذلك في الحق فرب محبوب يعقب هلاكا ، ومكروه تحمد عاقبته .

(٣) يفرط : يسبق ، والزلل الخطأ .

فِي ٱلْعَمْدِ وَٱلْخَطَإِ[1] فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ ٱلَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ ٱللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي ٱلْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَٱللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ! وَقَدِ ٱسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ[2] وَٱبْتَلَاكَ بِهِمْ، وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ ٱللهِ[3] فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ[4]، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ[5] فَإِنَّ ذَٰلِكَ إِدْغَالٌ فِي ٱلْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ ٱلْغِيَرِ. وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً[6] فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ ٱللهِ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى

---

(١) يؤتى ـ مبنى للمجهول ـ نائب فاعله «على أيديهم» وأصله « تأتي السيئات على أيديهم ـ الخ ».

(٢) استكفاك : طلب منك كفاية أمرهم والقيام بتدبير مصالحهم .

(٣) أراد بحرب الله مخالفة شريعته بالظلم والجور ، و « لا يد لك بنقمته » اي ليس لك يد ان تدفع نقمته ، أي لا طاقة لك بها .

(٤) بجح به ـ كفرح لفظاً ومعنى ـ والبادرة: ما يبدر من الحدة عند الغضب في قول أو فعل ، والمندوحة : المتسع ، أي المخلص .

(٥) مؤمر ـ كمعظم ـ أي مسلط ، والأدغال : إدخال الفساد ، ومنهكة : مضعفة ، وتقول « نهكه » اي أضعفه . وتقول « نهكه السلطان » ـ من باب فهم ـ أي بالغ في عقوبته، والغير ـ بكسر ففتح ـ : حادثات الدهر بتبدل الدول، والاغترار بالسلطة تقرب منها ؛ أي تعرض للوقوع فيها .

(٦) الأبهة ـ بضم الهمزة وتشديد الباء مفتوحة ـ : العظمة والكبرياء ، والمخيلة ـ بفتح فكسر ـ الخيلاء والعجب .

مَا لا تَقدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ [١] ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ .

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ ٱللهِ فِي عَظَمَتِهِ [٢] وَٱلتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ، فَإِنَّ ٱللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ .

أَنْصِفِ ٱللهَ وَأَنْصِفِ ٱلنَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ [٣] فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ ٱللهِ كَانَ ٱللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمَنْ خَاصَمَهُ ٱللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ [٤] وَكَانَ لِلهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ ٱللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ ، فَإِنَّ ٱللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ ٱلْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ .

وَلْيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطَهَا فِي ٱلْحَقِّ ، وَأَعَمَّهَا فِي ٱلْعَدْلِ وَأَجْمَعَهَا لِرِضَا ٱلرَّعِيَّةِ ، فَإِنَّ سُخْطَ ٱلْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا

---

(١) الطماح ـ ككتاب ـ : النشوز والجماح ، و « يطامن » اي يخفض منه ، والغرب ـ بفتح فسكون ـ : الحدة ، ويفيء : يرجع اليك . بما عزب ـ أي غاب ـ من عقلك .

(٢) المساماة : المباراة في السمو ، أي العلو .

(٣) من لك فيه هوى : أي لك اليه ميل خاص

(٤) أدحض : أبطل ، و « حربا » أي محاربا ، و « ينزع » ـ كيضرب ـ أي يقلع عن ظلمه .

ٱلْخَاصَّةِ [١] وَإِنْ سُخْطَ ٱلْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا ٱلْعَامَّةِ . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى ٱلْوَالِي مَؤُونَةً فِي ٱلرَّخَاءِ ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي ٱلْبَلَاءِ ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ [٢] وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ ٱلْإِعْطَاءِ ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ ٱلْمَنْعِ ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ ٱلدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ ٱلْخَاصَّةِ [٣] وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَجِمَاعُ ٱلْمُسْلِمِينَ [٤] . وَٱلْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ ٱلْعَامَّةُ مِنَ ٱلْأُمَّةِ ، فَلْيَكُنْ صَغْوُكَ لَهُمْ ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ .

وَلْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأُهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبَهُمْ لِمَعَائِبِ ٱلنَّاسِ [٥] فَإِنَّ فِي ٱلنَّاسِ عُيُوباً ، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا [٦] ، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَٱللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ ، فَٱسْتُرِ ٱلْعَوْرَةَ مَا ٱسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ ٱللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، أَطْلِقْ عَنِ ٱلنَّاسِ عُقْدَةَ [٧]

---

(١) « يجحف » أي يذهب برضا الخاصة فلا ينفع الثاني معه . أما لو سخط الخاصة ورضي العامة فلا أثر لسخط الخاصة فهو مغتفر .

(٢) الالحاف : الالحاح والشدة في السؤال .

(٣) « من أهل الخاصة » متعلق بأثقل ، وما بعده من أفاعل التفضيل .

(٤) جماع الشيء ـ بالكسر ـ جمعه ، أي جماعة الاسلام . والعامة خير عماد وما بعده .

(٥) أشنأهم : أبغضهم ، والأطلب للمعائب : الأشد طلباً لها .

(٦) «ستر» فعل ماض صلة «من» أي أحق الساترين لها بالستر .

(٧) احلل عقد الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم ، واقطع عنك أسباب الأوتار ـ أي العداوات ـ بترك الاساءة إلى الرعية ؛ والوتر ـ بالكسر ـ العداوة ، و « تغاب » أي تغافل ، والساعي : هو النمام بمعائب الناس .

كُلَّ حِقْدٍ ، وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لا يَصِحُّ لَكَ وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ .

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ[1] وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ ، وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ ، وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى[2] يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ !

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً ، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً[3] فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ[4] مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ[5] مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ : أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً ، وَأَحْنَى عَلَيْكَ

---

(١) الفضل هنا : الاحسان بالبذل . ويعدك : يخوفك من الفقر لو بذلت . والشره ـ بالتحريك ـ أشد الحرص .

(٢) غرائز : طبائع متفرقة تجتمع في سوء الظن بكرم الله وفضله .

(٣) بطانة الرجل ـ بالكسر ـ خاصته، وهو من بطانة الثوب خلاف ظهارته، والأثمة : جمع آثم ، وهو فاعل الاثم ، اي الذنب . والظلمة : جمع ظالم .

(٤) « منهم » متعلق « بالخلف » أو متعلق « بواجد » ومن مستعمله في المعنى الأسمي بمعنى بدل .

(٥) الآصار : جمع إصر ـ بالكسر ـ وهو الذنب والاثم، وكذلك الأوزار

عِطْفاً، وَأَقلَّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً[1]، فَاتَّخِذْ أُولٰئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ[2] وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللّٰهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعاً ذٰلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ[3]. وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُطْرُوكَ[4] وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ.

وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْاحْسَانِ فِي الْاحْسَانِ، وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ! وَأَلْزِمْ كُلّاً مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ[5]. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ[6] وَتَخْفِيفِهِ الْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ

---

(١) الالف ـ بالكسر ـ : الالفة والمحبة .

(٢) ليكن أفضلهن لديك أكثرهم قولا بالحق المر، ومرارة الحق صعوبته على نفس الوالي .

(٣) « واقعاً » حال مما « كره الله » أي لا يساعدك على ما كره الله حال كونه نازلاً من ميلك إليه أي منزلة ؛ أي وإن كان من أشد مرغوباتك .

(٤) « رضهم » : أي عودهم على ان لا يطروك ـ اي يزيدوا في مدحك ـ ولا يبجحوك ـ أي يفرحوك بنسبة عمل عظيم إليك ولم تكن فعلته ـ ، والزهو ـ بالفتح ـ : العجب . و « تدني » أي تقرب من العزة ، أي الكبر .

(٥) فان المسيء لزم نفسه استحقاق العقاب، والمحسن ألزمها استحقاق الكرامة .

(٦) إذا أحسن الوالي الى رعيته وثق من قلوبهم بالطاعة له ؛ فان الاحسان قياد الانسان فيحسن ظنه بهم ، بخلاف ما لو أساء اليهم ؛ فان الاساءة تحدث العداوة في نفوسهم فينتهزون الفرصة لعصيانه فيسوء ظنه بهم .

لَهُ قِبَلَهُمْ [١] فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذٰلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً [٢] وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ [٣] .

وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هٰـذِهِ الْأُمَّةِ ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا ، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا .

وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ ، وَمُنَافَثَةَ الْحُكَمَاءِ [٤] فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ : فَمِنْهَا جُنُودُ اللّٰهِ ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ [٥] ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ ، وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَـةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَـةِ النَّاسِ ،

---

(١) قبلهم ـ بكسر ففتح ـ : أي عندهم .
(٢) النصب ـ بالتحريك ـ : التعب .
(٣) البلاء هنا : الصنع مطلقا حسناً أو سيئاً ، وتفسير العبارة واضح مما قدمنا .
(٤) المنافثة : المحادثة .
(٥) كتاب ـ كرمان ـ : جمع كاتب ، والكتبة منهم عاملون للعامة كالمحاسبين والمحررين في المعتاد من شؤون العامة كالخراج والمظالم ، ومنهم مختصون بالحاكم : يفضي اليهم بأسراره ، ويوليهم النظر فيما يكتب لأوليائه وأعدائه ، وما يقرر في شؤون حربه وسلمه مثلاً .

وَمِنْهَا ٱلتُّجَّارُ وَأَهْلُ ٱلصِّنَاعَاتِ ، وَمِنْهَا ٱلطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي ٱلْحَاجَةِ وَٱلْمَسْكَنَةِ ، وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى ٱللهُ لَهُ سَهْمَهُ [1] . وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ - صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً .

فَٱلْجُنُودُ ، بِإِذْنِ ٱللهِ ، حُصُونُ ٱلرَّعِيَّةِ ، وَزَيْنُ ٱلْوُلَاةِ ، وَعِزُّ الدِّينِ ، وَسُبُلُ ٱلْأَمْنِ ، وَلَيْسَ تَقُومُ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ ، ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ ٱللهُ لَهُمْ مِنَ ٱلْخَرَاجِ ٱلَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ [2] ، ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَٰذَيْنِ ٱلصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصِّنْفِ ٱلثَّالِثِ مِنَ ٱلْقُضَاةِ وَٱلْعُمَّالِ وَٱلْكُتَّابِ ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ ٱلْمَعَاقِدِ [3] وَيَجْمَعُونَ مِنَ ٱلْمَنَافِعِ ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ ٱلْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي ٱلصِّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ [4] وَيُقِيمُونَهُ مِنْ

---

(١) سهمه : نصيبه من الحق .

(٢) أي يكون محيطاً بجميع حاجاتهم دافعاً لها .

(٣) هو وما بعده نشر على ترتيب اللف، والمعاقد : العقود في البيع والشراء وما شابهها مما هو شأن القضاة، وجمع المنافع : من حفظ الأمن ، وجباية الخراج، وتصريف الناس في منافعهم العامة ، ذلك شأن العمال . والمؤتمنون : هم الكتاب .

(٤) الضمير للتجار وذوي الصناعات ، أي انهم قوام لمن قبلهم بسبب المرافق أي المنافع التي يجتمعون لأجلها ، ولها يقيمون الاسواق ، ويكفون سائر الطبقات ، من الترفق - أي التكسب - بأيديهم ما لا يبلغه كسب غيرهم من سائر الطبقات .

أَسْوَاقِهِمْ ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ ٱلتَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَالَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ ، ثُمَّ ٱلطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ ٱلْحَاجَةِ وَٱلْمَسْكَنَةِ ٱلَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ [1] وَفِي ٱللهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ ، وَلِكُلٍّ عَلَى ٱلْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ ٱلْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ ٱللهُ مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا بِالاهْتِمَامِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللهِ ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ ٱلْحَقِّ ، وَٱلصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ . فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً [2] وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً : مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ ٱلْغَضَبِ ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى ٱلْعُذْرِ ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ ، وَيَنْبُو عَلَى ٱلْأَقْوِيَاءِ [3] وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ ٱلْعُنْفُ ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ ٱلضَّعْفُ .

ثُمَّ ٱلْصَقْ بِذَوِي ٱلْمُرُوءَاتِ ٱلْأَحْسَابِ [4] وَأَهْلِ ٱلْبُيُوتَاتِ ٱلصَّالِحَةِ وَٱلسَّوَابِقِ ٱلْحَسَنَةِ ، ثُمَّ أَهْلِ ٱلنَّجْدَةِ وَٱلشَّجَاعَةِ وَٱلسَّخَاءِ وَٱلسَّمَاحَةِ ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ ٱلْكَرَمِ ، وَشُعَبٌ مِنَ ٱلْعُرْفِ ، ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ ٱلْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا ، وَلَا

---

(١) رفدهم : مساعدتهم وصلتهم .

(٢) جيب القميص : طوقه ، ويقال «نقي الجيب» أي طاهر الصدر والقلب، والحلم : العقل .

(٣) ينبو : يشتد ويعلو عليهم ليكف أيديهم عن ظلم الضعفاء .

(٤) «ثم الصق الخ» تبيين للقبيل الذي يؤخذ منه الجند ويكون منه رؤساؤه، وشرح لأوصافهم . وجماع من الكرم : مجموع منه ، وشعب ـ بضم ففتح ـ : جمع شعبة ، والعرف : المعروف .

يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِـهِ [١] وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ [٢] وَإِنْ قَلَّ ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ . وَلَا تَدَعْ تَفَقُّـدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّـكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا ، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ .

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْـدَكَ [٣] مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ ، بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، فَإِنَّ عَطْفَـكَ عَلَيْهِمْ [٤] يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ ، وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ ، وَلَا تَصِحُّ

---

(١) تفاقم الأمر : عظم ، اي لا تعد شيئاً قويتهم به غاية في العظم زائداً عما يستحقون ، فكل شيء قويتهم به واجب عليك اتيانه ، وهم مستحقون لنيله .

(٢) أي لا تعد شيئاً من تلطفك معهم حقيراً فتتركه لحقارته ، بل كل تلطف ـ وإن قل ـ فله موقع من قلوبهم .

(٣) « آثر » اي أفضل وأعلى منزلة ، فليكن أفضل رؤساء الجند من واسى الجند ـ أي ساعدهم ـ بمعونته لهم ، وأفضل عليهم ـ أي أفاض ـ وجاد من جدته ؛ والجدة ـ بكسر ففتح ـ : الغنى ؛ والمراد ما بيده من أرزاق الجند ، وما سلم اليه من وظائف المجاهدين ، لا يقتر عليهم في الفرض ، ولا ينقصهم شيئاً مما فرض لهم ، بل يجعل العطـاء شاملاً لمن تركوهم في الديار من خلوف الأهلين : جمع خلف ـ بفتح فسكون ـ وهو من يبقى في الحي من النساء والعجزة بعد سفر الرجال .

(٤) «عليهم» : أي على الرؤساء .

نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ [1] وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ، فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ [2]، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى وَلَا تُضِيفَنَّ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ [3]، وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، وَلَا ضَعَةُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً.

وَارْدُدْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ [4] وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) فَالرَّدُّ

---

(١) حيطة — بكسر الحاء — : من مصادر « حاطه » بمعنى حفظه وصانه، أي بمحافظتهم على ولاة أمورهم وحرصهم على بقائهم، وأن لا يستثقلوا دولتهم ولا يستبطئوا انقطاع مدتهم، بل يعدون زمنهم قصيراً يطلبون طوله.

(٢) ما صنع أهل الأعمال العظيمة منهم، فتعديد ذلك يهز الشجاع — أي يحركه للاقدام — ويحرض الناكل، أي المتأخر القاعد.

(٣) لا تنسبن عمل امرىء الى غيره ولا تقصر به في الجزاء دون ما يبلغ منتهى عمله الجميل.

(٤) ضلع فلانا — كمنع — : ضرب في ضلعه، والمراد ما يشكل عليك.

إِلَى ٱللهِ : ٱلْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ [١] ، وَالرَّدُّ إِلَى ٱلرَّسُولِ ٱلْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ ٱلْجَامِعَةِ غَيْرِ ٱلْمُفَرِّقَةِ [٢] .

ثُمَّ ٱخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ [٣] فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ ٱلْأُمُورُ وَلَا تُمَحِّكُهُ ٱلْخُصُومُ [٤] وَلَا يَتَمَادَى فِي ٱلزَّلَّةِ ، وَلَا يَحْصَرُ مِنَ ٱلْفَيْءِ إِلَى ٱلْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ [٥] ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ [٦] وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ [٧] ،

---

(١) محكم الكتاب : نصه الصريح .

(٢) سنة الرسول كلها جامعة ، ولكن رويت عنه سنن افترقت بها الآراء ، فاذا أخذت فخذ بما أجمع عليه مما لا يختلف في نسبته اليه .

(٣) « ثم اختر – الخ » انتقال من الكلام في الجند الى الكلام في القضاة .

(٤) أمحكه : جعله محكان ، أي عسر الخلق ، أو أغضبه ، وتقول : محك – كمنع – أي لج في الخصومة ، فهو محك – ككتف – ومماحك ومحكان – بفتح فسكون – ومتمحك ، و « تماحكا » أي تلاجا ، و « رجل محكان » : أي عسر الخلق لجوج . أي لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والاصرار على رأيه ، والزلة – بالفتح – السقطة في الخطأ .

(٥) حصر – كفرح – : ضاق صدره ، أي لا يضيق صدره من الرجوع الى الحق .

(٦) الاشراف على الشيء : الاطلاع عليه من فوق ، فالطمع من سفالات الامور من نظر إليه وهو في أعلى منزلة النزاهة لحقته وصمة النقيصة ، فما ظنك بمن هبط إليه وتناوله ؟

(٧) لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم وأقربه ، دون ان يأتي على أقصى الفهم بعد التأمل .

وَأَوْقَفَهُمْ فِي ٱلشُّبُهَاتِ (١) وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ ٱلْخَصْمِ ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ ٱلْأُمُورِ ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ ٱتِّضَاحِ ٱلْحُكْمِ ، مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ (٢) وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ ، وَأُولٰئِكَ قَلِيلٌ ، ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ (٣) وَٱفْسَحْ لَهُ فِي ٱلْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ (٤) ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى ٱلنَّاسِ ، وَأَعْطِهِ مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَالَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ (٥) لِيَأْمَنَ بِذٰلِكَ ٱغْتِيَالَ ٱلرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ ، فَانْظُرْ فِي ذٰلِكَ نَظَراً بَلِيغاً ، فَإِنَّ هٰذَا ٱلدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي ٱلْأَشْرَارِ : يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى ، وَتُطْلَبُ بِهِ ٱلدُّنْيَا .

ثُمَّ ٱنْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ ٱخْتِبَاراً (٦) وَلَا تُوَلِّهِمْ

---

(١) هذا وما بعده إتباع لأفضل رعيتك، والشبهات : ما لا يتضح الحكم فيها بالنص ؛ فينبغي الوقوف على القضاء حتى يرد الحادثة الى أصل صحيح . والتبرم: الملل والضجر ، وأصرمهم : أقطعهم للخصومة .

(٢) لا يزدهيه : لا يستخفه زيادة الثناء عليه

(٣) تعاهده : تتبعه بالاستكشاف والتعرف ، وضمير «قضائه» لأفضل الرعية الموصوف بالأوصاف السابقة

(٤) البذل : العطاء ، أي : أوسع له حتى يكون ما يأخذه كافياً لمعيشة مثله وحفظ منزلته

(٥) إذا رفعت منزلته عندك هابته الخاصة كما تهابه العامة ، فلا يجرؤ أحد على الوشاية به عندك خوفاً منك وإجلالاً لمن أجللته

(٦) ولهم الاعمال بالامتحان ، لا محاباة: أي: اختصاصاً وميلاً منك لمعاونتهم ، وأثرة ـ بالتحريك ـ أي : استبداداً بلا مشورة ، فأنها ـ أي : المحاباة والأثرة ـ يجمعان الجور والخيانة

مُحَاباةً وَأَثَرَةً ، فَإِنَّهُمْ جِماعٌ مِنْ شُعَبِ ٱلْجَوْرِ وَٱلْخِيَانَةِ ، وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَٱلْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ ٱلْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَٱلْقَدَمِ فِي ٱلْإِسْلَامِ[1] ٱلْمُتَقَدِّمَةِ ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً ، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً ، وَأَقَلُّ فِي ٱلْمَطَامِعِ إِشْرَافاً ، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ ٱلْأُمُورِ نَظَراً . ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْزَاقَ[2] فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى ٱسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ ، وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ[3] ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وَٱبْعَثِ ٱلْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَٱلْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ[4] ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ[5] عَلَى ٱسْتِعْمَالِ ٱلْأَمَانَةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَتَحَفَّظْ مِنَ ٱلْأَعْوَانِ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ ٱجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ[6] عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ ٱكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ ٱلْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ ٱلْمَذَلَّةِ ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ .

---

(١) «توخ» أي : أطلب وتحر أهل التجربة الخ . والقدم — بالتحريك — : واحدة الاقدام ، أي : الخطوة السابقة . وأهلها هم الأولون

(٢) أسبغ عليه الرزق : أكمله وأوسع له فيه

(٣) نقصوا في أدائها أو خانوا .

(٤) العيون : الرقباء

(٥) «حدوة» أي : سوق لهم وحث

(٦) « اجتمعت — الخ » أي : اتفقت عليها اخبار الرقباء

وَتَفَقَّدْ أَمْرَ ٱلْخَوارِجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ ، فَإِنَّ فِي صَلاحِهِ وَصَلاحِهِمْ صَلاحاً لِمَنْ سِواهُمْ ، وَلا صَلاحَ لِمَنْ سِواهُمْ إِلَّا بِهِمْ ، لِأَنَّ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمْ عِيالٌ عَلَى ٱلْخَراجِ وَأَهْلِهِ . وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمارَةِ ٱلْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي ٱسْتِجْلابِ ٱلْخَراجِ لِأَنَّ ذٰلِكَ لا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمارَةِ ، وَمَنْ طَلَبَ ٱلْخَراجَ بِغَيْرِ عِمارَةٍ أَخْرَبَ ٱلْبِلادَ وَأَهْلَكَ ٱلْعِبادَ ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً ، فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً [1] أَوْ عِلَّةً أَوِ ٱنْقِطاعَ شِرْبٍ أَوْ بالَّةٍ أَوْ إِحالَةَ أَرْضٍ ٱغْتَمَرَها غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِها عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِما تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ . وَلا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ ٱلْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمارَةِ بِلادِكَ ، وَتَزْيِينِ وِلايَتِكَ ، مَعَ ٱسْتِجْلابِكَ حُسْنَ ثَنائِهِمْ ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفاضَةِ ٱلْعَدْلِ فِيهِمْ [2] مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ [3] بِما

---

(١) إذا شكوا ثقل المضروب من مال الخراج أو نزول علة سماوية بزرعهم أضرت بثمراته ، أو انقطاع شرب ـ بالكسر ، أي : ماء في بلاد تسقى بالأنهار ـ أو انقطاع بالة ـ أي : ما يبل الأرض من ندى ومطر فيما تسقى بالمطر ـ أو إحالة أرض ـ بكسر همزة إحالة ؛ أي : تحويلها البذر الى فساد بالتعفن لما اغتمرها ؛ أي : عمها من الغرق فصارت غمقة ـ كفرحة ـ أي : غلب عليها الندى والرطوبة حتى صار البذر فيها غمقاً ـ ككتف ـ أي : له رائحة خمة وفساد ، ونقصت لذلك غلاتهم أو أجحف العطش ـ أي : ذهب بمادة الغذاء من الأرض فلم ينبت ؛ فعليك عند الشكوى أن تخفف عنهم .

(٢) التبجح : السرور بما يرى من حسن عمله في العدل .

(٣) أي : متخذاً زيادة قوتهم عماداً لك تستند اليه عند الحاجة ، وأنهم يكونون سنداً مما ذخرت عندهم من إجمامك ؛ أي : إراحتك لهم ، « والثقة » منصوب بالعطف على « فضل » .

ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ [(١)] فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ [(٢)] وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ .

ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ [(٣)] فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ [(٤)] مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِئَ بِهَا

---

(١) طيبة – بكسر الطاء – : مصدر طاب ، وهو علة لاحتملوه ، أي : لطيب أنفسهم باحتماله فان العمران ما دام قائماً ونامياً فكل ما حملت أهله سهل عليهم أن يحتملوا ، كذا قال الأستاذ الامام رحمه الله ، وعندي أن « طيبة » بتشديد الياء – منصوب على الحالية ، و « أنفسهم » مرفوع على أنه فاعل بطيبة ، ويجوز أن يكون « طيبة » مرفوعاً على أنه خبر مقدم ، و « أنفسهم » مبتدأ مؤخر ، والجملة في محل نصب على الحال ، وأي هذين الوجهين أقرب مما ذكره ، والاعواز : الفقر والحاجة .

(٢) لتطلع أنفسهم الى جمع المال إدخاراً لما بعد زمن الولاية إذا عزلوا .

(٣) « ثم انظر – الخ » انتقال من الكلام في أهل الخراج الى الكلام في الكتاب : جمع كاتب .

(٤) بأجمعهم : متعلق بأخصص ، أي : ما يكون من رسائلك حاوياً لشيء من المكائد للأعداء وما يشبه ذلك من أسرارك فاخصصه بمن فاق غيره في جميع الأخلاق الصالحة ، ولا تبطره – أي : لا تطغيه – الكرامة فيجرأ على مخالفتك في حضور ملأ وجماعة من الناس فيضر ذلك بمنزلتك منهم .

عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَإٍ ، وَلَا تَقْصُرُ بِهِ ٱلْغَفْلَةُ [1] عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى ٱلصَّوَابِ عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ ، وَلَا يُضْعِفُ عَقْداً ٱعْتَقَدَهُ لَكَ ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ [2] ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي ٱلْأُمُورِ ، فَإِنَّ ٱلْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ ، ثُمَّ لَا يَكُنِ ٱخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ [3] وَحُسْنِ ٱلظَّنِّ مِنْكَ ، فَإِنَّ ٱلرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ ٱلْوُلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ [4] ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَٰلِكَ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلْأَمَانَةِ شَيْءٌ ، وَلَـٰكِنِ ٱخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ : فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي ٱلْعَامَّةِ أَثَراً ، وَأَعْرَفِهِمْ بِٱلْأَمَانَةِ وَجْهاً ، فَإِنَّ ذَٰلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ ، وَٱجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ [5]

---

(١) لا تكون غفلته موجة لتقصيره في إطلاعك على ما يرد من أعمالك ، ولا في اصدار الأجوبة عنه على وجه الصواب ، بل يكون من النباهة والحذق بحيث لا يفوته شيء من ذلك .

(٢) أي : يكون خبيراً بطرق المعاملات بحيث إذا عقد لك عقداً في أي نوع منها لا يكون ضعيفاً ، بل يكون محكماً جزيل الفائدة لك ، وإذا وقعت مع أحد في عقد كان ضرره عليك لا يعجز عن حل ذلك العقد .

(٣) الفراسة ـ بالكسر ـ : قوة الظن وحسن النظر في الأمور ، والاستنامة : السكون والثقة ، أي : لا يكون انتخاب الكتاب تابعاً لميلك الخاص .

(٤) « يتعرفون للفراسات » أي : يتوسلون اليها لتعرفهم .

(٥) أي : اجعل لرئاسة كل دائرة من دوائر الأعمال رئيساً من الكتاب مقتدراً على ضبطها لا يقهره عظيم تلك الأعمال ، ولا يخرج عن ضبطه كثيرها .

لا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا ، وَلا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا ، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ [1] .

ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ [2] وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً : الْمُقِيمُ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبُ بِمَالِهِ [3] وَالْمُتَرَفِّقُ بِبَدَنِهِ ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَجُلَّابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ ، وَحَيْثُ لا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا [4] وَلا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لا تُخَافُ بَائِقَتُهُ [5] وَصُلْحٌ لا تُخْشَى غَائِلَتُهُ ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلادِكَ . وَاعْلَمْ - مَعَ ذَٰلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً ، وَشُحّاً قَبِيحاً [6] وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ ، وَتَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ ،

---

(١) إذا تغابيت - أي : تغافلت - عن عيب في كتابك كان ذلك العيب لاصقاً بك .

(٢) « ثم استوص » : انتقال من الكلام في الكتاب الى الكلام في التجار والصناع .

(٣) المضطرب : المتردد بأمواله بين البلدان ، والمترفق : المكتسب ، والمرافق : تقدم تفسيرها بالمنافع ، وحقيقتها - وهي والمراد هنا - ما به يتم الانتفاع كالآنية والأدوات وما يشبه ذلك .

(٤) أي : ويجلبونها من أمكنة بحيث لا يمكن التئام الناس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق من تلك الأمكنة .

(٥) فانهم : علة لاستوص وأوص ، والبائقة : الداهية ، والتجار والصناع مسالمون لا تخشى منهم داهية العصيان .

(٦) الضيق : عسر المعاملة ، والشح : البخل ، والاحتكار : حبس المطعوم ونحوه عن الناس لا يسمحون به إلا بأثمان فاحشة .

وَذٰلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَى ٱلْوُلَاةِ ، فَٱمْنَعْ مِنَ ٱلِاحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ مَنَعَ مِنْهُ . وَلْيَكُنِ ٱلْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً : بِمَوَازِينِ عَدْلٍ ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ ٱلْبَائِعِ وَٱلْمُبْتَاعِ [1] فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ [2] فَنَكِّلْ بِهِ ، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ .

ثُمَّ ٱللهَ ٱللهَ فِي ٱلطَّبَقَةِ ٱلسُّفْلَى مِنَ ٱلَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ ٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ ٱلْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى [3] فَإِنَّ فِي هٰذِهِ ٱلطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً [4] ، وَٱحْفَظْ لِلّٰهِ مَا ٱسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ ، وَٱجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ ، وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي ٱلْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ [5] ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ ٱلَّذِي لِلْأَدْنَى ، وَكُلٌّ قَدِ ٱسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ ، فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ [6] فَإِنَّكَ

---

(١) المبتاع : المشتري .

(٢) « قارف » أي : خالط ، والحكرة ـ بالضم ـ : الاحتكار ، فمن أتى عمل الاحتكار بعد النهي عنه فنكل به ـ أي : أوقع به النكال والعذاب ـ عقوبة له ، لكن من غير إسراف في العقوبة ، ولا تجاوز عن حد العدل فيها .

(٣) البؤسى ـ بضم أوله ـ : شدة الفقر ، والزمنى ـ بفتح أوله ـ : جمع زمين ، وهو المصاب بالزمانة ـ بفتح الزاي ـ أي : العاهة ، يريد أرباب العاهات المانعة لهم عن الاكتساب .

(٤) القانع : السائل ، من « قنع » كمنع ، أي : سأل وخضع وذل ، وقد تبدل القاف كافاً فيقال كنع . والمعتر ـ بتشديد الراء ـ : المتعرض للعطاء بلا سؤال ؛ واستحفظك : طلب منك حفظه .

(٥) صوافي الاسلام : جمع صافية ، وهي أرض الغنيمة ، وغلاتها : ثمراتها .

(٦) طغيان بالنعمة .

لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ [1] لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ ، فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ [2] وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ [3] وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ ، فَفَرِّغْ لِأُولَئِكَ ثِقَتَكَ [4] مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ [5] ، فَإِنَّ هٰؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ ، وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي [6] السِّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ ، وَذٰلِكَ عَلَى الْوُلَاةِ ثَقِيلٌ (وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ) وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ .

وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً [7] تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ

---

(١) التافه : القليل لا تعذر بتضييعه إذا أحكمت وأنفقت الكثير المهم .

(٢) « لا تشخص » أي : لا تصرف همك — أي : اهتمامك — عن ملاحظة شؤونهم ، و « صعر خده » أماله إعجاباً و كبراً .

(٣) تقتحمه العين : تكره أن تنظر اليه احتقاراً .

(٤) « فرغ » أي : اجعل للبحث عنهم أشخاصاً يتفرغون لمعرفة أحوالهم يكونون ممن تثق بهم ، يخافون الله ويتواضعون لعظمته لا يأنفون من تعرف حال الفقراء ليرفعوها اليك .

(٥) « بالأعذار الى الله » أي : بما يقدم لك عذراً عنده .

(٦) « ذوو اليتم » : الأيتام . وذوو الرقة في السن : المتقدمون فيه .

(٧) «لذوي الحاجات» أي: المتظلمين تتفرغ لهم فيه بشخصك للنظر في مظالمهم.

شَخْصَكَ ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلّهِ الذي خَلَقَكَ ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ [١] مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ [٢] ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللّهِ ـ صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ [٣] : (لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ [٤] لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ ٱلْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ) ثُمَّ ٱحْتَمِلِ ٱلْخُرْقَ مِنْهُمْ وَٱلْعِيَّ [٥] ، وَنَحِّ عَنْهُمُ ٱلضِّيقَ وَٱلْأَنَفَ [٦] يَبْسُطُ ٱللّهُ عَلَيْكَ بِذٰلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ ، وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ . وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً [٧] ، وَٱمْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ !

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا : مِنْهَا إِجَابَةُ

---

(١) تأمر بأن يقعد عنهم ولا يتعرض لهم جندك الخ ، والأحراس : جمع حرس ـ بالتحريك ـ وهو من يحرس الحاكم من وصول المكروه ، والشرط ـ بضم ففتح : ـ طائفة ـ : من أنواع الحاكم ، وهم المعروفون الآن بالضابطة ، واحده شرطة ـ بضم فسكون ـ .

(٢) التعتعة في الكلام : التردد فيه من عجز وعي ، والمراد غير خائف ، تعبيراً باللازم .

(٣) أي : في مواطن كثيرة .

(٤) التقديس : التطهير ، أي : لا يطهر الله أمة الخ .

(٥) الخرق ـ بالضم ـ العنف ضد الرفق ، والعي ـ بالكسر ـ العجز عن النطق ، أي : لا تضجر من هذا ولا تغضب لذاك .

(٦) الضيق : ضيق الصدر بسوء الخلق ، والأنف ـ محركة ـ : الاستنكاف والاستكبار وأكناف الرحمة : أطرافها .

(٧) سهلاً لا تخشنه باستكثاره والمن به ، وإذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر

عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْـهُ كُتَّابُكَ [1] ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ ٱلنَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ مِمَّا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ [2] ، وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ ، وَٱجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ أَفْضَلَ تِلْكَ ٱلْمَوَاقِيتِ ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ ٱلْأَقْسَامِ [3] وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلهِ إِذَا صَلُحَتْ فِيهَا ٱلنِّيَّةُ ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا ٱلرَّعِيَّةُ .

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلهِ دِينَكَ : إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ ٱلَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّـةً فَأَعْطِ ٱللهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى ٱللهِ مِنْ ذٰلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلَا مَنْقُوصٍ [4] بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ ، وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلَا مُضَيِّعاً [5] فَإِنَّ فِي ٱلنَّاسِ مَنْ بِهِ ٱلْعِلَّةُ وَلَهُ ٱلْحَاجَةُ . وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى ٱلْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ ؟ فَقَالَ : « صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ ، وَكُنْ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً » .

أَمَّا بَعْـدُ ، فَلَا تُطَوِّلَنَّ ٱحْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ

---

(١) يعيا : يعجز .

(٢) حرج يحرج ـ من باب تعب ـ : ضاق ، والأعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات، ويحبون المماطلة في قضائها : استجلاباً للمنفعة، أو إظهاراً للجبروت

(٣) أجزلها : أعظمها .

(٤) « غير مثلوم » أي : غير مخدوش بشيء من التقصير ولا مخروق بالرياء ؛ و « بالغاً » حال بعد الأحوال السابقة، أي : وإن بلغ من إتعاب بدنك أي مبلغ

(٥) التنفير : بالتطويل، والتضييع : بالنقص في الأركان، والمطلوب التوسط

اُحْتِجَابَ ٱلْوُلَاةِ عَنِ ٱلرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ ، وَٱلِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا ٱحْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ ٱلْكَبِيرُ ، وَيَعْظُمُ ٱلصَّغِيرُ ، وَيَقْبُحُ ٱلْحَسَنُ ، وَيَحْسُنُ ٱلْقَبِيحُ ، وَيُشَابُ ٱلْحَقُّ بِالْبَاطِلِ ، وَإِنَّمَا ٱلْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ ٱلنَّاسُ بِهِ مِنَ ٱلْأُمُورِ ، وَلَيْسَتْ عَلَى ٱلْحَقِّ سِمَاتٌ[1] تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ ٱلصِّدْقِ مِنَ ٱلْكَذِبِ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إِمَّا ٱمْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي ٱلْحَقِّ فَفِيمَ ٱحْتِجَابُكَ[2] مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ ، أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ ؟ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ ٱلنَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ[3] مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ ٱلنَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شَكَاةِ مَظْلَمَةٍ[4] أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ .

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمُ ٱسْتِئْثَارٌ ، وَتَطَاوُلٌ ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ ، فَٱحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ

---

(١) سمات : جمع سمة – بكسر ففتح – ، وهي العلامة ، أي : ليس للحق علامات ظاهرة يتميز بها الصدق من الكذب ، وإنما يعرف ذلك بالامتحان ، ولا يكون إلا بالمحافظة .

(٢) فلأي سبب تحتجب عن الناس في أداء حقهم ، أو في عمل تمنحه إياهم ؟

(٣) البذل : العطاء ، فان قنط الناس من قضاء مطالبهم منك أسرعوا الى البعد عنك ، فلا حاجة للاحتجاب .

(٤) شكاة – بالفتح – : شكاية .

الْأَحْوالِ [٥] وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً [١] وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ [٣] وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً، وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ [٣].

وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ [٤] وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ.

---

(١) « فاحسم » أي : اقطع مادة شرورهم عن الناس بقطع أسباب تعديهم، وإنما يكون بالأخذ على أيديهم ومنعهم من التصرف في شؤون العامة.

(٢) الاقطاع : المنحة من الأرض. والقطيعة : الممنوح منها، والحامة — كالطامة — : الخاصة والقرابة. والاعتقاد : الامتلاك، والعقدة — بالضم — : الضيعة واعتقاد الضيعة : اقتناؤها، وإذا اقتنوا ضيعة فربما أضروا بمن يليها؛ أي : يقرب منها، من الناس، في شرب — بالكسر — وهو النصيب في الماء.

(٣) مهناه : منفعته الهنيئة.

(٤) المغبة — كمحبة — : العاقبة، وإلزام الحق لمن لزمهم وإن ثقل على الوالي وعليهم فهم محمود العاقبة بحفظ الدولة في الدنيا ونيل السعادة في الآخرة.

(٥) وإن فعلت فعلاً ظنت الرعية أن فيه حيفاً — أي : ظلماً — فأصحر — أي : أبرز لهم — وبيّن عذرك فيه. وعدل عن كذا : نحاه عنه، والأصحار : الظهور، من « أصحر » إذا برز في الصحراء، و « رياضة » أي : تعويداً لنفسك على العدل. والأعذار : تقديم العذر أو إبداؤه.

وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلِلَّهِ فِيهِ رِضاً ، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ [1] وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ ، وَأَمْناً لِبِلَادِكَ ، وَلَٰكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ [2] فَخُذْ بِالْحَزْمِ ، وَاتَّهِمْ فِي ذَٰلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ . وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً [3] فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ [4] ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً ، مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ ، مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ [5] ، وَقَدْ لَزِمَ ذَٰلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ [6] لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ [7]

---

(١) الدعة ــ محركة ــ : الراحة .

(٢) « قارب » أي : تقرب منك بالصلح ليلقي عليك عنه غفلة فيغدرك فيها .

(٣) أصل معنى الذمة وجدان مودع في جبلة الانسان ينبهه لرعاية حق ذوي الحقوق عليه ويدفعه لأداء ما يجب عليه منها ، ثم أطلقت على معنى العهد وجعل العهد لباساً لمشابهته له في الرقابة من الضرر ، حاطه : حفظه .

(٤) الجنة ــ بالضم ــ : الوقاية ، أي : حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك

(٥) « الناس » مبتدأ ، و « أشد » خبر ، والجملة خبر ليس ، يعني أن الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله أشد من اجتماعهم على تعظيم الوفاء بالعهود مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم ، حتى إن المشركين التزموا الوفاء فيما بينهم ، فأولى أن يلتزمه المسلمون ، كذا قال الامام ، ولنا في إعرابه توقف عظيم ، فجملة المبتدأ والخبر صفة لشيء وهو اسم ليس ، أو مبتدأ خبره الظرف قبله واسم ليس ضمير الشأن .

(٦) أي : حال كونهم دون المسلمين في الأخلاق والعقائد .

(٧) لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة ــ أي : مهلكة ــ وما والفعل بعدها

فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ وَلاَ تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ [1] وَلاَ تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لاَ يَجْتَرِيءُ عَلَى ٱللهِ إِلاَّ جَاهِلٌ شَقِيٌّ. وَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ [2]، وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنْعَتِهِ، وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ [3] فَلاَ إِدْغَالَ وَلاَ مُدَالَسَةَ [4] وَلاَ خِدَاعَ فِيهِ، وَلاَ تَعْقِدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ ٱلْعِلَلَ [5]، وَلاَ تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ ٱلتَّأْكِيدِ وَٱلتَّوْثِقَةِ، وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ، لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ ٱللهِ، إِلَى طَلَبِ ٱنْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُوا ٱنْفِرَاجَهُ، وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ ٱللهِ فِيهِ طِلْبَةٌ [6]، فَلاَ تَسْتَقْبِلُ فِيهَا

في تأويل مصدر ، أي : استيبالهم .

(١) خاس بعهده : خان ونقضه . والختل : الخداع .

(٢) الأمن : الأمان ، و « أفضاه » هنا بمعنى أفشاه ، وأصله المزيد من « فضا فضوا » — من باب قعد — أي : اتسع ، فالرباعي بمعنى وسعه ، والسعة مجازية يراد بها الافشاء والانتشار . والحريم : ما حرم عليك أن تمسه ، والمنعة — بالتحريك — ما تمتنع به من القوة .

(٣) « يستفيضون » أي : يفزعون اليه بسرعة .

(٤) الادغال : الافساد . والمدالسة : الخيانة .

(٥) العلل : جمع علة ، وهي في النقد والكلام ، بمعنى ما يصرفه عن وجهه ويحوله الى غير المراد ، وذلك يطرأ على الكلام عند إبهامه وعدم صراحته . ولحن القول : ما يقبل التوجيه كالتورية والتعريض ، فإذا تعلل بهذا المقاعد لك وطلب شيئاً لا يوافق ما أكدته وأخذت عليه الميثاق فلا تعول عليه . وكذلك لو رأيت ثقلاً من التزام العهد فلا تركن الى لحن القول لتتملص منه ، فخذ بأصرح الوجوه لك وعليك .

(٦) و « أن تحيط » : عطف على « تبعة » أي : وتخاف ان تتوجه عليك من

دُنياكَ وَلا آخِرَتكَ .

إِيَّاكَ وَالدِّماءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنَى لِنِقْمَةٍ ، وَلَا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ ، وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ ، وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ ، لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ [1] ، وَإِنِ ابْتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ [2] أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ ، فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ .

وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا ، وَحُبَّ

الله مطالبة بحقه في الوفاء الذي غدرته ويأخذ الطلب بجميع أطرافك فلا يمكنك التخلص منه ويصعب عليك أن تسأل الله أن يقيلك من هذه المطالبة بعفو عنك في دنيا أو آخرة بعد ما تجرأت على عهده بالنقض .

(١) القود — بالتحريك — : القصاص ، وإضافته للبدن لأنه يقع عليه .

(٢) أفرط عليك : عجل بما لم تكن تريده : أردت تأديباً فأعقب قتلاً . وقوله « فإن في الوكزة » تعليل لأفرط ، والوكزة — بفتح فسكون — : الضربة بجمع الكف — بضم الجيم ، أي : قبضته — وهي المعروفة باللكمة . وقوله « فلا تطمحن » أي : ترتفعن بك كبرياء السلطان عن تأدية الدية اليهم في القتل الخطأ ، جواب الشرط .

الإِطْرَاء [1] فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ .

وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ [2] أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ [3] . قَالَ اللهُ تَعَالَى : (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَالَا تَفْعَلُونَ) .

وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا ، أَوِ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا [4] أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ [5] أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ . فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ ، وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ .

---

(١) الاطراء : المبالغة في الثناء ، والفرصة – بالضم – : حادث يمكنك لو سعيت من الوصول لمقصدك ، والعجب في الانسان من أشد الفرص لتمكين الشيطان من قصده – وهو محق الاحسان – بما يتبعه من الغرور والتعالي بالفعل على من وصل الية أثره .

(٢) التزيد – كالتقيد – : إظهار الزيادة في الأعمال عن الواقع منها في معرض الافتخار .

(٣) المقت : البغض والسخط .

(٤) التسقط : من قولهم « تسقط في الخبر يتسقط » إذا أخذه قليلاً ، يريد به هنا : التهاون . وفي نسخة « التساقط » بمدالسين – من « ساقط الفرس عدوه » إذا جاء مسترخياً .

(٥) تنكرت : لم يعرف وجه الصواب فيها ، واللجاجة : الاصرار على منازعة الأمر ليتم على عسر فيه ؛ والوهن : الضعف .

وَإِيَّاكَ وَالِاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ[1] ، وَالتَّغَابِي عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الْأُمُورِ ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ ، امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ[2] ، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ ، وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذٰلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ[3] ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الِاخْتِيَارَ ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذٰلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ .

وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ ، فَتَقْتَدِي بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا[4] ، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ

---

(١) إحذر ان تخص نفسك بشيء تزيد به عن الناس ، وهو مما تجب فيه المساواة من الحقوق العامة . والتغابي : التغافل . « وما يعنى به » مبني للمجهول – أي : يهتم به .

(٢) يقال « فلان حمي الأنف » إذا كان أبياً يأنف الضيم ، أي : املك نفسك عند الغضب . والسورة – بفتح السين وسكون الواو – : الحدة ، والحد – بالفتح – : البأس . والغرب – بفتح فسكون – : الحد تشبيهاً له بحد السيف ونحوه .

(٣) البادرة : ما يبدر من اللسان عند الغضب من سباب ونحوه ، وإطلاق اللسان يزيد الغضب اتقاداً ، والسكوت يطفىء من لهبه .

(٤) ضمير « فيها » يعود الى جميع ما تقدم ، أي : تذكر كل ذلك واعمل فيه مثل ما رأيتنا نعمل ، واحذر التأويل حسب الهوى .

إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هٰذَا، وَأَسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ ٱلْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ، لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا. وَأَنَا أَسْأَلُ ٱللّٰهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ [١] أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ ٱلْإِقَامَةِ عَلَى ٱلْعُذْرِ ٱلْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ [٢]، مَعَ حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ فِي ٱلْعِبَادِ، وَجَمِيلِ ٱلْأَثَرِ فِي ٱلْبِلَادِ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ ٱلْكَرَامَةِ [٣] وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. وَٱلسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ ٱلطَّيِّبِينَ ٱلطَّاهِرِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً، وَٱلسَّلَامُ.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى طلحة والزبير (مع عمران بن الحصين الخزاعي) ذكره ابو جعفر الاسكافي في كتاب المقامات في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَإِنْ كَتَمْتُمَا أَنِّي لَمْ أُرِدِ ٱلنَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي، وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي، وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي

---

(١) «على» متعلقة بقدرة.

(٢) يريد من العذر الواضح العدل؛ فانه عذر لك عند من قضيت عليه، وعذر عند الله فيمن أجريت عليه عقوبة أو حرمته من منفعة.

(٣) أي: زيادة الكرامة أضعافاً.

وَبَايَعنِي ، وَإِنَّ ٱلعَامَـةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ ، وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ [1] ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعَيْنِ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى ٱللّٰهِ مِنْ قَرِيبٍ ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَـيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ [2] بِإِظْهَارِكُمَا ٱلطَّاعَـةَ ، وَإِسْرَارِكُمَا ٱلْمَعْصِيَةَ . وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقِّ ٱلْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَانِ ، وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هٰذَا ٱلْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ [3] كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ .

وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ ، فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ، ثُمَّ يَلْزَمُ كُلُّ ٱمْرِىءٍ بِقَدْرِ مَا ٱحْتَمَلَ [4] . فَارْجِعَا أَيُّهَا ٱلشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا ، فَإِنَّ ٱلْآنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا ٱلْعَارُ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَجَمَّعَ ٱلْعَارُ وَٱلنَّارُ ، وَٱلسَّلَامُ [5] .

---

(١) العرض ـ بفتح فسكون ، أو بالتحريك ـ هو المتاع ، وما سوى النقدين من المال ، أي ولا لطمع في مال حاضر . وفي نسخة « ولا لحرص حاضر » .

(٢) السبيل : الحجة .

(٣) الأمر : هو خلافته .

(٤) أي نرجع في الحكم لمن تقاعد عن نصري ونصركما من أهل المدينة : فأن حكموا قبلنـا حكمهم ، ثم ألزمت الشريعة كل واحد منا بقدر مداخلته في قتل عثمان .

(٥) قوله «من قبل أن يتجمع» متعلق بفعل محذوف ، أي راجعنا من قبل الخ .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ ٱلدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا[1] ، وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا ، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا ، وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا ، وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا ، وَقَدِ ٱبْتَلَانِي ٱللّٰهُ بِكَ وَابْتَلَاكَ بِي : فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الآخَرِ ، فَعَدَوْتَ عَلَى ٱلدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ ٱلْقُرْآنِ[2] ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلَا لِسَانِي ، وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي[3] ، وَأَلَّبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ وَقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ ، فَاتَّقِ ٱللّٰهَ فِي نَفْسِكَ ، وَنَازِعِ ٱلشَّيْطَانَ قِيَادَكَ[4] ، وَٱصْرِفْ إِلَى الآخِرَةِ وَجْهَكَ فَهِيَ طَرِيقُنَا

---

(١) وهو الآخرة .

(٢) فعدوت : أي وثبت ، ويروى « فغدوت » وتأويل القرآن : صرف قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) و (لكم في القصاص حياة) وتحويله إلى غير معناه ، حيث أقنع أهل الشام أن هذا النص يخول معاوية الحق في الطلب بدم عثمان أمير المؤمنين .

(٣) أي إنك وأهل الشام عصبتم ـ أي ربطتم ـ دم عثمان بي ، وألزمتموني ثأره ، وألب ـ بفتح الهمزة وتشديد اللام ـ أي حرّض . قالوا : يريد بالعالم أبا هريرة رضي الله عنه ، وبالقائم عمرو بن العاص .

(٤) القياد ـ بالكسر ـ : الزمام ، و « نازعه القياد » إذا لم يسترسل معه .

وَطَرِيقَكَ ، وَٱحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ ٱللّٰهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ تَمَسُّ ٱلْأَصْلَ ، وَتَقْطَعُ ٱلدَّابِرَ [1] ، فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِٱللّٰهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ [2] ، لَئِنْ جَمَعَتْنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ ٱلْأَقْدَارِ لَا أَزَالُ بِبَاحَتِكَ (حَتَّى يَحْكُمَ ٱللّٰهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَاكِمِينَ) .

ومن وصية له عليه السلام

وصى بها شريح بن هاني ، لما جعله على مقدمته إلى الشام

ٱتَّقِ ٱللّٰهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ ٱلدُّنْيَا ٱلْغَرُورَ ، وَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ ، وَٱعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهٍ سَمَتْ بِكَ ٱلْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ ٱلضَّرَرِ [3] . فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً ، وَلِنَزْوَتِكَ عِنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ وَاقِماً قَامِعاً [4] .

---

(١) القارعة : البلية والمصيبة تمس الأصل ـ اي تصيبه ـ فتقلعه ، والدابر : هو الآخر ، ويقال للأصل ايضاً ، أي لا تبقي لك أصلاً ولا فرعاً .

(٢) «أولى» : أي أحلف بالله حلفة غير حانثة ، والباحة كالساحة وزناً ومعنى .

(٣) سمت : أي ارتفعت ، والأهواء : جمع هوى ، وهو الميل مع الشهوة حيث مالت .

(٤) النزوة : من « نزا ينزو نزوا » أي وثب ، والحفيظة : الغضب ، و «وقمه فهو واقم » أي قهره ، وقمعه : رده وكسره .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى اهل الكوفة، عند مسيره من المدينة إلى البصرة

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هٰذَا [1]، إِمَّا ظَالِماً، وَإِمَّا مَظْلُوماً، وَإِمَّا بَاغِياً وَإِمَّا مَبْغِيّاً عَلَيْهِ، وَإِنِّي أُذَكِّرُ ٱللّٰهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هٰذَا [2] لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً ٱسْتَعْتَبَنِي.

ومن كتاب له عليه السلام

كتبه إلى أهل الأمصار، يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين

وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا ٱلْتَقَيْنَا وَٱلْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ، وَٱلظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ [3]، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي ٱلْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ،

---

(١) الحي: موطن القبيلة أو منزلها.

(٢) «من بلغه» مفعول «اذكر». وقوله «لما نفر إلي» إن كانت مشددة فلما بمعنى إلا، وإن كانت مخففة فهي زائدة واللام للتأكيد، واستعتبني: طلب مني العتبى أي الرضا، أي طلب مني أن أرضيه بالخروج عن إساءتي.

(٣) «والظاهر — الخ»: الواو للحال، أي كان التقاؤنا في حال يظهر فيها أننا متحدون في العقيدة لا اختلاف بيننا إلا في دم عثمان، و «لا نستزيدهم»: أي لا نطلب منهم زيادة في الايمان، لأنهم كانوا مؤمنين. وقوله «الأمر واحد»: جملة مستأنفة لبيان الاتحاد في كل شيء إلا دم عثمان.

وَلَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا : اَلْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ ! فَقُلْنَا : تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا يُدْرَكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ ، حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ ، فَقَالُوا : بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ ! فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ ، وَوَقَدَتْ نِيرَانُهَا وَحَمِسَتْ[1] فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا وَإِيَّاهُمْ[2] وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وَفِيهِمْ ، أَجَابُوا عِنْدَ ذٰلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا ، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا ، حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمُ الْمَعْذِرَةُ ، فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذٰلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللهُ مِنَ الْهَلَكَةِ ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ[3] الَّذِي رَانَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ .

---

(١) النائرة : اسم فاعل من « نارت الفتنة تنور » إذا انتشرت ، والنائرة ايضاً العداوة والشحناء . والمكابرة : المعاندة ، أي دعاهم للصلح حتى يسكن الاضطراب ثم يوفيهم طلبهم فأبوا إلا الاصرار على دعواهم . وجنحت الحرب : مالت ، أي مال رجالها لايقادها ، وركدت : استقرت وقامت ، ووقدت - كوعدت - أي اتقدت والتهبت ، وحمس - كفرح - : اشتد وصلب ، ويروى « حمشت » .

(٢) ضرستنا : عضتنا بأضراسها .

(٣) الراكس : الناكث الذي قلب عهده ونكثه . والراكس ايضاً الثور الذي يكون في وسط البيدر حين يداس والثيران حواليه وهو يرتكس ، أي يدور مكانه ، وران على قلبه : غطى .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى الأسود بن قطيبة صاحب جند حلوان [1]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلْوَالِيَ إِذَا ٱخْتَلَفَ هَوَاهُ [2] مَنَعَهُ ذٰلِكَ كَثِيراً مِنَ ٱلْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ ٱلنَّاسِ عِنْدَكَ فِي ٱلْحَقِّ سَوَاءً، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ ٱلْعَدْلِ، فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ [3]، وَٱبْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا ٱفْتَرَضَ ٱللّٰهُ عَلَيْكَ رَاجِياً ثَوَابَهُ، وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ [4]، وَأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ ٱلْحَقِّ شَيْءٌ أَبَداً، وَمِنَ ٱلْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ، وَٱلِاحْتِسَابُ عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ [5]، فَإِنَّ ٱلَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنَ

---

(١) إيالة عن إيالات فارس.

(٢) اختلاف الهوى: جريانه مع الاغراض النفسية حيث تذهب. ووحدة الهوى: توجهه إلى أمر واحد، وهو تنفيذ الشريعة العادلة على من يصيب حكمها.

(٣) أي ما لا تستحسن مثله لو صدر من غيرك.

(٤) الفراغ الذي يعقب حسرة يوم القيامة: هو خلو الوقت من عمل يرجع بالنفع على الامة، فعلى الانسان ان يكون عاملاً دائماً فيما ينفع أمته ويصلح رعيته إن كان راعياً.

(٥) الاحتساب على الرعية: مراقبة أعمالها وتقويم ما اعوج منها وإصلاح ما فسد. والأجر الذي يصل اليه العامل من الله والكرامة التي ينالها من الخليفة هما أفضل وأعظم من الصلاح الذي يصل إلى الرعية بسببه.

ذٰلِكَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلَّذِي يَصِلُ بِكَ ، وَالسَّلَامُ .

وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى العمال الذين يطأ الجيش عملهم [1]

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ ٱلْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ ٱلْخَرَاجِ وَعُمَّالِ ٱلْبِلَادِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلّٰهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ ٱلْأَذَى وَصَرْفِ الشَّذَى [2] ، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ ٱلْجَيْشِ [3] إِلَّا مِنْ جَوْعَةِ ٱلْمُضْطَرِّ لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَى شِبَعِهِ فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ [4] ، وَكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَارَّتِهِمْ وَٱلتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا ٱسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ [5] وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ

---

(١) أي يمر بأراضيهم .

(٢) الشذى : الشر .

(٣) معرة الجيش : أذاه ، والامام يتبرأ منها لأنها من غير رضاه . وجوعة ـ بفتح الجيم ـ : الواحدة من مصدر جاع ، يستثني حالة الجوع المهلك ، فأن للجيش فيها حقاً أن يتناول سد رمقه .

(٤) « نكلوا » أي أوقعوا النبال والعقاب بمن تناول شيئاً من أموال الناس غير مضطر ، وافعلوا ذلك جزاء بظلم عن ظلمهم ، وتسمية الجزاء ظلماً نوع من المشاكلة .

(٥) الذي استثناه هو حالة الاضطرار .

ٱلْجَيْشِ فَارْفَعُوا إلَي مَظَالِمَكُمْ وَمَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَا لَا تطِيقُونَ دَفْعَهُ إلَّا بِاللهِ وَبِي[1]، فَأَنَا أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ ٱللهِ، إنْ شَاءَ.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى كميل بن زياد النخعي، وهو عامله على هيت، ينكر عليه

تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالباً الغارة

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ تَضْيِيعَ ٱلْمَرْءِ مَا وُلِّيَ، وَتَكَلُّفَهُ مَا كُفِيَ، لَعَجْزٌ حَاضِرٌ، وَرَأْيٌ مُتَبَّرٌ[2]، وَإِنَّ تَعَاطِيَكَ ٱلْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ قِرْقِيسِيَا[3]، وَتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ ٱلَّتِي وَلَّيْنَاكَ، لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا وَلَا يَرُدُّ ٱلْجَيْشَ عَنْهَا، لَرَأْيٌ شَعَاعٌ، فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً

---

(١) أي إنني موجود فيه، فما عجزتم عن دفعه فردوه إلي أكفكم ضره وشره.

(٢) تضييع الانسان الشأن الذي تولى حفظه وتجشمه الأمر الذي لم يطلب منه وكفاه الغير ثقله عجز عن القيام بما تولاه، ورأي متبر ـ كمعظم ـ من «تبره تتبيراً»، إذا أهلكه، أي هالك صاحبه.

(٣) قرقيسيا ـ بكسر القافين بينهما ساكن ـ: بلد على الفرات، والمسالح: جمع مسلحة، وهي موضع الحامية على الحدود، ورأي شعاع ـ كسحاب ـ: أي متفرق، أما الرأي المجتمع على صلاح فهو تقوية المسالح ومنع العدو من دخول البلاد.

لِمَنْ أَرَادَ ٱلْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ غَيْرَ شَدِيدِ ٱلْمَنْكِبِ وَلَا مَهِيبِ ٱلْجَانِبِ، وَلَا سَادٍّ ثُغْرَةً [1]، وَلَا كَاسِرٍ لِعَدُوٍّ شَوْكَةً، وَلَا مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ [2]، وَلَا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى أهل مصر، مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَمُهَيْمِناً عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ [3] فَلَمَّا مَضَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تَنَازَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَٱللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوْعِي [4] وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ ٱلْعَرَبَ تُزْعِجُ هٰذَا ٱلْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ! فَمَا رَاعَنِي إِلَّا ٱنْثِيَالُ ٱلنَّاسِ

---

(١) المنكب ـ كمسجد ـ : مجتمع الكتف والعضد، وشدته كناية عن القوة والمنعة، والثغرة: الفرجة يدخل منها العدو.

(٢) أغنى عنه: ناب منابه. وقائد المسالح ينبغي أن ينوب عن أهل المصر في كفايتهم غارة عدوهم، وأجزى عنه: قام مقامه وكفى عنه.

(٣) المهيمن: الشاهد، والنبي شاهد برسالة المرسلين الأولين.

(٤) الروع ـ بضم الراء ـ : القلب، أو موضع الروع منه ـ بفتح الراء ـ : أي الفزع ـ أي ما كان يقذف في قلبي هذا الخاطر، وهو أن العرب ترعج ـ أي تنقل ـ هذا الأمر ـ أي الخلافة ـ عن آل بيت النبي عموماً، ولا أنهم ينحونه ـ أي يبعدونه ـ عني خصوصاً.

عَلَى فُلَانٍ (١) يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي (٢) حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ ٱلْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ ٱلْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً (٣) أَوْ هَدْماً تَكُونُ ٱلْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمْ ٱلَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ ٱلسَّرَابُ أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ ٱلسَّحَابُ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ ٱلْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ ٱلْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَٱطْمَأَنَّ ٱلدِّينُ وَتَنَهْنَهَ.

ومنه: إِنِّي وَٱللهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِداً وَهُمْ طِلَاعُ ٱلْأَرْضِ كُلِّهَا (٤) مَا بَالَيْتُ وَلَا ٱسْتَوْحَشْتُ، وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ وَٱلْهُدَى ٱلَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينٍ مِنْ

---

(١) راعني: أفزعني، وانثيال الناس: انصبابهم.

(٢) كففتها عن العمل وتركت الناس وشأنهم، حتى رأيت الراجعين من الناس قد رجعوا عن دين محمد بارتكابهم خلاف ما أمر الله، وإهمالهم حدوده، وعدولهم عن شريعته، يريد بهم عمال عثمان وولاته على البلاد، ومحق الدين: محوه وإزالته.

(٣) «ثلما» أي خرقا، ولو لم ينصر الاسلام بازالة أولئك الولاة وكشف بدعهم لكانت المصيبة على امير المؤمنين بالعقاب على التفريط أعظم من حرمانه الولاية في الأمصار: فالولاية يتمتع بها اياماً قلائل ثم تزول كما يزول السراب. فنهض الامام بين تلك البدع فبددها حتى زاح ـ أي ذهب ـ الباطل، و «زهق» أي خرجت روحه ومات، مجاز عن الزوال التام، ونهنهه عن الشيء: كفه فتنهنه، أي كف، وكان الدين منزعجاً من تصرف هؤلاء نازعاً إلى الزوال، فكفه أمير المؤمنين ومنعه، فاطمأن وثبت.

(٤) «وهم طلاع ـ الخ» حال من مفعول «لقيتهم»، والطلاع ـ ككتاب ـ ملء الشيء، أي لو كنت واحداً وهم يملأون الأرض للقيتهم غير مبال بهم.

رَبِّي ، وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ ٱللهِ لَمُشْتَاقٌ وَحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ ، وَلٰكِنَّنِي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هٰذِهِ ٱلأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا (١) فَيَتَّخِذُوا مَالَ ٱللهِ دُوَلاً ، وَعِبَادَهُ خَوَلاً ، وَالصَّالِحِينَ حَرْباً ، وَٱلْفَاسِقِينَ حِزْباً فَإِنَّ مِنْهُمُ ٱلَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمُ ٱلْحَرَامَ (٢) وَجُلِدَ حَدًّا فِي ٱلإِسْلَامِ ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى ٱلإِسْلَامِ ٱلرَّضَائِخُ (٣) ، فَلَوْلَا ذٰلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ (٤) وَتَأْنِيبَكُمْ ، وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيضَكُمْ ، وَلَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ .

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدِ ٱنْتَقَصَتْ (٥) ، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدِ ٱفْتُتِحَتْ وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تُزْوَى ، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى ، ٱنْفِرُوا - رَحِمَكُمُ ٱللهُ - إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ وَلَا تَثَّاقَلُوا إِلَى ٱلأَرْضِ

---

(١) آسى : مضارع « أسيت عليه » كرضيت أي حزنت ، أي إنــه يحزن لأن يتولى أمر الأمة سفهاؤها الخ . والدول - بضم ففتح - جمع دولة - بالضم - أي شيئاً يتداولونه بينهم ، يتصرفون فيه بغير حق الله . والخول - محركة - : العبيد ، و « حرباً » أي محاربين .

(٢) يريد الخمر ، و « الشارب » قالوا : عتبة بن أبي سفيـان ، حده خالد بن عبدالله في الطائف ، وذكروا رجلاً آخر لا اذكره .

(٣) الرضائخ : العطايا ، ورضخت له : أعطيت له، وقالوا ان عمرو بن العاص لم يسلم حتى طلب عطاء من النبي فلما أعطاه أسلم .

(٤) تأليبكم : تحريضكم وتحويل قلوبكم عنهم ، والتأنيب : اللوم ، و « ونيتم » أي أبطأتم عن إجابتي .

(٥) أطراف البلاد : جوانبها قد حصل فيها النقص باستيلاء العدو عليهـــا . وتزوى - مبنى للمجهول - من « زواه » إذا قبضه عنه .

فَتَقَرُّوا بِالْخَسْفِ، وَتَبُوءُوا بِالذُّلِّ [١]، وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ الْأَخَسَّ، وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْأَرِقُ [٢]، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ، وَالسَّلَامُ.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى أبي موسى الأشعري، وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تثبيطه الناس على الخروج إليه [٣] لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ [٤] وَاشْدُدْ مِئْزَرَكَ، وَاخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ، وَانْدُبْ مَنْ مَعَكَ، فَإِنْ حَقَّقْتَ فَانْفُذْ، وَإِنْ تَفَشَّلْتَ فَابْعُدْ! وَايْمُ اللهِ لَتُؤْتَيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ، وَلَا تُتْرَكُ

---

(١) قر – من باب منع، أو ضرب –: سكن، أي فتقيموا بالخسف، أي الضيم؛ وتبوؤا: أي – تعودوا – بالذل.

(٢) الأرق – بفتح فكسر –: أي الساهر، وصاحب الحرب لا ينام، والذي ينام لا ينام الناس عنه.

(٣) التثبيط: الترغيب في التعود والتخلف.

(٤) رفع الذيل وشد المئزر: كناية عن التشمير للجهاد، وكنى بجحره عن مقره، و «اندب» أي ادع من معك. فان حققت – أي أخذت بالحق والعزيمة – فانفذ، أي امض الينا، وإن تفشلت – أي جبنت – فابعد عنا.

حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ [١] وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ ، وَحَتَّى نُعْجَلَ فِي قِعْدَتِكَ [٢] وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ ، وَمَا هِيَ بِالْهُوَيْنَا الَّتِي تَرْجُو [٣] ، وَلٰكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى يُرْكَبُ جَمَلُهَا ، وَيُذَلَّلُ صَعْبُهَا ، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا . فَاعْقِلْ عَقْلَكَ [٤] وَامْلِكْ أَمْرَكَ ، وَخُذْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ . فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ وَلَا فِي نَجَاةٍ ، فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ [٥] حَتَّى لَا يُقَالَ : أَيْنَ فُلَانٌ ؟ وَاللهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ ، وَمَا أُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ ، وَالسَّلَامُ .

---

(١) الخاثر : الغليظ ، والكلام تمثيل لاختلاط الأمر عليه من الحيرة ، وأصل المثل « لا يدري أيخثر أم يذيب » قالوا : إن المرأة تسلأ السمن فيختلط خاثره برقيقه فتقع في حيرة : إن أوقدت النار حتى يصفو احترق ، وإن تركته بقي كدراً .

(٢) القعدة ـ بالكسر ـ : هيئة القعود ، وأعجله عن الأمر : حال دون إدراكه أي يحال بينك وبين جلستك في الولاية ، ويحيط الخوف بك حتى تخشاه من أمام كما تخشاه من خلف .

(٣) الهوينا : تصغير الهونى ـ بالضم ـ مؤنث أهون .

(٤) قيده بالعزيمة ، ولا تدعه يذهب مذاهب التردد من الخوف .

(٥) « لتكفين » بلام التأكيد ونونه ؛ أي إنا لنكفيك القتال ونظفر فيه وأنت نائم خامل لا اسم لك ولا يسأل عنك ، نفعل ذلك بالوجه الحري ـ أي الجدير ـ بنا أن نفعله .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية ، جواباً

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ ٱلْأُلْفَةِ وَٱلْجَمَاعَةِ فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ ، وَٱلْيَوْمَ أَنَّا ٱسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كُرْهاً [(١)] ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ ٱلْإِسْلَامِ كُلُّهُ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِزْباً .

وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، وَشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ [(٢)] ، وَنَزَلْتُ ٱلْمِصْرَيْنِ ! وَذٰلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلَا عَلَيْكَ ، وَلَا ٱلْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ .

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ، وَقَدِ

---

(١) فان أبا سفيان إنما أسلم قبل فتح مكة بليلة ، خوف القتل ، وخشية من جيش النبي ﷺ البالغ عشرة آلاف ونيف ، وأنف الاسلام : أشراف العرب الذين دخلوا فيه قبل الفتح .

(٢) شردبه : سمع الناس بعيوبه ، أو اطرده وفرق امره ، والمصران : الكوفة والبصرة .

انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ [1] ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ [2] فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذَلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ ! وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ :

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ

بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلْمُودِ [3]

وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ [4] وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ وَإِنَّكَ — وَاللهِ — مَا عَلِمْتُ [5] الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ ، وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ : إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً

---

(١) أخوه : عمرو بن أبي سفيان ، أسر يوم بدر .

(٢) فاسترفه : فعل أمر ،أي استح ولا تستعجل ، ويروى «فاسترقه» بالقاف المثناة — فان لم يكن تصحيفا عن الرواية بالفاء التي أثبتناها كان المعنى فان كان فيك عجل فأخفه ولا تظهره .

(٣) الجلمود — بالضم — : الصخر ، والأغوار : جمع غور — بالفتح — وهو الغبار ، والحاصب : ريح تحمل التراب والحصى .

(٤) جده : عتبة بن ربيعة ؛ وخاله : الوليد بن عتبة ، وأخوه : حنظلة،قتلهم أمير المؤمنين يوم بدر . و « أعضضته به » جعلته يعضه ، والباء زائدة .

(٥) « ما » خبر « أن » أي أنت الذي أعرفه، و « الأغلف » خبر بعد خبر، وأغلف القلب : الذي لا يدرك ، كأن قلبه في غلاف لا تنفذ اليه المعاني،ومقارب العقل : ناقصه ضعيفه ، كأنه يكاد يكون عاقلا وليس به .

أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لا لَكَ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ[1] وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ، وَطَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلا فِي مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ!! وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ[2] مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ وَتَمَنِّي الْبَاطِلِ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيمًا، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيمًا بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلا مِنْهَا الْوَغَى[3] وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَا.

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ[4]، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ[5] فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ.

---

(١) الضالة: ما فقدته من مال ونحوه، ونشد الضالة: طلبها ليردها، مثل يضرب لطالب غير حقه، والسائمة: الماشية من الحيوان.

(٢) «ما» وما بعدها في معنى المصدر، أي شبهك قريب من أعمامك وأخوالك وصرعوا مصارعهم: سقطوا قتلى في مطارحهم حيث تعلم، أي في بدر وحنين وغيرهما من المواطن.

(٣) الوغى: الحرب، أي لم تزل تلك السيوف تلمع في الحروب ما خلت منها ولم تصحبها الهوينا، أي لم ترافقها المساهلة.

(٤) وهو البيعة.

(٥) من إبقائك واليًا في الشام، وتسليمك قتلة عثمان، والخدعة - مثلثة الخاء - ما تصرف به الصبي عن اللبن وطلبه أول فطامه، وما تصرف به عدوك عن قصدك به في الحروب ونحوها.

وَمِن كِتَابٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلَام

إليه أيضاً

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الْأُمُورِ [1] فَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِادِّعَائِكَ الْأَبَاطِيلَ ، وَإِقْحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَالْأَكَاذِبِ [2] ، وَبِانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ [3] ، وَابْتِزَازِكَ لِمَا اخْتُزِنَ دُونَكَ ، فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ ، وَجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ [4] : مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ ، وَمُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ الْمُبِينُ ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ [5] ؟ فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَاشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا ،

---

(١) يقال « لأرينك لمحاً باصراً » أي أمراً واضحاً ، أي ظهر الحق فلك ان تنتفع بوضوحه من مشاهدة الامور .

(٢) إقحامك : إدخالك في أذهان العامة غرور المين ، أي الكذب ، وعطف الا كاذيب للتأكيد .

(٣) انتحالك : ادعاؤك لنفسك ما هو أرفع من مقامك ، و « ابتزازك » أي سلبك أمراً اختزن -أي منع- دون الوصول اليك ، وذلك أمر الطلب بدم عثمان والاستبداد بولاية الشام ، فانها من حقوق الامام لا من حقوق معاوية .

(٤) الذي هو ألزم له من لحمه ودمه البيعة بالخلافة لأمير المؤمنين .

(٥) اللبس - بالفتح - : مصدر « لبس عليه الأمر يلبس » كضرب يضرب

فَإنَّ ٱلْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلَابِيبَهَا [١]، وَأَغْشَتِ ٱلْأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا.

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ ٱلْقَوْلِ [٢] ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السِّلْمِ، وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحُكْهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ، أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ [٣] وَالْخَابِطِ فِي الدِّيمَاسِ، وَتَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةِ ٱلْمَرَامِ [٤] نَازِحَةِ ٱلْأَعْلَامِ، تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَنُوقُ [٥] وَيُحَاذَى

أي خلطه، وفي التنزيل: (وللبسنا عليهم ما يلبسون)، واللبسة – بالضم –: الاشكال كاللبس، بالضم.

(١) أغدفت المرأة قناعها: أرسلته على وجهها فسترته، وأغدف الليل: أرخى سدوله – أي أغطيته – من الظلام. والجلابيب: جمع جلباب، وهو الثوب الأعلى يغطي ما تحته، أي طالما أسدلت الفتنة أغطية الباطل فأخفت الحقيقة، وأغشت الأبصار: أضعفتها ومنعتها النفوذ الى المرئيات الحقيقة.

(٢) أفانين القول: ضروبه وطرائقه، والسلم: ضد الحرب، والأساطير: جمع أسطورة، بمعنى الخرافة لا يعرف لها منشأ، وحاكه يحوكه: نسجه، ونسج الكلام تأليفه، والحلم – بالكسر – العقل.

(٣) الدهاس – كسحاب –: أرض رخوة لا هي تراب ولا رمل، ولكن منها يعسر فيها السير، والديماس – بفتح فسكون –: المكان المظلم، وخبط في سيره: لم يهتد.

(٤) المرقبة – بفتح فسكون – مكان الارتقاب، وهو العلو والاشراف، أي رفعت نفسك الى منزلة بعيد عنك مطلبها، و « نازحة » أي بعيدة، والأعلام: جمع علم، وهو ما ينصب ليهتدى به؛ اي خفية المسالك.

(٥) الأنوق – كصبور –: طير أصلع الرأس أصفر المنقار، يقال: أعز من بيض الأنوق؛ لأنها تحرزه فلا تكاد تظفر به؛ لأن أوكارها في القلل الصعبة. ولهذا

بِهَا ٱلْعَيُّوقُ .

وَحَاشَ لِلّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدَراً أَوْ وِرْداً[1] أَوْ أُجْرِيَ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً ! ! فَمِنَ الآنَ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ وَٱنْظُرْ لَهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ ٱللّهِ[2] أُرْتِجَتْ عَلَيْكَ الأُمُورُ ، وَمُنِعْتَ أَمْراً هُوَ مِنْكَ ٱلْيَوْمَ مَقْبُولٌ وَالسَّلاَمُ[3] .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبد الله بن العباس ، وقد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ ٱلَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ[4]

الطائر خصال عدها صاحب القاموس ، والعيوق – بفتح فضم مشدد – : نجم احمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

(١) الورد – بالكسر – : الاشراف على الماء ، والصدر – بالتحريك – : الرجوع بعد الشرب ، أي لا يتولاهم في جلب منفعة ولا ركون الى راحة .

(٢) ينهد : ينهض عباد الله لحربك ، وأرتجت : أغلقت ، وتقول : أرتج الباب كرتجه ، أي أغلقه .

(٣) ذلك الأمر هو حقن دمه باظهار الطاعة .

(٤) قد يفرح الانسان بنيل مقدور له يفوته ، ويحزن لحرمانه ما قدر له الحرمان منه فلا يصيبه ، فاذا وصل اليك شيء مما كتب لك في علم الله فلا تفرح به

وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ ٱلَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ ، فَلاَ يَكُنْ أَفْضَلُ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغَ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءَ غَيْظٍ ، وَلَكِنْ إِطْفَاءَ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءَ حَقٍّ وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ ، وَأَسَفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ ، وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى قثم بن العباس ، وهو عامله على مكة

أَمَّا بَعْدُ ، فَأَقِمْ لِلنَّاسِ ٱلْحَجَّ ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ ٱللهِ [1] ، وَٱجْلِسْ لَهُمُ ٱلْعَصْرَيْنِ فَأَفْتِ ٱلْمُسْتَفْتِي ، وَعَلِّمِ ٱلْجَاهِلَ ، وَذَاكِرِ ٱلْعَالِمَ ، وَلاَ يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ ، وَلاَ حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ ، وَلاَ تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا [2] لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا .

إن كان لذة او شفاء غيظ ، بل عد ذلك في عداد الحرمان ، وإنما تفرح بما كان إحياء حق وإبطال باطل ، وعليك الأسف والحزن بما خلفت ـ أي تركت ـ من أعمال الخير ، والفرح بما قدمت منها لآخرتك .

(١) أيام الله التي عاقب فيها الماضين على سوء أعمالهم ، والعصران : الغداة والعشى ، تغليب .

(٢) فانها ـ أي الحاجة ـ إن ذيدت ـ أي دفعت ومنعت ، مبنى للمجهول

وَانْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ[1] مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْفَاقَةِ وَالْخَلاَّتِ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذٰلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا.

وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ لاَ يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: (سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) فَالْعَاكِفُ: الْمُقِيمُ بِهِ، وَالْبَادِي: الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ[2] وَالسَّلاَمُ.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ

من « ذاده يذوده » إذا طرده ودفعه ، وورِدها — بالكسر — : ورودها، وعدم الحمد على قضائها بعد الذود لأن حسنة القضاء لا تذكر في جانب سيئة المنع .

(١) قبلك — بكسر ففتح — : أي عندك ، و «مصيبا» حال . والفاقة : الفقر الشديد . والخلة — بالفتح — : الحاجة .

(٢) محاب — بفتح الميم — : مواضع محبته من الأعمال الصالحة .

هُمُومَهَا لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا (١) أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ ! (٢) أَوْ إِلَى إِينَاسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلَى إِيحَاشٍ ، وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى الحارث الهمداني

وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصِحْهُ ، وَأَحِلَّ حَلَالَهُ ، وَحَرِّمْ حَرَامَهُ ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ ، وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا (٣) فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً ، وَآخِرُهَا لَاحِقٌ بِأَوَّلِهَا ! وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ (٤) وَعَظِّمِ اسْمَ اللهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ (٥) ، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَلَا تَتَمَنَّ

---

(١) « آنس » حال من اسم « كن » ، أو من الضمير في « أحذر » . و « أحذر » خبر ، أي فليكن أشد حذرك منها في حال شدة انسك بها .

(٢) « أشخصته » اي أذهبته .

(٣) « ما بقي » مفعول « اعتبر » بمعنى قس ، أي قس الباقي بالماضي .

(٤) « حائل » : أي زائل .

(٥) لا تحلف به إلا على الحق تعظيما له وإجلالا لعظمته .

ٱلْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ [١] وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ . وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي ٱلْعَلَانِيَةِ وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَو ٱعْتَذَرَ مِنْهُ . وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ ٱلْقَوْلِ ، وَلَا تُحَدِّثِ ٱلنَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ ، فَكَفَى بِذٰلِكَ كَذِباً وَلَا تَرُدَّ عَلَى ٱلنَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ ، فَكَفَى بِذٰلِكَ جَهْلاً ، وَٱكْظِمِ ٱلْغَيْظَ وَتَجَاوَزْ عِنْدَ ٱلْمَقْدِرَةِ . وَٱحْلُمْ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ ، وَاصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ [٢] تَكُنْ لَكَ ٱلْعَاقِبَةُ ، وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا ٱللهُ عَلَيْكَ ، وَلَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ ٱللهِ عِنْدَكَ ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ ٱللهُ بِهِ عَلَيْكَ .

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ [٣] وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، فَإِنَّكَ مَا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ ، وَمَا تُؤَخِّرْهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ ، وَاحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ [٤]

---

(١) أي لا تقدم الموت رغبة فيه إلا اذا علمت ان الغـاية أشرف من بذل الروح ، والمعنى لا تخاطر بنفسك فيما لا يفيد من سفاسف الامور .

(٢) أي عندما تكون لك السلطة .

(٣) تقدمة – كتجربة – : مصدر قدم – بالتشديد – أي بذلاً وإنفاقاً

(٤) « فال الرأي يفيل » أي ضعف .

وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ ، فَانَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ . وَاسْكُنِ الأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ ، وَاحْذَرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ وَقِلَّةِ الأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَاقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ ، وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ [١] ، وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ [٢] ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ ، وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا فَاصِلاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ [٣] أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ ، وَأَطِعِ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا ، وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ ، وَارْفُقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا ، وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا [٤] إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ

---

(٢) المعاريض : جمع معراض - كمحراب - وهو سهم بلا ريش رقيق الطرفين غليظ الوسط يصيب بعرضه دون حده ، والأسواق كذلك ؛ لكثرة ما يمر على النظر فيها من مثيرات اللذات والشهوات .

(٣) أي إلى من دونك ممن فضلك الله عليه .

(٤) « فاصلا » : اي خارجاً ذاهباً .

(٥) « خذ عفوها » : أي وقت فراغها وارتياحها الى الطاعة . وأصله العفو بمعنى ما لا أثر فيه لأحد بملك ، عبر به عن الوقت الذي لا شاغل للنفس فيه .

الدُّنْيَا [١] ، وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ ، وَوَقِّرِ اللهَ وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ ، وَاحْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ ، وَالسَّلَامُ [٢] .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى سهل بن حنيف الأنصاري ، وهو عامله على المدينة

في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ [٣] يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ ، فَكَفَى لَهُمْ غَيّاً وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً [٤] فِرَارُهُمْ مِنَ

---

(١) « آبق » : أي هارب منه متحول عنه الى طلب الدنيا .

(٢) إن الغضب يوجب الاضطراب في ميزان العقل ، ويدفع النفس للانتقام اياً كان طريقه ، وهذا أكبر عون للمضل على اضلاله .

(٣) قبلك – بكسر ففتح – : أي عندك ، ويتسللون : يذهبون واحداً بعد واحد .

(٤) غياً : ضلالا ، وفرارهم كاف في الدلالة على ضلالهم ، والضالون مرض شديد في بنية الجماعة ربما يسري ضرره فيفسدها : ففرارهم كاف في شفاها من مرضهم ورئيس الجماعة كأنه كلها لهذا نسب الشفاء اليه .

الْهدَى وَالْحَقِّ ، وَإِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ [1] ، وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا ، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا [2] ، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ ، فَهَرَبُوا إِلَى الأَثَرَةِ [3] ، فَبُعْداً لَهُمْ وَسُحْقاً ! !

إِنَّهُمْ - وَاللهِ - لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرٍ ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هٰذَا الأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ اللهُ لَنَا صَعْبَهُ ، وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزْنَهُ [4] إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَالسَّلامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى المنذر بن الجارود العبدي ، وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ صَلاحَ أَبِيكَ مَا غَرَّنِي مِنْكَ ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ [5] ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ

---

(١) الايضاع : الاسراع .
(٢) مهطعون : مسرعون .
(٣) الأثرة - بالتحريك - : اختصاص النفس بالمنفعة وتفضيلها على غيرها بالفائدة ، والسحق - بضم السين - : البعد أيضاً .
(٤) حزنه - بفتح فسكون - : أي خشنه .
(٥) الهدى - بفتح فسكون - : الطريقة والسيره .

عَنْكَ[1] لا تَدَعُ لِهوَاكَ انْقِياداً ، وَلا تُبْقِي لآخِرَتِكَ عَتاداً[2] ، تَعْمُرُ دُنْياكَ بِخَرابِ آخِرَتِكَ ، وَتَصِلُ عَشيرَتَكَ بِقَطيعَةِ دِينِكَ ، وَلَئِنْ كانَ ما بَلَغَني عَنْكَ حَقًّا لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ[3] ، وَمَنْ كانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ ، أَوْ يَنْفُذَ بِهِ أَمْرٌ ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ ، أَوْ يُشْرَكَ في أَمانَةٍ ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيانَةٍ[4] فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتابِي هَذا إِنْ شاءَ اللهُ .

قال الرضي : والمنذر هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام : إنه لنظار في عطفيه ، مختال في برديه ، تفال في شراكيه[5] .

---

(١) رقي إلي : رفع وأنهي إلي .

(٢) العتاد – بالفتح – : الذخيرة المعدودة لوقت الحاجة .

(٣) الجمل يضرب به المثل في الذلة والجهل ، والشسع – بالكسر – : سير بين الأصبع الوسطى والتي تليها في النعل العربي ، كأنه زمام ويسمى قبالا – ككتاب – .

(٤) أي على دفع خيانة ، ويروى « على جباية » وهي تحصيل أموال الخراج ونحوه ، عمل من أعمال الدولة ، ولعل هذه الرواية أظهر معنى .

(٥) العطف – بالكسر – : الجانب ، أي كثير النظر في جانبيه عجباً وخيلاء والبردان : تثنية برد – بضم الباء – وهو ثوب مخطط ، والمختال : المعجب ، والشراكان : تثنية شراك – ككتاب – وهو سير النعل كله ، وتفال : كثير التفل ، أي النفخ فيهما لينفضهما من التراب .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبد الله بن العباس

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ، وَلَا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ. وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ[1]، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ[2]، وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ لَمُوَهِّنٌ رَأْيِي، وَمُخَطِّئٌ فِرَاسَتِي[3]، وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي

---

(١) جمع دولة – بالضم – : ما يتداول من السعادة في الدنيا ينتقل من يد الى يد .

(٢) من قولك «ترددت الى فلان» أي رجعت اليه مرة بعد أخرى، أي اني في ارتكابي للرجوع الى مجاوبتك واستماع ما تكتبه موهن أي مضعف – رأيي، ومخطىء فراستي – بالكسر – أى صدق ظني، وكان الأجدر بي السكوت عن إجابتك .

الْأُمُورَ [١] وَتُرَاجِعُنِي السُّطورَ كَالْمُسْتَثْقَلِ النَّائِمِ تَكْذِبُهُ أَحْلامُهُ، وَالْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقامُهُ، لا يَدْرِي أَلَهُ ما يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ، وَلَسْتَ بِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ إِنَّهُ لَوْلا بَعْضُ الِاسْتِبْقاءِ [٢] لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّي قَوارِعُ: تَقْرَعُ الْعَظْمَ، وَتَهْلِسُ اللَّحْمَ! وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطانَ قَدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ [٣]، وَتَأْذَنَ لِمَقالِ نَصِيحَتِكَ، وَالسَّلامُ لِأَهْلِهِ.

---

(١) حاول الأمر: طلبه ورامه، أي تطالبني ببعض غاياتك كولاية الشام ونحوها، وتراجعني – أي تطلب مني ان أرجع – الى جوابك بالسطور. يقول: أنت في محاولتك كالنائم الثقيل نومه: يحلم انه نال شيئاً، فاذا انتبه وجد الرؤيا كذبت، أي عليه، فأمانيك فيما تطلب شبيهة بالأحلام، إن هي إلا خيالات باطلة، وأنت أيضاً كالمتحير في امره القائم في شكه لا يخطو الى قصده. «يبهظه» أي يثقله ويشق عليه مقامه من الحيرة، وإنك لست بالمتحير لمعرفتك الحق معنا ولكن المتحير شبيه بك، فأنت أشد منه عناء وتعباً.

(٢) الاستبقاء: الابقاء، اي لولا ابتائي لك وعدم إرادتي لاهلاكك لأوصلت اليك قوارع – أي دواهي – تقرع العظم، أي تصدمه فتكسره؛ و «تهلس اللحم» أي تذيبه وتنهكه.

(٣) «ثبطك» اي أقعدك عن مراجعة أحسن الأمور لك، وهو الطاعة لنا، وعن أن تأذن – اي تسمع – لمقالنا في نصيحتك.

ومن حلف له عليه السلام

كتبه بين ربيعة واليمن ، ونقل من خط هشام بن الكلبي

هٰذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا ، وَرَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا ،[1] أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللّٰهِ : يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَيَأْمُرُونَ بِهِ ، وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ لَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلاً ، وَأَنَّهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ خَالَفَ ذٰلِكَ وَتَرَكَهُ ، أَنْصَارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ ، لَا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَةِ عَاتِبٍ ، وَلَا لِغَضَبِ غَاضِبٍ[2] ، وَلَا لِاسْتِذْلَالِ قَوْمٍ قَوْماً وَلَا لِمَسَبَّةِ قَوْمٍ قَوْماً ! عَلَى ذٰلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ ، وَسَفِيهُهُمْ وَعَالِمُهُمْ ، وَحَلِيمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذٰلِكَ عَهْدَ اللّٰهِ وَمِيثَاقَهُ إِنَّ عَهْدَ اللّٰهِ كَانَ مَسْئُولاً . وكتب : علي بن أبي طالب .

---

(١) الحاضر : ساكن المدينة ، والبادي : المتردد في البادية .

(٢) المعتبة – كالمصطبة – : الغيظ ، والعاتب : المغتاظ ، اي لا يعودون للتقاتل عند غضب بعضهم من بعض ، او استذلال بعضهم لبعض ، او سب بعضهم لبعض ، وعلى المعتدي ان يؤدي الحق للمظلوم بلا قتال .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية في أول ما بويع له
ذكره الواقدي في كتاب الجمل

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي فِيكُمْ وَإِعْرَاضِي عَنْكُمْ [1] ، حَتَّى كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ ، وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ ، وَقَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ ، وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ ، فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ [2] وَأَقْبِلْ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ .

ومن وصيّة له عليه السلام

لعبد الله بن العباس ، عند استخلافه إياه على البصرة

سَعِ ٱلنَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ ، وَإِيَّاكَ وَٱلْغَضَبَ

---

(١) « إعذاري » اي إقامتي عل العذر في أمر عثمان صاحبكم ، وإعراضي عنه بعدم التعرض له بسوء حتى كان قتله .

(٢) ذهب ما ذهب من أمر عثمان ، وأقبل علينا من أمر الخلافة ما استقبلناه ، فبايع الذين قبلك ، اي عندك ، والوفد ـ بفتح فسكون ـ : الجماعة الوافدون ، اي القادمون .

فَإِنَّهُ طِيَرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ [1] ، وَاعْلَمْ أَنْ مَا قَرَّبَكَ مِنَ ٱللهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ ٱللهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ ٱلنَّارِ .

ومن وصيّة له عليه السّلام

لعبد الله بن العباس ، لما بعثه للاحتجاج إلى الخوارج

لَا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ [2] ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَيَقُولُونَ ، وَلٰكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً [3] .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمين

ذكره سعيد بن يحي الأموي في كتاب المغازي

فَإِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ [4] ،

---

(١) الطيرة – كعنة وفجلة – : الفأل الشؤم ، والغضب يتفاءل به الشيطان في نيل مأربه من الغضبان .

(٢) «حمال» : أي يحمل معاني كثيرة إن أخذت بأحدها احتج الخصم بالآخر.

(٣) «محيصاً» أي مهربا .

(٤) أي ان كثيراً من الناس قد انقلبوا عن حظوظهم الحقيقية، وهي حظوظ السعادة الابدية بنصرة الحق .

مَالُوا مَعَ الدُّنْيَا ، وَنَطَقُوا بِالْهَوَى ، وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هٰـذَا الْأَمْرِ مَنْزِلاً مُعْجِباً "[1] اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، فَإِنِّي أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاً أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقاً "[2] وَلَيْسَ رَجُلٌ فَاعْلَمْ أَحْرَصَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ – صلى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – وَأُلْفَتِهَا مِنِّي "[3] أَبْتَغِي بِذٰلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وَكَرَمَ الْمَآبِ "[4] . وَسَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي "[5] ، وَإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ "[6] ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ ، وَالتَّجْرِبَةِ ، وَإِنِّي لَأَعْبَدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ "[7] . وَأَنْ

---

(١) اي موجباً للتعجب ، والأمر هو الخلافة ، ومنزله من الخلافة . بيعة الناس له ثم خروج طائفة منهم عليه .

(٢) القرح : مجاز عن فساد بواطنهم ، والعلق – بالتحريك – : الدم الغليظ الجامد ، ومتى صار في الجرح الدم الغليظ الجامد صعبت مداواته وضرب فساده في البدن كله .

(٣) « أحرص » خبر « ليس » ، وجملة « فاعلم » معترضة .

(٤) المآب : المرجع الى الله

(٥) سأوفي بما وأيت : أي وعدت وأخذت على نفسي .

(٦) « تغيرت » خطاب لأبي موسى ، يقول : إذا انقلبت عن الرأي الصالح الذي تفارقنا عليه – وهو الأخذ بالحذر ، والوقوف عند الحق الصريح – فانك تكون شقياً ، لأن الشقي من حرمه الله نفع التجربة فأخذه الناس بالخديعة .

(٧) عبد يعبد – كغضب يغضب – عبداً – كغضباً وزناً ومعنى ، أي يغضبني قول الباطل ، وإفسادي لأمر الخلافة الذي أصلحه الله بالبيعة . ونسبة الافساد لنفسه لأن ابا موسى نائب عنه ، وما يقع عن النائب كأنه وقع عن الأصيل .

أُفْسِدَ أَمْراً قَدْ أَصْلَحَهُ ٱللّٰهُ ، فَدَعْ مَالاَ تَعْرِفُ [1] ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ ، والسَّلاَمُ .

ومن كتاب له عليه السلام

لما استخلف ، إلى أمراء الأجناد

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ [2] ، وَأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ [3] .

باب المختار من حكم امير المؤمنين عليه السلام

ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله

والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه

١ ــ قال عليه السلام : كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ [4] لاَ ظَهْرٌ

---

(١) أي ما فيه الريبة والشبهة فاتركه .

(٢) أي حجبوا عن الناس حقهم ، فاضطر الناس لشراء الحق منهم بالرشوة ، فانقلبت الدولة عن اولئك المانعين فهلكوا « وأنهم منعوا » فاعل « أهلك »

(٣) اي كلفوهم باتيان الباطل فأتوه ؛ وصار قدوة يتبعها الأبناء بعد الآباء .

(٤) ابن اللبون ــ بفتح اللام وضم الباء ــ : ابن الناقة اذا استكمل سنتين ، لا له ظهر قوي فيركبونه ، ولا له ضرع فيحلبونه ، يريد تجنب الظالمين في الفتنة لا ينتفعوا بك .

فَيَرْكَب ، وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَب

٢ ـ وقال عليه السلام : أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ[1] ، وَرَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهَا لِسَانَه .

٣ ـ وقال عليه السلام : الْبُخْلُ عَارٌ ، وَالْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ ، وَالْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ ، وَالْمُقِلُّ غَرِيبٌ في بَلْدَتِهِ[2] ، وَالْعَجْزُ آفَةٌ ، وَالصَّبْرُ شَجَاعَةٌ ، وَالزُّهْدُ ثَرْوَةٌ ، وَالْوَرَعُ جُنَّةٌ .

٤ ـ وقال عليه السلام : نِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضَا ، وَالْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ ، وَالآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ ، وَالْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ .

٥ ـ وقال عليه السلام : صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ[3] ، وَالْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ الْمَوَدَّةِ ، وَالِاحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ أَوْ : وَالْمُسَالَمَةُ خِبَاءُ الْعُيُوبِ . وَمَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاخِطُ عَلَيْهِ .

---

(١) أزرى بها : حقرها ، واستشعره : تبطنه وتخلق به ؛ ومن كشف ضره للناس ودعاهم للتهاون به فقد رضي بالذل . وأمر لسانه : جعله أميراً .

(٢) المقل ـ بضم فكسر وتشديد اللام ـ : الفقير ، والجنة ـ بالضم ـ : الوقاية .

(٣) لا يفتح الصندوق فيطلع الغير على ما فيه ، والحبالة ـ بكسر الحاء ، بزنة كتابة ـ : شبكة الصيد ، ومثله الأحبول والأحبولة ـ بضم الهمزة فيهما ـ وتقول : حبل الصيد واحتبله ، إذا أخذه بها ، والبشوش يصيد مودات القلوب ، والاحتمال : تحمل الأذى ، ومن تحمل الأذى خفيت عيوبه كأنها دفنت في قبر .

٦ ـ وقال عليه السلام : الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ ، وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ ، نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ .

٧ ـ وقال عليه السلام : اُعْجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ ، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ [١] ، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ ، وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خُرْمٍ !!

٨ ـ وقال عليه السلام : إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ .

٩ ـ وقال عليه السلام : خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مُتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ .

١٠ ـ وقال عليه السلام : إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ .

١١ ـ وقال عليه السلام : أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ .

١٢ ـ وقال عليه السلام : إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلَا تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ [٢] .

---

(١) الشحم : شحم الحدقة . واللحم : اللسان . والعظم : عظام في الأذن يضربها الهواء فتقرع عصب الصماخ فيكون السماع .

(٢) أطراف النعم : أوائلها ، فاذا بطرتم ولم تشكروها باداء الحقوق منها نفرت عنكم أقاصيها ـ اي أواخرها ـ فحرمتموها .

١٣ ـ وقال عليه السلام : مَنْ ضَيَّعَهُ الْأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الْأَبْعَدُ [١] .

١٤ ـ وقال عليه السلام : مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ [٢] .

١٥ ـ وقال عليه السلام : تَذِلُّ الْأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ حَتَّى يَكُونَ الْحَتْفُ فِي التَّدْبِيرِ [٣] .

١٦ ـ وسئل عليه السلام عن قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « غَيِّرُوا الشَّيْبَ [٤] وَلَا تَشَبَّهُوا باليهود » فقال عليه السلام : إِنَّمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذٰلِكَ وَالدِّينُ قُلٌّ ، فَأَمَّا الآنَ وَقَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ ، وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ فَامْرُؤٌ وَمَا اخْتَارَ .

١٧ ـ وقال عليه السلام في الذين اعتزلوا القتال معه : خَذَلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ .

---

(١) أتيح له : قدر له ، وكم من شخص أضاعه أقاربه فقدر الله له من الأباعد من يحفظه ويساعده .

(٢) اي لا يتوجه العتاب واللوم على كل داخل في فتنة ، فقد يدخل فيها من لا محيص له عنها لأمر اضطره فلا لوم عليه .

(٣) الحتف ـ بفتح فسكون ـ : الهلاك .

(٤) غيروا الشيب بالخضاب ليراكم الأعداء كهولاً اقوياء ، ذلك والدين قل ـ بضم القاف ـ أي قليل أهله . والنطاق ـ ككتاب ـ : الحزام العريض ، واتساعه كناية عن العظم والانتشار . والجران ـ على وزن النطاق ـ : مقدم عنق البعير يضرب به على الأرض اذا استراح وتمكن ، أي بعد قوة الاسلام الانسان مع اختياره : إن شاء خضب ، وإن شاء ترك .

١٨ ـ وقال عليه السلام: مَنْ جَرَى فِي عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ[١].

١٩ ـ وقال عليه السلام: أَقِيلُوا ذَوِي ٱلْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ[٢]، فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَاثِرٌ إِلَّا وَيَدُ ٱللّٰهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ.

٢٠ ـ وقال عليه السلام: قُرِنَتِ ٱلْهَيْبَةُ بِٱلْخَيْبَةِ[٣]، وَٱلْحَيَاءُ بِٱلْحِرْمَانِ، وَٱلْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ فَٱنْتَهِزُوا فُرَصَ ٱلْخَيْرِ.

٢١ ـ وقال عليه السلام: لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ ٱلْإِبِلِ وَإِنْ طَالَ ٱلسُّرَى.

قال الرضي: وهذا من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه إنا إن لم نعط حقنا كنا أذلاء[٤] وذلك أن الرديف يركب عجز البعير كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما.

---

(١) أي: من كان جريه الى سعادته بعنان الأمل يمني نفسه بلوغ مطالبه بلا عمل سقط في أجله بالموت قبل ان يبلغ شيئاً مما يريد. والعنان ـ ككتاب ـ: سير اللجام تمسك به الدابة.

(٢) العثرة: السقطة، وإقالة عثرته: رفعه من سقطته. والمروءة ـ بضم الميم ـ: صفة للنفس تحملها على فعل الخير لانه خير. وقوله «يرفعه» جملة حاليه من لفظ الجلالة، وإن كان مضافاً اليه لوجود شرطه.

(٣) أي من تهيب امراً خاب من إدراكه، ومن أفرط به الخجل من طلب شيء حرم منه، والافراط في الحياء مذموم كطرح الحياء، والمحمود الوسط.

(٤) وقد يكون المعنى ان لم نعط حقنا تحملنا المشقة في طلبه وإن طالت الشقة. وركوب مؤخرات الابل مما يشق احتماله والصبر عليه.

٢٢ – وقال عليه السلام: مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ.

٢٣ – وقال عليه السلام: مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ.

٢٤ – وقال عليه السلام: يَا ابْنَ آدَمَ، إذا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ.

٢٥ – وقال عليه السلام: مَا أَضْمَرَ أَحَد شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ.

٢٦ – وقال عليه السلام: اِمْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِكَ[1].

٢٧ – وقال عليه السلام: أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ.

٢٨ – وقال عليه السلام: إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ وَالْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ[2] فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى.

٢٩ – وقال عليه السلام: الْحَذَرَ الْحَذَرَ! فَوَاللهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ[3].

---

(١) أي ما دام الداء سهل الاحتمال يمكنك معه العمل في شؤونك فاعمل، فان أعياك فاسترح له.

(٢) يطلبك الموت من خلفك ليلحقك وأنت مدبر اليه تقرب عليه المسافة.

(٣) الضمير لله، ستر مخازي عبـــاده حتى ظن انه غفرها لهم ويوشك ان يأخذهم بمكره.

٣٠ ـ وَسُئِلَ عَنِ الإِيمَانِ ، فَقَالَ : الإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ : عَلَى الصَّبْرِ ، وَالْيَقِينِ ، وَالْعَدْلِ ، وَالْجِهَادِ . وَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى الشَّوْقِ وَالشَّفَقِ [١] ، وَالزُّهْدِ ، وَالتَّرَقُّبِ : فَمَنْ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلاَ عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ وَمَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ . وَالْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى تَبْصِرَةِ الْفِطْنَةِ ، وَتَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ [٢] ، وَمَوْعِظَةِ الْعِبْرَةِ ، وَسُنَّةِ الأَوَّلِينَ : فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ ، وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ ، وَمَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي الأَوَّلِينَ . وَالْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى غَائِصِ الْفَهْمِ ، وَغَوْرِ الْعِلْمِ ، وَزُهْرَةِ الْحُكْمِ [٣] وَرَسَاخَةِ الْحِلْمِ : فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ ، وَمَنْ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُكْمِ [٤] ، وَمَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ وَعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيداً .

---

(١) الشفق ـ بالتحريك ـ : الخوف .

(٢) تأويل الحكمة : الوصول الى دقائقها ، والعبرة : الاعتبار والاتعاظ بأحوال الاولين ، وما رزئوا به عند الغفلة ، وما حظوا به عند الانتباه .

(٣) غور العلم : سره وباطنه ، وزهرة الحكم ـ بضم الزاي ـ أي حسنه .

(٤) الشرائع : جمع شريعة ، وهي الظاهر المستقيم من المذاهب ، ومورد الشاربة ، و « صدر عنها » : اي رجع عنها بعد ما اغترف ليفيض على الناس مما اغترف فيحسن حكمه .

وَالجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى ٱلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، وَالصِّدْقِ فِي ٱلْمَوَاطِنِ [١] وَشَنَآنِ ٱلْفَاسِقِينَ فَمَنْ أَمَرَ بِالمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ نَهى عَنِ ٱلْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ ٱلْكَافِرِينَ ، وَمَنْ صَدَقَ فِي ٱلْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ ، وَمَنْ شَنِئَ ٱلْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ لِلّٰهِ غَضِبَ ٱللّٰهُ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ .

٣١ ــ وقال عليه السلام : ٱلْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ : عَلَى التَّعَمُّقِ ، وَالتَّنَازُعِ ، وَالزَّيْغِ [٢] وَالشِّقَاقِ : فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ إِلَى الْحَقِّ [٣] ، وَمَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ ، وَمَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ ، وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ ، وَسَكِرَ سُكْرَ الضَّلَالَةِ ، وَمَنْ شَاقَّ وَعُرَتْ عَلَيْهِ طُرُقُهُ ، وَأَعْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ [٤] ، وَضَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ . وَالشَّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى

---

(١) مواطن القتال في سبيل الحق . والشنآن ــ بالتحريك ــ : البغض .

(٢) التعمق : الذهاب خلف الاوهـام على زعم طلب الاسرار ، والزيغ : الحيدان عن مذاهب الحق والميل مع الهوى الحيواني ، والشقاق : العناد .

(٣) « لم ينب » أي لم يرجع ، أناب ينيب : رجع .

(٤) وعر الطريق ــ ككرم ، ووعد ، وولع ــ خشن ولم يسهل السير فيه ، وأعضل : اشتد وأعجزت صعوبته .

التَّمارِي وَالْهَوْلِ ، وَالتَّرَدُّدِ ، وَالِاسْتِسْلَامِ : فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ[1] دِيناً لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ ، وَمَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ ، وَمَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنَابِكُ الشَّيَاطِينِ[2] ، وَمَنِ اسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا .

قال الرضي : وبعدهذا كلام تركنا ذكره خوف الاطالة والخروج عن الغرض المقصود في هذا الباب .

٣٢ ـ وقال عليه السلام : فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ .

٣٣ ـ وقال عليه السلام : كُنْ سَمْحاً وَلَا تَكُنْ مُبَذِّراً ، وَكُنْ مُقَدِّراً وَلَا تَكُنْ مُقَتِّراً[3] .

---

(١) التماري : التجادل لاظهار قوة الجدل لا لاحقاق الحق ، والهول ـ بفتح فسكون ـ : مخافتك من الأمر لا تدري ما هجم عليك منه فتدهش ، والتردد انتقاض العزيمة وانفساخها ، ثم عودها ، ثم انفساخها ، والاستسلام إلقاء النفس في تيار الحادثات ، أي ما أتى عليها يأتي . والمراء ـ بكسر الميم ـ الجدل ، والديدن: العادة وقوله : « لم يصبح ليله » أي لم يخرج من ظلام الشك الى نهار اليقين .

(٢) الريب : الظن ، اي الذي يتردد في ظنه ولا يعقد العزيمة في أمره تطؤه سنابك الشياطين ـ جمع سنبك ، بالضم ، وهو طرف الحافر ـ اي تستنزله شياطين الهوى فتطرحه في الهلكة .

(٣) المقدر : المتصد، كأنه يقدر كل شيء بقيمته فينفق على قدره ، والمقتر: المضيق في النفقة ، كأنه لا يعطى إلا القتر ، اي الرمقة من العيش .

٣٤ ـ وقال عليه السلام: أَشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى [١].

٣٥ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ.

٣٦ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ [٢].

٣٧ ـ وقال عليه السلام وقد لقيه عند مسيره الى الشام دهاقين الأنبار [٣]، فترجلوا له واشتدوا بين يديه ، فقال : مَا هٰذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ ؟ فقالوا : خلق منا نعظم به أمراءنا ، فقال : وَاللهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهٰذَا أُمَرَاؤُكُمْ ، وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ [٤]، وَتَشْقَوْنَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ ، وَمَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ ، وَأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ.

---

(١) المنى: جمع منية، وهي ما يتمناه الانسان لنفسه ، وفي تركها غنى كامل لأن من زهد شيئاً استغنى عنه .

(٢) طول الأمل : الثقة بحصول الاماني بدون عمل لها ، أو استطالة العمر والتسويف بأعمال الخير.

(٣) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو زعيم الفلاحين في العجم والأنبار من بلاد العراق ، و « ترجلوا » اي نزلوا عن خيولهم مشاة ، واشتدوا : أسرعوا .

(٤) تشقون ـ بضم الشين وتشديد القاف ـ : من المشقة ، وتشقون الثانية بسكون الشين من الشقاوة ، والدعة ـ بفتحات ـ : الراحة .

٣٨ — وقال عليه السلام لابنه الحسن :

يا بُنيَّ ، احْفظْ عنّي أرْبعاً ، وأرْبعاً ، لا يضرُّك ما عملت معهُنَّ : إنَّ أغنى الغِنى العقلُ ، وأكبرُ الفقرِ الحُمقُ ، وأوحشُ الوحْشةِ العُجبُ [١] ، وأكرمُ الحسبِ حُسنُ الخُلقِ .

يا بُنيَّ ، إيَّاكَ ومُصادقةَ الأحمقِ فإنّهُ يُريدُ أنْ ينفعكَ فيضُرُّكَ ، وإيَّاكَ ومُصادقةَ البخيلِ فإنّهُ يبْعُدُ عنكَ أحوجَ ما تكونُ إليْهِ [٢] ، وإيَّاكَ ومُصادقةَ الفاجرِ فإنّهُ يبيعُكَ بالتّافِهِ [٣] ، وإيَّاكَ ومُصادقةَ الكذّابِ فإنّهُ كالسّرابِ : يُقرّبُ عليْكَ البعيدَ ، ويُبعِّدُ عليْكَ القريبَ .

٣٩ — وقال عليه السلام : لا قُرْبةَ بالنَّوافِلِ إذا أضرَّتْ بالفرائضِ [٤] .

٤٠ — وقال عليه السلام : لِسانُ العاقِلِ وراءَ قلْبِهِ ، وقلْبُ الأحمقِ وراءَ لِسانِهِ .

---

(١) العجب ـ بضم فسكون ـ ومن أعجب بنفسه مقته الناس فلا يوجد له أنيس فهو في وحشة دائماً .

(٢) أحوج : حال من الكاف في عنك ، ويروى « يتعد عنك أحوج ـ الخ »

(٣) التافه : القليل .

(٤) كمن ينقطع للصلاة والذكر ويفر من الجهاد .

قال الرضي : وهذا من المعاني العجيبة الشريفة ، والمراد به أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة ، والأحمق تسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره[1] ومماخضة رأيه ، فكأن لسان العاقل تابع لقلبه ، وكأن قلب الأحمق تابع للسانه .

٤١ ـ وقد روي عنه عليه السلام هذا المعنى بلفظ آخر ، وهو قوله : قَلْبُ الأَحْمَقِ فِي فِيهِ ، وَلِسَانُ ٱلْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ . وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ .

٤٢ ـ وقال لبعض أصحابه في علة اعتلها : جَعَلَ ٱللّٰهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ حَطّاً لِسَيِّئَاتِكَ ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا أَجْرَ فِيهِ ، وَلٰكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ وَيَحُتُّهَا حَتَّ الْأَوْرَاقِ[2] . وَإِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ ، وَٱلْعَمَلُ بِالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ ، وَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ .

قال الرضي : وأقول صدق عليه السلام ، إن المرض لا أجر فيه ،

---

(١) «مراجعة» وما بعده مفعول «تسبق» ، و«حذفات» فاعلة . ومماخضة الرأي : تحريكه حتى يظهر زبده ، وهو الصواب .

(٢) حت الورق عن الشجرة : قشره . والصبر على العلة رجوع الى الله واستسلام لقدره ، وفي ذلك خروج اليه من جميع السيئات وتوبة منها ، لهذا كان يحت الذنوب أما الأجر فلا يكون إلا على عمل بعد التوبة .

لأنه من قبيل ما يستحق عليه العوض[1] لأن العوض يستحق على ما كان في مقابلة فعل الله تعالى بالعبد من الآلام والأمراض وما يجري مجرى ذلك ، والأجر والثواب يستحقان على ما كان في مقابلة فعل العبد فبينهما فرق قد يبنه عليه السلام كما يقتضيه علمه الثاقب ورأيه الصائب .

٤٣ — وقال عليه السلام في ذكر خباب بن الأرت : يَرْحَمُ ٱللَّهُ خَبَّابَ بْنَ الأَرَتِّ فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً ، وَهَاجَرَ طَائِعاً ، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ ، وَرَضِيَ عَنِ ٱللَّهِ ، وَعَاشَ مُجَاهِداً .

٤٤ — وقال عليه السلام : طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ ٱلْمَعَادَ ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ ، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ ، وَرَضِيَ عَنِ ٱللَّهِ .

٤٥ — وقال عليه السلام : لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ ٱلْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هٰذا عَلَى أَنْ يَبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي[2] ، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا عَلَى ٱلْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَٱنْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، إِنَّهُ قَالَ : يَا عَلِيُّ ،

---

(١) الضمير في « لأنه » للمرض ، أي إن المرض ليس من أفعال العبد لله حتى يؤجر عليها ، وإنما هو من أفعال الله بالعبد التي ينبغي أن الله يعوضه عن آلامها . والذي قلناه في المعنى أظهر من كلام الرضى .

(٢) الخيشوم : أصل الأنف ، والجماب جمع جمة ـ بفتح الجيم ـ : وهو من السفينة مجتمع الماء المترشح من ألواحها ، أي لو كفأت عليهم الدنيا بجليلها وحقيرها ،

لَا يَبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ .

٤٦ — وقال عليه السلام : سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ (١) .

٤٧ — وقال عليه السلام : قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ . وَصِدْقُهُ عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِهِ ، وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنَفَتِهِ ، وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ .

٤٨ — وقال عليه السلام : الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ ، وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ ، وَالرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الْأَسْرَارِ .

٤٩ — وقال عليه السلام : احْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ ، وَاللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ .

٥٠ — وقال عليه السلام : قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحْشِيَّةٌ ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ .

٥١ — وقال عليه السلام : عَيْبُكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ (٢) .

٥٢ — وقال عليه السلام : أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ

---

(١) لأن الحسنة المعجبة ربما جر الاعجاب بها الى سيئات ، والسيئة المسيئة ربما بعث الكدر منها الى حسنات .

(٢) الجد ـ بالفتح ـ : الحظ ، أي ما دامت الدنيا مقبلة عليك .

٥٣ — وقال عليه السلام : السَّخَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً ، فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وَتَذَمُّمٌ(١) .

٥٤ ـ وقال عليه السلام : لَاغِنَى كَالْعَقْلِ ، وَلَا فَقْرَ كَالْجَهْلِ ، وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ ، وَلَا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ .

٥٥ ـ وقال عليه السلام : الصَّبْرُ صَبْرَانِ : صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ .

٥٦ ـ وقال عليه السلام : الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ ، وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ .

٥٧ ـ وقال عليه السلام : الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ .

قال الرضي : وقد روي هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

٥٨ — وقال عليه السلام : الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ .

٥٩ ـ وقال عليه السلام : مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ .

٦٠ ـ اللِّسَانُ سَبُعٌ إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ .

٦١ ـ وقال عليه السلام : الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللِّبْسَةِ(٢) .

---

(١) التذمم : الفرار من الذم ، كالتأثم والتحرج .

(٢) اللبسة ـ بالكسر ـ : حالة من حالات اللبس ـ بالضم ـ يقال : لبست لبست فلانة ، أي عاشرتها زمناً طويلاً ، والعقرب لا تحل لبستها ، أما المرأة فهي هي في الايذاء ، لكنها حلوة اللبسة .

٦٢ ـ وقال عليه السلام : إِذَا حُيِّيتَ بِتَحِيَّةٍ فَحَيِّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ، وَإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَـكَافِئْهَا بِمَا يُرْبِي عَلَيْهَـــا ، وَالْفَضْلُ مَعَ ذٰلِكَ لِلْبَادِي .

٦٣ ـ وقال عليه السلام : الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ .

٦٤ ـ وقال عليه السلام : أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ .

٦٥ ـ وقال عليه السلام : فَقْدُ الْأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ .

٦٦ ـ وقال عليه السلام : فَوْتُ الْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا .

٦٧ ـ وقال عليه السلام : لَا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ ، فَإِنَّ الْحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ .

٦٨ ـ وقال عليه السلام : الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى .

٦٩ ـ وقال عليه السلام : إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلَا تُبَلْ مَا كُنْتَ (١) .

---

(١) إذا كان لك مرام لم تنله فاذهب في طلبه كل مذهب ، ولا تبال إن حقروك أو عظموك ، فان محط السير الغاية وما دونها فداء لها ، وقد يكون المعنى إذا عجزت عن مرادك فارض بأي حال ، على رأي القائل : ـ

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

٧٠ – وقال عليه السلام : لَا تَرَى الْجَاهِلَ إِلَّا مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطاً .

٧١ – وقال عليه السلام : إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ .

٥٧ – وقال عليه السلام : الدَّهْرُ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ ، وَيُجَدِّدُ الآمَالَ ، وَيُقَرِّبُ الْمَنِيَّةَ ، وَيُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ : مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ ، وَمَنْ فَاتَهُ تَعِبَ [١] .

٧٣ – وقال عليه السلام : مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ .

٧٤ – وقال عليه السلام : نَفَسُ الْمَرْءِ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِهِ [٢] .

٧٥ – وقال عليه السلام : كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ .

٧٦ – وقال عليه السلام : إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اشْتَبَهَتْ اعْتُبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا [٣] .

٧٧ – وقال عليه السلام : ومن خبر ضرار بن حمزه الضبائي عند

---

(١) أي يبليها . ونصب – من باب تعب – أعني ومن ظفر بالدهر لزمته حقوق وجفت به شؤون يعييه ويعجزه مراعاتها وأداؤها ، هـذا إلى ما يتجدد له من الآمال التي لا نهاية لها ، وكلها تحتاج إلى طاب ونصب .

(٢) كأن كل نفس يتنفسه الانسان خطوة يقطعها إلى الأجل .

(٣) أي يقاس آخرها على أولها ، فعلى حسب البدايات تكون النهايات .

دخوله على معاوية ومسألته له عن أمير المؤمنين ، وقال : فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه[1] قابض على لحيته يتململ تململ السليم[2] ويبكي بكاء الحزين ، ويقول :

يَادُنْيَا يَادُنْيَا ، إِلَيْكِ عَنِّي ، أَبِي تعرَّضْتِ ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّفْتِ ؟ لَاحَانَ حِينُكِ[3] هَيْهَاتَ ! غُرِّي غَيْرِي ، لَاحَاجَةَ لِي فِيكِ ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا ! فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ ، وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ . آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ ، وَطُولِ الطَّرِيقِ ، وَبُعْدِ السَّفَرِ ، وَعَظِيمِ الْمَوْرِدِ[4] .

٧٨ — ومن كلام له عليه السلام للسائل الشامي لما سأله : أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر ؟ بعد كلام طويل هذا مختاره :

وَيْحَكَ ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لَازِماً ، وَقَدَراً حَاتِماً ، وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ[5]

---

(١) سدوله : حجب ظلامه .

(٢) السليم : الملدوغ من حية ونحوها .

(٣) تعرض به كتعرضه : تصدى له وطلبه . و « لا حان حينك » لا جاء وقت وصولك لقلبي وتمكن حبك منه .

(٤) المورد : موقف الورود على الله في الحساب .

(٥) القضاء : علم الله السابق بحصول الأشياء على أحوالها في أوضاعها . والقدر : إيجاده لها عند وجود أسبابها ، ولا شيء منها يضطر العبد لفعل من

إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً ، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيراً ، وَكَلَّفَ يَسِيراً ، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً ، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً ، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً ، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً ، وَلَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لَعِباً ، وَلَمْ يُنْزِلِ الْكِتَابَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً ، وَلَا خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً وَذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ .

٧٩ — وقال عليه السلام : خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ فِي صَدْرِهِ [١] حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِ .

٨٠ — وقال عليه السلام : الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، فَخُذِ الْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ .

٨١ — وقال عليه السلام : قِيمَةُ كُلِّ امْرِىءٍ مَا يُحْسِنُهُ .

قال الرضي : وهي الكلمة التي لاتصاب لها قيمة ، ولا توزن بها حكمة ولا تقرن إليها كلمة .

٨٢ — وقال عليه السلام : أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا

أفعاله ؛ فالعبد وما يجد من نفسه من باعث على الخير والشر ولا يجد شخص إلا أن اختياره دافعه إلى ما يعمل ، والله يعلمه فاعلا باختياره: إما شقياً به ، وإما سعيداً . والدليل ماذكره الامام .

(١) « تلجلج » أي تتحرك .

آبَاطَ الْإِبِلِ [1] لَكَانَتْ لِذلِكَ أَهْلاً : لَا يَرْجُونَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ ، وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ ، وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمُ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ ، وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ ، وَلَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ .

٨٣ – وقال عليه السلام لِرَجُلٍ أَفْرَطَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ لَهُ مُتَّهِماً : أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ .

٨٤ – وقال عليه السلام : بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى عَدَداً وَأَكْثَرُ وَلَداً [2] .

٨٥ – وقال عليه السلام : مَنْ تَرَكَ قَوْلَ « لَا أَدْرِي » أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ [3] .

٨٦ – وقال عليه السلام : رَأْيُ الشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلَدِ

---

(١) الآباط : جمع إبط، وضرب الآباط: كناية عن شد الرحال وحث المسير.

(٢) بقية السيف : هم الذين يبقون بعد الذين قتلوا في حفظ شرفهم ودفع الضيم عنهم وفضلوا الموت على الذل ، فيكون الباقون شرفاء نجداء ، فعددهم أبقى وولدهم يكون أكثر ، بخلاف الأذلاء ، فان مصيرهم إلى المحو والفناء ، ويروى « أنمى عددا ، واكثر ولدا » .

(٣) مواضع قتله ، لأن من قال ما لا يعلم عرف بالجهل ، ومن عرفه الناس بالجهل مقتوه فحرم خيره كله فهلك .

الْغُلَامِ[1] وروي «من مشهد الغلام».

٨٧ ــ وقال عليه السلام: عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ الِاسْتِغْفَارُ[2].

٨٨ ــ وحكى عنه أبو جعفر

محمد بن علي الباقر عليهما السلام أنه قال:

كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمُ الآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ: أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالِاسْتِغْفَارُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ).

قال الرضي: وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط.

٨٩ ــ وقال عليه السلام: مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ.

٩٠ ــ وقال عليه السلام: الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ

---

(١) جلد الغلام: صبره على القتال، ومشهده: إيقاعه بالأعداء والرأي في الحرب أشد فعلا في الأقدام.

(٢) أي التوبة.

النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ ٱللهِ [1] ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ ٱللهِ .

٩١ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ هٰذِهِ ٱلْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانَ ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكَمِ [2] .

٩٢ ـ وقال عليه السلام : أَوْضَعُ الْعِلْمِ مَا وُقِفَ عَلَى ٱللِّسَانِ [3] ، وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي ٱلْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ .

٩٣ ـ وقال عليه السلام : لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ » لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ ، وَلٰكِنْ مَنِ ٱسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : (وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) وَمَعْنَى ذٰلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ ، وَالرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ ، وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَلٰكِنْ لِتَظْهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ ، لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَيَكْرَهُ الْإِنَاثَ ، وَبَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ

---

(١) روح الله : لطفه ورأفته ، وهو بالفتح . ومكر الله : أخذه للعبد بالعقاب من حيث لا يشعر ، فالفقيه هو الفاتح للقلوب بابي الخوف والرجاء .

(٢) طرائف الحكم : غرائبها ، تنبسط إليها القلوب كما تنبسط الأبدان لغرائب المناظر .

(٣) « أوضع العلم » أي أدناه ما وقف على اللسان ولم يظهر أثره في الأخلاق والأعمال ، وأركان البدن : أعضاؤه الرئيسية كالقلب والمخ .

الْمَالِ[1] وَيَكْرَهُ انْثِلامَ الْحَالِ.

قال الرضي: وهذا من غريب ماسمع منه في التفسير.

٩٤ - وسئل عن الخير ما هو؟ فقال: لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ وَلٰكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللّٰهَ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللّٰهَ، وَلا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلا لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٌ أَذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ، وَرَجُلٌ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ.

٩٥ - وقال عليه السلام: لا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ؟

٩٦ - وقال عليه السلام: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ، ثُمَّ تَلَى: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا) ثمَّ قَالَ: إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللّٰهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ[2]، وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللّٰهَ وَإِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ!

٩٧ - وقال عليه السلام: وقد سمع رجلا من الحرورية[3] يتهجد

---

(١) تثمير المال: إنماؤه بالربح، وانثلام الحال: نقصه.

(٢) لحمته - بالضم - أي نسبه.

(٣) الحرورية - بفتح الحاء -: الخوارج الذين خرجوا عليه بحروراء. و «يتهجد» أي يصلي بالليل.

ويقرأ ، فقال : نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاَةٍ فِي شَكٍّ .

٩٨ ـ وقال عليه السلام : اعْقِلُوا ٱلْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لاَ عَقْلَ رِوَايَةٍ ، فَإِنَّ رُوَاةَ ٱلْعِلْمِ كَثِيرٌ ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ .

٩٩ ـ وسمع رجلاً يقول : (إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ :

إِنَّ قولنا (إِنَّا لِلّٰهِ) إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْمِلْكِ ، وَقَوْلَنَا (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهُلْكِ[1] .

١٠٠ ـ وقال عليه السلام : ومدحه قوم في وجهه ، فقال ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي ، وأنا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْراً مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَٱغْفِرْ لَنَا مَا لاَ يَعْلَمُونَ .

١٠١ ـ وقال عليه السلام : لاَ يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ إِلَّا بِثَلاَثٍ : بِٱسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ[2] ، وَبِٱسْتِكْتَامِهَا لِتَظْهَرَ ، وَبِتَعْجِيلِهَا لِتَهْنُؤَ .

١٠٢ ـ وقال عليه السلام : يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُقَرَّبُ فِيهِ

---

(١) الهلك ـ بالضم ـ : الهلاك .

(٢) استصغارها في الطلب لتعظم بالقضاء ، وكتمانها عند محاولتها لتظهر بعد قضائها ، فلا تعلم إلا مقضية ، وتعجيلها للتمكن من التمتع بها فتكون هنيئة . ولو عظمت عند الطلب أو ظهرت قبل القضاء خيف الحرمان منها ، ولو أخرت خيف النقصان .

إِلَّا المَاحِلُ [1] ، وَلا يُظَرَّفُ فِيهِ إِلَّا الفَاجِرُ ، وَلا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا المُنْصِفُ : يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْماً ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنّاً ، وَالعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَى النَّاسِ ! فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ النِّسَاءِ وَإِمَارَةِ الصِّبْيَانِ وَتَدْبِيرِ الخِصْيَانِ .

١٠٣ - ورئي عليه إزار خلق مرقوع فقيل له في ذلك ، فقال يَخْشَعُ لَهُ القَلْبُ ، وَتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ ، وَيَقْتَدِي بِهِ المُؤْمِنُونَ . إِنَّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ ، وَسَبِيلانِ مُخْتَلِفَانِ : فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الآخِرَةَ وَعَادَاهَا وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ ، وَمَاشٍ بَيْنَهُمَا : كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الآخَرِ ، وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ !

١٠٤ — وعن نوف البكالي ، قال : رأيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر في النجوم فقال لي : يا نوف ، أراقد أنت أم رامق ؟ فقلت : بل رامق [2] قال : يا نوف طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ ، أُولٰئِكَ قَوْمٌ

---

(١) الماحل : الساعي في الناس بالوشاية عند السلطان ، و « لا يظرف » أي لا يعد ظريفاً . و « لا يضعف » أي لا يعد ضعيفاً ، والغرم - بالضم - أي الغرامة والمن : ذكرك النعمة على غيرك مظهراً بها الكرامة عليه ، والاستطالة على الناس : التفوق عليهم والتزيد عليهم في الفضل .

(٢) أراد بالرامق منتبه العين ، في مقابلة الراقد بمعنى النائم ، يقال : رمقه ، إذا لحظه لحظاً خفيفاً .

اتَّخَذُوا الأَرْضَ بِساطاً ، وَتُرابَهَا فِراشاً ، وَمَاءَهَا طِيباً ، وَالقُرْآنَ شِعاراً[1] وَالدُّعَاءَ دِثَاراً ، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ .

يَا نَوْفُ ، إنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَامَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : إنَّهَا سَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إلَّا اُسْتُجِيبَ لَهُ إلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً[2] أَوْ عَرِيفاً أَوْ شُرْطِيّاً ، أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ (وهي الطنبور) أَوْ صَاحِبَ كُوبَةٍ (وهي الطبل . وقد قيل أيضاً : إن العرطبة الطبل والكوبة الطنبور[3]) .

١٠٥ — وقال عليه السلام : إنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الفَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا وَحَدَّ لَكُمْ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا ، وَنَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا[4] وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدَعْهَا

---

(١) القرآن شعاراً : يقرأونه سراً للاعتبار بمواعظه والتفكر في دقائقه ، والدعاء دثاراً : يجهرون به إظهاراً للذلة والخضوع لله . وأصل الشعار : ما يلي البدن من الثياب ، والدثار : ما علا منها ، وقرضوا الدنيا : مزقوها كما يمزق الثوب المقراض على طريقة المسيح في الزهادة .

(٢) العشار : من يتولى أخذ أعشار الأموال ، وهو المكاس ، والعريف : من يتجسس على أحوال الناس وأسرارهم فيكشفها لأميرهم مثلاً ، والشرطي — بضم فسكون — نسبة إلى الشرطة : واحد الشرط — كرطب — وهم أعوان الحاكم

(٣) لم نر هذا فيما وقفنا عليه من كتب اللغة ، والمنقول أن الكوبة بالضم : الطبل الصغير ، وهو المعروف بالدربكة .

(٤) أي لا تنتهكوا نهيه عنها باتيانها ، والانتهاك : الاهانة والاضعاف ، ولا « تتكلفوا » أي لا تكلفوا أنفسكم بها بعد ما سكت الله عنها .

نِسْيَاناً فلاَ تَتَكَلَّفُوهَا .

١٠٦ ـ وقال عليه السلام : لاَ يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِصْلاَحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فتح اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ .

١٠٧ ـ وقال عليه السلام : رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ [١] وَعِلْمُهُ مَعَهُ لاَ يَنْفَعُهُ .

١٠٨ ـ وقال عليه السلام : لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هٰذَا الإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ [٢] وَذٰلِكَ القَلْبُ ، وَلَهُ مَوَادٌّ مِنَ الحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلاَفِهَا : فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ [٣] أَذَلَّهُ الطَّمَعُ ، وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الحِرْصُ ، وَإِنْ مَلَكَهُ اليَأْسُ قَتَلَهُ الأَسَفُ ، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الغَيْظُ ، وَإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَا نَسِيَ التَّحَفُّظَ [٤] ، وَإِنْ نَالَهُ الخَوْفُ شَغَلَهُ الحَذَرُ ، وَإِنِ اتَّسَعَ لَهُ الأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ الغِرَّةُ [٥] ، وَإِنْ أَفَادَ مَالاً أَطْغَاهُ الغِنَى ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الجَزَعُ ، وَإِنْ عَضَّتْهُ

---

(١) وهـذا هو العالم الذي يحفظ ولا يدري ، أو يعلم ولا يعمل ، أو ينقل ولا بصيرة له .

(٢) النياط ـ ككتاب ـ : عرق معلق به القلب .

(٣) سنح له : بدا وظهر .

(٤) التحفظ : هو التوقي والتحرز من المضرات .

(٥) الغرة ـ بالكسر ـ الغفلة ، و « استلبته » أي سلبتـه وذهبت به عن رشده وأفاد المال : استفاده ، والفاقة والفقر .

الْفَاقَة شَغَلَهُ الْبَلَاءُ ، وَإنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ ، وَإنْ أَفْرَطَ بِهِ الشَّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ [(١)] ، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ .

١٠٩ ــ وقال عليه السلام : نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى [(٢)] بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي ، وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي .

١١٠ ــ وقال عليه السلام : لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَانِعُ [(٣)] وَلَا يُضَارِعُ ، وَلَا يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ .

١١١ ــ وقال عليه السلام : وقد توفي سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة بعد مرجعه معه من صفين ، وكان أحب الناس اليه :

لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ [(٤)] .

معنى ذلك أن المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب اليه ، ولا

---

(١) « كظته » أي كربته وآلمته . والبطنة ــ بالكسر ــ : امتلاء البطن حتى يضيق النفس ، ويروى « وإن جهده الجوع قعدت به الضعة .

(٢) النمرقة ــ بضم فسكون فضم ففتح ــ الوسادة : وآل البيت أشبه بها للاستناد إليهم في أمور الدين ، كما يستند إلى الوسادة لراحة الظهر واطمئنان الأعضاء ، ووصفها بالوسطى لاتصال سائر النمارق بها ، فكأن الكل يعتمد عليها إما مباشرة أو بواسطة ما بجانبه ، وآل البيت على الصراط الوسط العدل : يلحق بهم من قصر ، ويرجع إليهم من غلا وتجاوز :

(٣) « لايصانع » أي لا يداري في الحق ، والمضارعة : المشابهة ، والمعنى انه لا يتشبه في عمله بالمبطلين ، واتباع المطامع : الميل معها وإن ضاع الحق

(٤) تافت : تساقط بعد ما تصدع .

يفعل ذلك إلا بالأتقياء الأبرار والمصطفين الأخيار ، وهذا مثل قوله عليه السلام :

١١٢ – مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً .

« وقد يؤول ذلك على معنى آخر [١] ليس هذا موضع ذكره » .

١١٣ – وقال عليه السلام : لَا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ [٢] ، وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ ، وَلَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ ، وَلَا كَرَمَ كَالتَّقْوَى ، وَلَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ ، وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ ، وَلَا قَائِدَ كَالتَّوْفِيقِ ، وَلَا تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَلَا رِبْحَ كَالثَّوَابِ ، وَلَا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ ، وَلَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ وَلَا عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ ، وَلَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ ، وَلَا إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ ، وَلَا حَسَبَ كَالتَّوَاضُعِ ، وَلَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ وَلَا عِزَّ كَالْحِلْمِ وَلَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ .

١١٤ – وقال عليه السلام : إِذَا اسْتَوْلَى الصَّلَاحُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ خَزْيَةٌ [٣] فَقَدْ

---

(١) هو أن من أحبهم فليخلص لله حبهم ، فليست الدنيا تطلب عندهم .

(٢) أعود : أنفع .

(٣) الخزية – بفتح فسكون – : البلية تصيب الانسان فتذله وتفضحه ، ويروى « حوبة » وهي الاثم ؛ و« غرر » أي أوقع بنفسه في الغرر ، أي الخطر .

ظَلَمَ ! وَإِذَا اسْتَوْلَى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ .

١١٥ — وقيل له عليه السلام : كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ فقال السلام : كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَى بِبَقَائِهِ [١] وَيَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ ، وَيُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ !

١١٦ — وقال عليه السلام : كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ [٢] وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ ! وَمَا ابْتَلَى اللهُ أَحَداً بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ .

١١٧ — وقال عليه السلام : هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ ، مُحِبٌّ غَالٍ [٣] وَمُبْغِضٌ قَالٍ :

١١٨ — وقال عليه السلام : إِضَاعَةُ الْفُرْصَةِ غُصَّةٌ .

١١٩ — وقال عليه السلام : مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا

---

(١) كلما طال عمره — وهو البقاء — تقدم إلى الفناء ، وكلما مدت عليه الصحة تقرب من مرض الهرم ، وسقم — كفرح — : مرض . و « يأتيه الموت من مأمنه » أي الجهة التي يأمن إتيانه منها ؛ فان أسبابه كامنة في نفس البدن .

(٢) استدرجه الله : تابع نعمته عليه وهو مقيم على عصيانه ؛ إبلاغاً للحجة وإقامة للمعذرة في أخذه . والاملاء له : الامهال .

(٣) الغالي : المتجاوز الحد في حبه بسبب غيره ، أو دعوى حلول اللاهوت فيه أو نحو ذلك ؛ والقالي : المبغض الشديد البغض .

وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا : يَهْوِي إِلَيْهَا الْغِرُّ الْجَاهِلُ ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ الْعَاقِلُ !

١٢٠ – وسئل عليه السلام عن قريش فقال : أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ تُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ وَالنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ ، وَأَمَّا بَنُوا عَبْدِ شَمْسٍ [١] فَأَبْعَدُهَا رَأْياً ، وَأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا ، وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا ، وَأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا ، وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمْكَرُ وَأَنْكَرُ ، وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ .

١٢١ – وقال عليه السلام : شَتَّانَ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ [٢] عَمَلٌ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ ، وَعَمَلٌ تَذْهَبُ مُؤُنَتُهُ وَيَبْقَى أَجْرُهُ .

١٢٢ – وتبع جنازة فسمع رجلا يضحك ، فقال : كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ ، وَكَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفْرٌ [٣] عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ! نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ ، وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ ، وَرُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ [٤] ! !

---

(١) ومنهم بنو أمية ، أي وهم – أي بنو عبد شمس – أكثر الخ ، «ونحن» أي بنو هاشم .

(٢) الأول عمل في شهوات النفس ، والثاني عمل في طاعة الله .

(٣) « سفر » أي : مسافرون ، أي : منزلهم في أجداثهم ، أي قبورهم ، و « التراث » أي الميراث .

(٤) الجائحة : الآفة تهلك الأصل والفرع .

١٢٣ — وقال عليه السلام: طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ، وَطَابَ كَسْبُهُ، وَصَلُحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ[١]، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى الْبِدْعَةِ.

قال الرضي: أقول: ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك الذي قبله.

١٢٤ — وقال عليه السلام: غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ[٢] وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ.

١٢٥ — وقال عليه السلام: لَأَنْسُبَنَّ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي: الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ، وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، وَالتَّصْدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ، وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ، وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ.

١٢٦ — وقال عليه السلام: عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ[٣] الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَيَفُوتُهُ الْغِنَى الَّذِي إِيَّاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي

---

(١) الخليقة: الخلق والطبيعة.

(٢) أي: تؤدي إلى الكفر؛ فانها تحرم على الرجل ما أحل الله له من زواج متعددات، أما غيرة الرجل فتحريم لما حرمه الله، وهو الزنا.

(٣) الفقر: ما قصر بك عن درك حاجتك، والبخيل تكون له الحاجة فلا يقضيها، ويكون عليه الحق فلا يؤديه فحاله حال الفقراء يحتمل ما يحتملون؛ فقد استعجل الفقر وهو يهرب منه بجمع المال.

الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاء ، وَيُحَاسَبُ في الآخِرَةِ حِسَابَ الأَغْنِيَاء ، وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذي كَانَ بِالأَمْسِ نُطْفَةً وَيَكُونُ غَداً جِيفَةً ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ في اللهِ وَهُوَ يَرَى خَلْقَ اللهِ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى الْمَوْتَى ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الأُخْرَى وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الأُولَى ، وَعَجِبْتُ لِعَامِرِ دَارِ الْفَنَاء وَتَارِكِ دَارِ الْبَقَاء !

١٢٧ ــ وقال عليه السلام : مَنْ قَصَّرَ في الْعَمَلِ ابْتُلِيَ بِالْهَمِّ [١] وَلا حَاجَةَ لِلهِ فِيمَنْ لَيْسَ لِلهِ في مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيبٌ .

١٢٨ ــ وقال عليه السلام : تَوَقَّوْا الْبَرْدَ في أَوَّلِهِ ، وَتَلَقَّوْهُ في آخِرِهِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ في الأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ في الأَشْجَارِ ، أَوَّلُهُ يُحْرِقُ ، وَآخِرُهُ يُورِقُ [٢] .

١٢٩ ــ وقال عليه السلام : عِظَمُ الْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ الْمَخْلُوقَ في عَيْنِكَ .

وقال عليه السلام : وقد رجع من صفين فاشرف على القبور بظاهر الكوفة :

---

(١) الهم : هم الحسرة على فوات ثمراته ، ومن لم يجعل لله نصيبه في ماله بالبذل في سبيله ، ولا في روحه باحتمال التعب في إعزاز دينه ؛ فلا يكون له رجاء في فضل الله ، فانه لا يكون في الحقيقة عبد الله بل عبد نفسه والشيطان .

(٢) ولأنه في أوله يأتي على عهد من الابدان بالحر فيؤذيها . أما في آخره فيمسها بعد تعودها عليه ، وهو إذ ذاك أخف .

يا أَهْلَ الدِّيَارِ ٱلْمُوحِشَةِ [١] وَالمحَالِّ ٱلْمُقْفِرَةِ، وَالْقُبُورِ ٱلْمُظْلِمَةِ، يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ ، يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ [٢] وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لَاحِقٌ ، أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ [٣] ، وَأَمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ ، وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ . هٰذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ ؟

ثم التفت إلى أصحابه فقال : أَمَا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

١٣١ — وقال عليه السلام : وقد سمع رجلا يذم الدنيا : أَيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا ٱلْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا ٱلْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا ! أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا ، أَنْتَ ٱلْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا [٤] أَمْ هِيَ ٱلْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ ؟ مَتَى اسْتَهْوَتْكَ [٥] أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ ؟ أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَى [٦] ؟ أَمْ

---

(١) الموحشة : الموجبة للوحشة ضد الأنس ، والمحـال : جمع محل : أي الأركان المتقفرة ، من « أقفر المكان » إذا لم يكن به ساكن ولا نابت .

(٢) الفرط — بالتحريك — المتقدم إلى الماء للواحد والجمع ، والكلام هنا على الاطلاق ، أي المتقدمون ، والتبع — بالتحريك أيضاً — : التابع :

(٣) إن دياركم سكنها غيركم ، ونساءكم تزوجت ، وأموالكم قسمت ، فهذه أخبارنا إليكم .

(٤) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم — بالضم — أي الذنب .

(٥) استهواه : ذهب بعقله وأذله فحيره .

(٦) البلى — بكسر الباء — : الفناء بالتحلل ، والمصرع : مكان الانصراع و ي السقوط ، أي مكان سقوط آبائك من الفناء ، والثرى : التراب .

بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تحتَ الثَّرى ؟! كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ [1] ؟ وَكَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ ؟ تَبْغي لَهُمُ الشِّفَاءَ [2] ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الأَطِبَّاءَ ، غَدَاةَ لا يُغْني عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ ، وَلا يُجْدِي عَلَيْهِمْ بُكَاؤُكَ لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ [3] وَلَمْ تُسْعَفْ بِطِلْبَتِكَ ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ ! وَقَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ [4] ! وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا ، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا ، وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا [5] ، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا ، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللهِ ، وَمُصَلَّى مَلائِكَةِ اللهِ وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ ، وَمَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللهِ ، اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ ، وَرَبِحُوا فِيهَا الجَنَّةَ ، فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا وَقَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا [6] وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا ، وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا ، فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلائِهَا البَلاءَ ، وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ ؟! رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ [7] ، وَابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ ، تَرْغِيباً

---

(١) علل المريض : خدمه في علته ، كمرضه : خدمه في مرضه .

(٢) الضمير في « لهم » يعود على الكثير المفهوم من كم . واستوصف الطبيب : طلب منه وصف الدواء بعد تشخيص الداء .

(٣) إشفاقك : خوفك : والطلبة ـ بالكسر ، وبفتح فكسر ـ المطلوب ، وأسعفه بمطلوبه : أعطاه إياه على ضرورة اليه .

(٤) أي : إن الدنيا جعلت الهالك قبلك مثالا لنفسك تقيسها عليه .

(٥) أي : أخذ منها زاده للآخرة .

(٦) آذنت ـ بمد الهمزة ـ أي اعلمت أهلها ببينها ؛ أي ببعدها وزوالها عنهم . ونعاه : إذا أخبر بفقده ، والدنيا أخبرت بفنائها وفناء أهلها بما ظهر من أحوالها .

(٧) راح اليه : وافاه وقت العشى ؛ أي إنها تمشي بعافية ، و « تبتكر » أي تصبح بفجيعة ، أي بمصيبة فاجعة .

وَتَرْهِيباً ، وَتَخْوِيفاً وَتَحْذِيراً ، فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النَّدَامَةِ[1] ، وَحَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ذَكَّرَتْهُمُ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا ، وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا ، وَوَعَظَتْهُمْ فَاتَّعَظُوا .

١٣٢ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ لِلّٰهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ : لِدُوا لِلْمَوْتِ[2] ، وَاجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ ، وَابْنُوا لِلْخَرَابِ .

١٣٣ ـ وقال عليه السلام : الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ لَا دَارُ مَقَرٍّ ، وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ : رَجُلٌ بَاعَ فِيهَا نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا[3] ، وَرَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا .

١٣٤ ـ وقال عليه السلام : لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ : فِي نَكْبَتِهِ ، وَغَيْبَتِهِ ، وَوَفَاتِهِ[4] .

١٣٥ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً : مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةَ[5] ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ

---

(١) ذموها عند ما أصبحوا نادمين على ما فرطوا فيها ؛ أما الذين حمدوها فهم الذين عملوا فجنوا ثمرة اعمالهم ، ذكرتهم بحوادثها فانتبهوا لما يجب عليهم ، وكأنها بتقلبها تحدثهم بما فيه العبرة وتحكي لهم ما به العظة .

(٢) أمر من الولادة .

(٣) باع نفسه لهواه وشهواته فأوبقها ؛ أي أهلكها ، و « ابتاع نفسه » أي اشتراها وخلصها من أسر الشهوات .

(٤) لا يضيع شيئاً من حقوقه في الأحوال الثلاثة .

(٥) المراد بالدعاء المجاب : ما كان مقروناً باستعداد بأن يصحبه العمل لنيل

يُحْرَمِ الْقبُولَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الِاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ .

قال الرضي : وَتَصْدِيقُ ذٰلِكَ كِتَابُ ٱللهِ ، قَالَ ٱللهُ في الدُّعاء : (ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) وقال في الاستغفار : (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللهَ يَجِدِ ٱللهَ غَفُوراً رَحِيماً) وقال في الشكر : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) وقال في التوبة : (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى ٱللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ، فَأُولٰئِكَ يَتُوبُ ٱللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللهُ عَلِيماً حَكِيماً) .

١٣٦ ـ وقال عليه السلام : الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ ، وَالْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ ، وَجِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ [١] .

١٣٧ ـ وقال عليه السلام : ٱسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ .

١٣٨ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ .

١٣٩ ـ وقال عليه السلام : تَنْزِلُ ٱلْمَعُونَةُ عَلَى قَدْرِ ٱلْمَؤُونَةِ .

المطلوب . وبالتوبة والاستغفار : ما كانا ندماً على الذنب يمنع من العود اليه ، وبالشكر : تصريف النعم في وجوهها المشروعة .

(١) حسن التبعل : إطاعة الزوج .

١٤٠ ـ وقال عليه السلام: مَا أَعَالَ مَنِ اُقْتَصَدَ [١] .

١٤١ ـ وقال عليه السلام: قِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ .

١٤٢ ـ وقال عليه السلام: التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ .

١٤٣ ـ وقال عليه السلام: الْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ .

١٤٤ ـ وقال عليه السلام: يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ عَمَلُهُ [٢] .

١٤٥ ـ وقال عليه السلام: كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالظَّمَأُ ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَالعَنَاءُ ، حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ [٣] .

١٤٦ ـ وقال عليه السلام: سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ [٤] ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ .

---

(١) « من اقتصد » أي أنفق في غير إسراف ، فلا يعول ـ على وزن يكرم ـ أي لا يفتقر . وفي نسخة « عال » بلا همزة ، ومعناه : ما جار عن الحق من أخذ بالاقتصاد .

(٢) حرم من ثواب أعماله ، فكأنها بطلت .

(٣) الأكياس : جمع كيس ـ بتشديد الياء ـ أي العقلاء العارفون يكون نومهم وفطرهم أفضل من صوم الحمقى وقيامهم .

(٤) السياسة : حفظ الشيء بما يحوطه من غيره ، فسياسة الرعيه حفظ نظامها بقوة الرأي والأخذ بالحدود . والصدقة تستحفظ الشفقة ، والشفقة تستزيد الايمان وتذكر الله . والزكاة : أداء حق الله من المال ، وأداء الحق حصن النعمة .

١٤٧ — ومن كلامه عليه السلام

لكميل بن زياد النخعي

قال كميل بن زياد : أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأخرجني إلى الجبان[١] فلما أصحر تنفس الصعداء ، ثم قال :

يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ إنَّ هٰذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ[٢] ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا ، فَاُحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ :

النَّاسُ ثَلاثَةٌ : فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ[٣] ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ .

يَا كُمَيْلُ ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الإِنْفَاقِ ،

---

(٢) الجبان كالجبانة : المقبرة ، و « أصحر » أي صار في الصحراء .

(٣) أوعية : جمع وعاء ، وأوعاها : أحفظها .

(٤) العالم الرباني : هو المتأله العارف لله ، والمتعلم على طريق النجاة إذا أتم علمه نجا ، والهمج – محركة – الحمقى من الناس ، والرعاع – كسحاب – : الأحداث الطغام الذين لا منزلة لهم في الناس ، والناعق : مجاز عن الداعي إلى باطل أو حق

وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ [1].

يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ، مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ.

يَا كُمَيْلُ، هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ: أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ. هَا إِنَّ هٰهُنَا لَعِلْماً جَمّاً (وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً [2]! بَلَى أَصَبْتُ لَقِناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ [3] مُسْتَعْمِلاً آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، وَمُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الْحَقِّ [4] لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ،

---

(١) من كان صنيعاً لك متحبباً اليك لمالك زال ما تراه منه بزوال مالك، أما صنيع العلم فيبقى ما بقي العلم، فانما العالم في قومه كالنبي في أمته، فالعلم أشبه شيء بالدين - بكسر الدال - يوجب على المتدينين طاعة صاحبه في حياته والثناء عليه بعد موته.

(٢) الحملة - بالتحريك - : جمع حامل، و « أصبت » بمعنى وجدت، أي لو وجدت له حاملين لأبرزته وبثثته.

(٣) اللقن - بفتح فكسر - : من يفهم بسرعة، إلا أن العلم لا يطبع أخلاقه على الفضائل، فهو يستعمل وسائل الدين لجلب الدنيا، ويستعين بنعم الله على ايذاء عباده.

(٤) المنقاد لحاملي الحق : هو المقلد في القول والعمل، ولا بصيرة له في دقائق الحق وخفاياه؛ فذاك يسرع الشك إلى قلبه لأول شبهة.

يَنقَدِحُ الشَّكُّ في قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ . أَلَا لَا ذَا وَلَا ذَاكَ [(١)] ! أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ [(٢)] سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ ، أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ وَالِادِّخَارِ ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ ! كَذَٰلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ .

اللَّهُمَّ بَلَى ! لَا تَخْلُوا الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ : إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً ، أَوْ خَائِفاً مَغْمُوراً [(٣)] لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ . وَكَمْ ذَا [(٤)] وَأَيْنَ أُولَٰئِكَ ؟؟ أُولَٰئِكَ ـ وَاللَّهِ ـ الْأَقَلُّونَ عَدَداً ، وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْراً . يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ ، وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ [(٥)] ، وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ ،

---

(١) لا يصلح لحمل العلم واحد منهما .

(٢) المنهوم : المفرط في شهوة الطعام ، وسلس القياد : سهله ، والمغرم بالجمع : المولع بكسب المال واكتنازه . وهذان ليسا ممن يرعى الدين في شيء ، و « الانعام » ـ أي البهائم السائمة ـ أقرب شبهاً بهذين ، فهما أحط درجة من راعية البهائم ، لأنها لم تسقط عن منزلة أعدتها لها الفطرة أما هما فقد سقطا واختارا الأدنى على الأعلى .

(٣) غمره الظلم حتى غطاه فهو لا يظهر .

(٤) استفهام عن عدد القائمين لله بحجته واستقلال له . وقوله « وأين أولئك؟» استفهام عن أمكنتهم وتنبيه على خفائها .

(٥) عدوا ما استخشنه المنعمون لينا ، وهو الزهد .

وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى . أُولَئِكَ خُلَفَاءُ ٱللهِ فِي أَرْضِهِ ، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ ! انْصَرِفْ يَا كُمَيْلُ إِذَا شِئْتَ .

١٤٨ ـ وقال عليه السلام : الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ [١] .

١٤٩ ـ وقال عليه السلام : هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ .

١٥٠ ـ وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه :

لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ ، وَيُرَجِّي التَّوْبَةَ [٢] بِطُولِ الْأَمَلِ ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ ، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ ، وَيَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ ، يَنْهَى ، وَلَا يَنْتَهِي ، وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي ، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ ، وَيُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ ، وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ [٣] ، إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً [٤] ، وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِياً ، يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ ،

---

(١) إنما يظهر عقل المرء وفضله بما يصدر عن لسانه ، فكأنه قد خبيء تحت لسانه ، فاذا تحرك اللسان انكشف .

(٢) يرجى ـ بالتشديد ـ أي يؤخر التوبة .

(٣) الذي يكره الموت لأجله هو الذنوب، وأقام عليها : داوم على إتيانها .

(٤) إن أصابه السقم لازم الندم على التفريط أيام الصحة ، فاذا عادت له الصحة غره الامن وغرق في اللهو .

وَيَقْنَطُ إذَا ٱبْتُلِيَ ، إنْ أَصَابَهُ بَلاءٌ دَعَا مُضْطَرًّا ، وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرًّا ، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ ، وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ[1] ، يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ ، وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ ، إنِ ٱسْتَغْنَى بَطِرَ وَفُتِنَ[2] ، وَإِنِ ٱفْتَقَرَ قَنِطَ وَوَهَنَ ، يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ ، وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ ، إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ ٱلْمَعْصِيَةَ[3] ، وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ ، وَإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ ٱنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ ٱلْمِلَّةِ[4] ، يَصِفُ ٱلْعِبْرَةَ وَلَا يَعْتَبِرُ[5] ، وَيُبَالِغُ فِي ٱلْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَّعِظُ ، فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ[6] ، وَمِنَ ٱلْعَمَلِ مُقِلٌّ ، يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى ، وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى ، يَرَى ٱلْغُنْمَ

---

(١) هو على يقين من ان السعادة في الزهادة ، والشرف في الفضيلة ؛ ثم لا يقهر نفسه على اكتسابها ، وإذا ظن بل توهم لذة حاضرة أو منفعة عاجلة دفعته نفسه اليها وإن هلك .

(٢) بطر – كفرح – : اغتر بالنعمة ، والغرور فتنة ، والقنوط : اليأس ، والوهن : الضعف .

(٣) أسلف : قدم ، وسوف : أخر .

(٤) شرائط الملة : الثبات والصبر ، واستعانة الله على الخلاص عند عرو المحن ، أي: طروق البلايا . و « انفرج عنها » أي انخلع وبعد .

(٥) العبرة – بالكسر – تنبه النفس لما يصيب غيرها فتحترس من إتيان اسبابه

(٦) أدل على أقرانه : استعلى عليهم .

مَغْرماً[١] ، وَالْغُرْمَ مَغْنَماً ، يَخْشَى الْمَوْتَ ، وَلا يُبادِرُ الْفَوْتَ[٢] يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طاعَةِ غَيْرِهِ ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ ، وَلِنَفْسِهِ مُداهِنٌ ، اللَّهْوُ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ ، يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ ، وَلا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ وَيُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ . فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصِي ، وَيَسْتَوْفِي وَلا يُوفِي ، وَيَخْشَى الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ[٣] وَلا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ .

قال الرضي : ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة ، وحكمة بالغة ، وبصيرة لمبصر ، وعبرة لناظر مفكر .

١٥١ ــ وقال عليه السلام : لِكُلِّ امْرِيءٍ عَاقِبَةٌ حُلْوَةٌ أَوْ مُرَّةٌ .

١٥٢ ــ وقال عليه السلام : لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبَارٌ ، وَمَا أَدْبَرَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ .

---

(١) الغنم ــ بالضم ــ الغنيمة ، والمغرم : الغرامة ، والأعمال العظيمة غنيمة العقلاء ، والشهوات خسارة الأعمار .

(٢) الفوت : فوات الفرصة وانقضاؤها ، وبادره : عاجله قبل أن يذهب .

(٣) يخشى الخلق فيعمل لغير الله خوفاً منه ؛ ولكنه لا يخاف الله ؛ فهو يضر عباده ولا ينفع خلقه .

١٥٣ – وقال عليه السلام: لَا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ وَإِنْ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ.

١٥٤ – وقال عليه السلام: الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ، وَعَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانِ: إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ، وَإِثْمُ الرِّضَا بِهِ.

١٥٥ – وقال عليه السلام: اعْتَصِمُوا بِالذِّمَمِ فِي أَوْتَادِهَا[1].

١٥٦ – وقال عليه السلام: عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ[2].

١٥٧ – وقال عليه السلام: قَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ[3] وَقَدْ هُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنِ اسْتَمَعْتُمْ:

١٥٨ – وقال عليه السلام: عَاتِبْ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ.

١٥٩ – وقال عليه السلام: مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهَمَةِ فَلَا

---

(١) تحصنوا بالذمم – أي العهود – واعقدوها باوتادها؛ أي الرجال أهل النجدة الذين يوفون بها. وإياكم والركون لعهد من لا عهد له.

(٢) عليكم بطاعة عاقل لا تكون له جهالة تعتذرون بها عند البراءة من عيب السقوط في مخاطر أعماله فيقل عذركم في اتباعه.

(٣) كشف الله لكم عن الخير والشر، فان كانت لكم أبصار فأبصروا؛ وكذا يقال فيما بعده.

يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ .

١٦٠ ــ وقال عليه السلام : مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ [١] .

١٦١ ــ وقال عليه السلام : مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ ، وَمَنْ شَاوَرَ الرجالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا .

١٦٢ ــ وقال عليه السلام : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتِ الْخِيَرَةُ بِيَدِهِ [٢] .

١٦٣ ــ وقال عليه السلام : الْفَقْرُ الْمَوْتُ الأَكْبَرُ .

١٦٤ ــ وقال عليه السلام : مَنْ قَضَى حَقَّ مَنْ لَا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُ [٣] .

١٦٥ ــ وقال عليه السلام : لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ .

١٦٦ ــ وقال عليه السلام : لَا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ [٤] إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ .

---

(١) « استأثر » أي استبد .

(٢) مثلا لو أسر عزيمة فله الخيار في إنفاذها أو فسخها ؛ بخلاف ما لو أفشاها فربما ألزمته البواعث على فعلها ، أو أجبرته العوائق التي تعرض له في إفشائها على فسخها ، وعلى هذا القياس .

(٣) لأن العبادة خضوع لمن لا نطالبه بجزائه اعترافاً بعظمته .

(٤) المتسامح في حقه لايعاب ، وإنما يعاب سالب حق غيره .

١٦٧ ـ وقال عليه السلام : الإِعْجَابُ يَمْنَعُ الازْدِيَادَ[١] .

١٦٨ ـ وقال عليه السلام : الأَمْرُ قَرِيبٌ[٢] وَالاِصْطِحَابُ قَلِيلٌ .

١٦٩ ـ وقال عليه السلام : قَدْ أَضَاءَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ .

١٧٠ ـ وقال عليه السلام : تَرْكُ الذَّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ الْمَعُونَةِ .

١٧١ ـ وقال عليه السلام : كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلاَتٍ[٣] !

١٧٢ ـ وقال عليه السلام : النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا .

١٧٣ ـ وقال عليه السلام : مَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَإِ[٤] .

١٧٤ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَحَدَّ سِنَانَ الْغَضَبِ لِلّهِ قَوِيَ عَلَى قَتْلِ أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ[٥] .

---

(١) من أعجب بنفسه وثق بكمالها فلم يطلب لها الزيادة في الكمال ، فلا يزيد بل ينقص .

(٢) أمر الآخر قريب ، والاصطحاب في الدنيا قصير الزمن قليل .

(٣) رب شخص أكل مرة فأفرط فابتلى بالتخمة ومرض المعدة وامتنع عليه الأكل أياماً .

(٤) من طلب الآراء في وجوهها الصحيحة انكشف له موقع الخطأ فاحترس منه .

(٥) أحد ـ بفتح الهمزة والحاء وتشديد الدال ـ أي شحذ ، والسنان : نصل الرمح ، أي من اشتد غضبه لله اقتدر على قهر أهل الباطل وإن كانوا أشداء .

١٧٥ — وقال عليه السلام: إِذَا هِبْتَ أَمْرًا فَقَعْ فِيهِ [١]، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ.

١٧٦ — وقال عليه السلام: آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ.

١٧٧ — وقال عليه السلام: اُزْجُرِ الْمُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ [٢].

١٧٨ — وقال عليه السلام: اُحْصُدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ.

١٧٩ — وقال عليه السلام: اللَّجَاجَةُ تَسُلُّ الرَّأْيَ [٣].

١٨٠ — وقال عليه السلام: الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ.

١٨١ — وقال عليه السلام: ثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ النَّدَامَةُ، وَثَمَرَةُ الْحَزْمِ السَّلَامَةُ.

١٨٢ — وقال عليه السلام: لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ.

١٨٣ — وقال عليه السلام: مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ

---

(١) إذا تخوفت من امر فادخل فيه ؛ فان ألم الخوف منه أشد من مصيبة الوقوع فيه.

(٢) إذا كافأت المحسن على إحسانه أقلع المسيء عن إساءته طلباً للمكافأة.

(٣) اللجاجة شدة الخصام تعصباً لا للحق ، وهي تسل الرأي ؛ أي تذهب به وتنزعه.

إِحْدَاهُمَا ضَلاَلَةٌ [1] .

١٨٤ ـ وقال عليه السلام : مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ .

١٨٥ ـ وقال عليه السلام : مَا كَذَبْتُ وَلا كُذِّبْتُ ، وَلا ضَلَلْتُ وَلا ضُلَّ بِي .

١٨٦ ـ وقال عليه السلام : لِلظَّالِمِ الْبَادِي غَداً بِكَفِّهِ عَضَّةٌ [2] !

١٨٧ ـ وقال عليه السلام : الرَّحِيلُ وَشِيكٌ [3] .

١٨٨ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ [4] .

١٨٩ ـ وقال عليه السلام : مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ .

١٩٠ ـ وقال عليه السلام : وَاعَجَبَاهُ أَتَكُونُ الْخِلاَفَةُ بِالصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ ؟

قال الرضي : وروي له شعر في هذا المعنى

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ

فَكَيْفَ بِهٰذَا وَالْمُشِيرُونَ غُيَّبُ [5] ؟ !

---

(١) لأن الحق واحد .

(٢) يعض الظالم على يده ندماً يوم القيامة .

(٣) الرحيل من الدنيا الى الآخرة قريب .

(٤) من ظهر بمقاومة الحق هلك . وإبداء الصفحة : إظهار الوجه ، وقد يكون المعنى : من أعرض عن الحق ، والصفحة تظهر عند الاعراض بالجانب .

(٥) جمع غائب : يريد بالمشيرين أصحاب الرأي في الامر ، وهم علي واصحابه من بني هاشم .

وَإِنْ كُنْتَ بِالقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ [1]
فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ

١٩١ — وقال عليه السلام : إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا [2] وَنَهْبٌ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ، وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ [3]، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ وَلَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ . فَنَحْنُ أَعْوَانُ الْمَنُونِ [4] وَأَنْفُسُنَا نَصْبُ الْحُتُوفِ فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ وَهٰذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً [5] إِلَّا أَسْرَعَا الْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيَا ، وَتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا ؟!

١٩٢ — وقال عليه السلام : يَا ابْنَ آدَمَ مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوتِكَ فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ .

---

(١) يريد احتجاج أبي بكر رضي الله عنه على الانصار بأن المهاجرين شجرة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) الغرض – بالتحريك – : ما ينصب ليصيبه الرامي ، و «تنتضل فيه» أي: تصيبه وتثبت فيه : والمنايا ، جمع منية ؛ وهي الموت ، والنهب – بفتح فسكون – ما ينهبه .

(٣) الشرق – بالتحريك – : وقوف الماء في الحلق ، أي : مع كل لذة ألم .

(٤) المنون – بفتح الميم – الموت : وكلما تقدمنا في العمر تقربنا منه فنحن بعيشتنا أعوانه على أنفسنا ، وأنفسنا نصب الحتوف – أي تجاهها – والحتوف : جمع حتف ؛ أي : هلاك .

(٥) الشرف : المكان العالي ؛ والمراد به هنا كل ما علا من مكان وغيره .

١٩٣ — وقال عليه السلام: إنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبالاً وَإِدْبَاراً فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبالِهَا، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ.

١٩٤ — وكان عليه السلام يقول: مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ؟ أَحِينَ أَعْجِزُ عَنِ الانْتِقَامِ فَيُقَالَ لِي لَوْ صَبَرْتَ؟ أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيُقَالَ لِي لَوْ عَفَوْتَ[١].

١٩٥ — وقال عليه السلام وقد مر بقذر على مزبلة: هٰذَا مَا بَخِلَ بِهِ الْبَاخِلُونَ[٢].

وروي في خبر آخر أنه قال: هٰذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِالْأَمْسِ

١٩٦ — وقال عليه السلام: لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ[٣]

١٩٧ — وقال عليه السلام: إِنَّ هٰذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ.

١٩٨ — وقال عليه السلام لما سمع قول الخوارج «لا حكم إلا لله»: كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ[٤].

---

(١) لا يصح التشفي على اي حال: أما في حال العجز فالصبر أشفي، وأما عند القدرة فالعفو أجمل.

(٢) تلك الأقذار: هي لذائذ الأطعمة التي كان يبخل ببذلها البخلاء، وهي ما كان الناس يتنافسون فيه كل يطلبه.

(٣) إذا أحدث فيك ضياع المال بصيرة وحذراً فما اكتسبته خير مما ضاع.

(٤) فانهم قصدوا بها الاحتجاج على خروجهم من طاعة الخليفة.

١٩٩ — وقال عليه السلام في صفة الغوغاء[١] : هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا، وقيل : بل قال عليه السلام : هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا، فقيل : قد عرفنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم ؟ فقال : يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمِهَنِ إِلَى مِهْنَتِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إِلَى بِنَائِهِ، وَالنَّسَّاجِ إِلَى مَنْسَجِهِ، وَالْخَبَّازِ إِلَى مَخْبَزِهِ.

٢٠٠ — وقال عليه السلام، وأتي بجان ومعه غوغاء، فقال : لَا مَرْحَباً بِوُجُوهٍ لَا تُرَى إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوْأَةٍ.

٢٠١ — وقال عليه السلام : إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنَّ الْأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ[٢].

٢٠٢ — وقال عليه السلام، وقد قال له طلحة والزبير : نبايعك على أنا شركاؤك في هذا الأمر : لَا، وَلَكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ فِي الْقُوَّةِ وَالِاسْتِعَانَةِ، وَعَوْنَانِ عَلَى الْعَجْزِ وَالْأَوَدِ[٣].

---

(١) الغوغاء — بغينين معجمتين — أوباش الناس يجتمعون على غير ترتيب، وهم يغلبون على ما اجتمعوا عليه، ولكنهم إذا تفرقوا لا يعرفهم أحد، لانحطاط درجة كل منهم.

(٢) الأجل : ما قدره الله للحي من مدة العمر، وهو وقاية منيعة من الهلكة

(٣) الأود — بفتح وسكون — : بلوغ الأمر من الانسان مجهوده لشدته وصعوبة احتماله.

٢٠٣ — وقال عليه السلام : أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللهَ الَّذِي إن قُلْتُمْ سَمِعَ ، وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ ، وَبَادِرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ .

٢٠٤ — وقال عليه السلام : لَا يُزَهِّدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُ لَكَ ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ ، وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ ، وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

٢٠٥ ـ وقال عليه السلام : كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وِعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ[1] .

٢٠٦ ـ وقال عليه السلام : أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ .

٢٠٧ ـ وقال عليه السلام : إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ .

٢٠٨ ـ وقال عليه السلام : مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ ، وَمَنْ خَافَ أَمِنَ ، وَمَنِ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ ، وَمَنْ أَبْصَرَ

---

(١) وعاء العلم : هو العقل ، وهو يتسع بكثرة العلم .

فَهِمَ ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ .

٢٠٩ ـ وقال عليه السلام : لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا [(١)] . وتلا عقيب ذلك : (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) .

٢١٠ ـ وقال عليه السلام : اتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيداً وَجَدَّ تَشْمِيراً ، وَكَمَّشَ فِي مَهَلٍ [(٢)] وَبَادَرَ عَنْ وَجَلٍ ، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْئِلِ ، وَعَاقِبَةِ الْمَصْدَرِ وَمَغَبَّةِ الْمَرْجِعِ .

٢١١ ـ وقال عليه السلام : الْجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاضِ ، وَالْعِلْمُ

---

(١) الشماس ـ بالكسر ـ : امتناع ظهر الفرس من الركوب ، والضروس ـ بفتح فضم ـ : الناقة السيئة الخلق تعض حالبها ، أي إن الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها وتلين بعد خشونتها ، كما تنعطف الناقة على ولدها ، وإن أبت على الحالب .

(٢) كمش ـ بتشديد الميم ـ : جد في السوق ، أي وبالغ في حث نفسه على المسير إلى الله ، ولكن مع تمهل البصيرة . والوجل : الخوف . والموئل : مستقر السير ، يريد به هنا ما ينتهي اليه الانسان : من سعادة وشقاء ، وكرته : حملته واقباله . والمغبة ـ بفتح الميم والغين وتشديد الباء ـ العاقبة ايضاً ، إلا انه يلاحظ فيها مجرد كونها بعد الأمر . أما العاقبة ففيها أنها مسببة عنه ، والمصدر : عملك الذي يكون عنه ثوابك وعقابك ، والمرجع : ما ترجع اليه بعد الموت ويتبعه إما السعادة أو الشقاوة .

فِدَامُ السَّفِيهِ [1] ، وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ ، وَالسُّلُوُّ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ [2] ، وَالِاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الهِدَايَةِ . وَقَدْ خَاطَرَ مَنِ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ ، وَالصَّبْرُ يُنَاضِلُ الحِدْثَانَ [3] وَالْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ ، وَأَشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى [4] ، وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوَى أَمِيرٍ [5] ، وَمِنَ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجْرِبَةِ ، وَالْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ ، وَلَا تَأْمَنَنَّ مَلُولاً [6] .

٢١٢ ــ وقال عليه السلام : عُجْبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ [7] .

---

(١) الفدام ــ ككتاب ، وسحاب ، وتشدد الدال أيضاً مع الفتح ــ : شيء تشده العجم على أفواهها عند السقي ، أي وإذا حلمت فكأنك ربطت فم السفيه بالفدام فمنعته عن الكلام .

(٢) من غدرك فلك خلف عنه ، وهو أن تسلوه وتهجره كأنه لم يكن .

(٣) الحدثان ــ بكسر فسكون ــ : نوائب الدهر ، والصبر يناضلها ، أي : يدافعها ، والجزع ــ وهو شدة الفزع ــ يعين الزمان على الاضرار بصاحبه .

(٤) المنى ــ بضم ففتح ــ : جمع منية ، وهي ما يتمناه الانسان ، وإذا لم تتمن شيئاً فقد استغنيت عنه .

(٥) كثير من الناس جعلوا أهواءهم مسلطة على عقولهم ، فعقولهم أسرى تحت حكمها .

(٦) الملول ــ بفتح الميم ــ : السريع الملل والسآمه ، وهو لا يؤمن ، إذ قد يمل عند حاجتك اليه فيفسد عليك عملك .

(٧) العجب حجاب بين العقل وعيوب النفس ، فاذا لم يدر بها سقط بل أوغل فيها فيعود عليه بالنقص ، فكأن العجب حاسد يحول بين العقل ونعمة الكمال .

٢١٣ ـ وقال عليه السلام : أَغْضِ عَلَى الْقَذَى وَالْأَلَمِ تَرْضَ أَبَداً [١] .

٢١٤ ـ وقال عليه السلام : مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ [٢] .

٢١٥ ـ وقال عليه السلام : الْخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ .

١٢٦ ـ وقال عليه السلام : مَنْ نَالَ اسْتَطَالَ [٣] .

٢١٧ ـ وقال عليه السلام : فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ .

٢١٨ ـ وقال عليه السلام : حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّةِ [٤] .

٢١٩ ـ أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ .

٢٢٠ ـ وقال عليه السلام : لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَى الثِّقَةِ بِالظَّنِّ [٥] .

---

(١) القذى : الشيء يسقط في العين ، والاغضاء عليه : كناية عن تحمل الأذى ، ومن لم يتحمل يعش ساخطاً ، لأن الحياة لا تخلو من أذى .

(٢) يريد من لين العود : طراوة الجثمان الانساني ونضارته بحياة الفضل وماء الهمة ، وكثافة الأغصان : كثرة الآثار التي تصدر عنه كأنها فروعه ، ويريد بها كثرة الأعوان .

(٣) « نال » أي أعطى ، يقال : نلته ـ على وزن قلته ـ أي أعطيته . وهذا مثل قولهم « من جاد ساد » فان الاستطالة : الاستعلاء بالفضل .

(٤) لولا ضعف المودة ما كان الحسد . وأول الصداقة انصراف النظر عن رؤية التفاوت .

(٥) الواثق بظنه واهم ، فلا بد لمريد العدل من طلب اليقين بموجب الحكم .

٢٢١ ـ وقال عليه السلام : بِئْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ ، الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ .

٢٢٢ ـ وقال عليه السلام : مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ [١] .

٢٢٣ ـ وقال عليه السلام : مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ .

٢٢٤ ـ وقال عليه السلام : بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ ، وَبِالنَّصَفَةِ يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ [٢] ، وَبِالْإِفْضَالِ تَعْظُمُ الْأَقْدَارُ ، وَبِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ ، وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤَنِ يَجِبُ السُّؤْدُدُ [٣] ، وَبِالسِّيرَةِ الْعَادِلَةِ يُقْهَرُ الْمُنَاوِىءُ [٤] ، وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ .

٢٢٥ ـ وقال عليه السلام : الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلَامَةِ

---

(١) عدم التفاته لعيوب الناس وإشاعتها وإن علمها .

(٢) النصفة ـ بالتحريك ـ : الانصاف، ومتى أنصف الانسان كثر مواصلوه، أي محبوه .

(٣) المؤن ـ بضم ففتح ـ : جمع مؤنة ، وهي القوت ، أي أن السؤدد والشرف باحتمال المؤنات عن الناس .

(٤) المناوىء : المخالف المعاند .

الْأَجْسَادِ [1] .

٢٢٦ ـ وقال عليه السلام : الطَّامِعُ فِي وَثَاقِ الذُّلِّ .

٢٢٧ ـ وسئل عن الايمان فقال : الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ .

٢٢٨ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِيناً فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ ٱللَّهِ سَاخِطاً ، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّهُ ، وَمَنْ أَتَى غَنِيًّا فَتَوَاضَعَ لَهُ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ [2] وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ ٱللَّهِ هُزُواً ، وَمَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا الْتَاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ [3] : هَمٌّ لَا يُغِبُّهُ ، وَحِرْصٌ لَا يَتْرُكُهُ ، وَأَمَلٌ لَا يُدْرِكُهُ .

٢٢٩ ـ وقال عليه السلام : كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكاً ، وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيماً ، وسئل عليه السلام عن قوله تعالى : (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ؟) فَقَالَ : هِيَ الْقَنَاعَةُ .

---

(١) من العجيب أن يحسد الحاسدون على المال والجاه مثلا ، ولا يحسدون الناس على سلامة أجسادهم ، مع أنها من أجل النعم .

(٢) لأن استعظام المال ضعف في اليقين بالله ، والخضوع : أداء عمل لغير الله ، فلم يبق إلا الاقرار باللسان .

(٣) التاط : التصق .

٢٣٠ – وقال عليه السلام: شَارِكُوا الَّذِي قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ، فَإِنَّهُ أَخْلَقُ لِلْغِنَى وَأَجْدَرُ بِإِقْبَالِ الْحَظِّ عَلَيْهِ[١].

٢٣١ – وقال عليه السلام في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) الْعَدْلُ: الْإِنْصَافُ، وَالْإِحْسَانُ: التَّفَضُّلُ.

٢٣٢ – وقال عليه السلام: مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ.

قال الرضي: أقول: ومعنى ذلك أن ما ينفقه المرء من ماله في سبيل الخير والبر وإن كان يسيراً فإن الله تعالى يجعل الجزاء عليه عظيماً كثيراً واليدان ههنا: عبارتان عن النعمتين، ففرق عليه السلام بين نعمة العبد ونعمة الرب تعالى ذكره فجعل تلك قصيرة وهذه طويلة، لأن نعم الله أبداً تضعف على نعم المخلوق أضعافاً كثيرة[٢] إذ كانت نعم الله أصل النعم كلها، فكل نعمة إليها ترجع ومنها تنزع.

٢٣٣ – وقال عليه السلام لابنه الحسن عليهما السلام: لَا تَدْعُوَنَّ إِلَى مُبَارَزَةٍ[٣] وَإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ فَإِنَّ الدَّاعِيَ بَاغٍ وَالْبَاغِي مَصْرُوعٌ.

---

(١) إذا رأيتم شخصاً أقبل عليه الرزق فاشتركوا معه في عمله من تجارة أو زراعة أو غيرهما فانه مظنة الربح.

(٢) تضعف – مجهول –: من «أضعفه» إذا جعله ضعفين.

(٣) المبارزة: بروز كل للآخر ليقتتلا، ومصروع: مغلوب مطروح.

٢٣٤ ـ وقال عليه السلام : خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاء شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ : الزَّهْوُ ، وَالْجُبْنُ ، وَالْبُخْلُ [١] فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا ، وَإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ بَعْلِهَا ، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا [٢] .

٢٣٥ ـ وقيل له : صف لنا العاقل ، فقال عليه السلام : هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ ، فقيل : فصف لنا الجاهل ، فقال : قَدْ فَعَلْتُ .

قال الرضي : يعني أن الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه فكأن ترك صفته صفة له ، إذ كان بخلاف وصف العاقل .

٢٣٦ ـ وقال عليه السلام : وَاللّٰهِ لَدُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْذُومٍ [٣] .

٢٣٧ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللّٰهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ [٤] وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللّٰهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ [٥] ،

---

(١) الزهو ـ بالفتح ـ : الكبر ، وزهى ـ كعنى ، مبني للمجهول ـ أي تكبر ، ومنه « مزهوة » أي : متكبرة .

(٢) فرقت ـ كفرحت ـ أي فزعت .

(٣) العراق ـ بكسر العين ـ : هو الحشا ما فوق السرة معترضاً البطن ، والمجذوم : المصاب بمرض الجذام ، وما أقذر كرش الخنزير وامعاءه إذا كانت في يد شوهها الجذام .

(٤) لأنهم يعبدون لطلب عوض .

(٥) لأنهم ذلوا للخوف .

وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ[1].

٢٣٨ ـ وقال عليه السلام : الْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا، وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا!

٢٣٩ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِي ضَيَّعَ الْحُقُوقَ، وَمَنْ أَطَاعَ الْوَاشِي ضَيَّعَ الصَّدِيقَ.

٢٤٠ ـ وقال عليه السلام : الْحَجَرُ الْغَصِيبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا[2].

قال الرضي : ويروى هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عجب أن يشتبه الكلامان، لأن مستقاهما من قليب، ومفروغهما من ذنوب[3].

٢٤١ ـ وقال عليه السلام : يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ.

٢٤٢ ـ وقال عليه السلام : اتَّقِ اللهَ بَعْضَ التُّقَى وَإِنْ قَلَّ،

---

(١) لأنهم عرفوا حقاً عليهم فأدوه، وتلك شيمة الاحرار.

(٢) «الغصيب» أي المغصوب، أي ان الاغتصاب قاض بالخراب كما يقضي الرهن بأداء الدين المرهون عليه.

(٣) القليب ـ بفتح فكسر ـ : البئر، والذنوب ـ بفتح فضم ـ : الدلو الكبير، فان الامام يستقي من بئر النبوة ويفرغ في دلوها.

وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سِتْراً وَإِنْ رَقَّ .

٢٤٣ ـ وقال عليه السلام : إِذَا ازْدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ [١] .

٢٤٤ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ لِلّهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقًّا ، فَمَنْ أَدَّاهُ زَادَهُ مِنْهَا ، وَمَنْ قَصَّرَ عَنْهُ خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ .

٢٤٥ ـ وقال عليه السلام : إِذَا كَثُرَتِ الْمَقْدُرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ [٢] .

٢٤٦ ـ وقال عليه السلام : احْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ [٣] .

٢٤٧ ـ وقال عليه السلام : الْكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ [٤] .

٢٤٨ ـ وقال عليه السلام : مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ [٥] .

٢٤٩ ـ وقال عليه السلام : أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ [٦] .

---

(١) ازدحام الجواب : تشابه المعاني حتى لا يدري أيها أوفق بالسؤال ، وهو مما يوجب خفاء الصواب .

(٢) فان من ملك زهد .

(٣) نفار النعم : نفورها بعدم أداء الحق منها فتزول .

(٤) إن الكريم ينعطف للاحسان بكرمه أكثر مما ينعطف القريب بقرابته ، وهي كلمة من أعلى الكلام .

(٥) بعمل الخير الذي ظنه بك .

(٦) وهو ما خالفت فيه الشهوة .

٢٥٠ – وقال عليه السلام: عَرفتُ اللهَ سُبْحانَهُ بِفَسْخِ العَزائِمِ، وَحَلِّ العُقُودِ[١]، وَنَقْضِ الهِمَمِ.

٢٥١ – وقال عليه السلام: مَرارَةُ الدُّنيا حَلاوَةُ الآخِرَةِ، وَحَلاوَةُ الدُّنيا مَرارَةُ الآخِرَةِ[٢].

٢٥٢ – وقال عليه السلام: فَرَضَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيراً مِنَ الشِّرْكِ وَالصَّلاةَ تَنْزيهاً عَنِ الكِبْرِ، وَالزَّكاةَ تَسْبيباً لِلرِّزْقِ، وَالصِّيامَ ابْتِلاءً لإِخْلاصِ الخَلْقِ، وَالحَجَّ تَقْرِبَةً لِلدِّينِ[٣]، وَالجِهادَ عِزّاً لِلإِسْلامِ، وَالأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلعَوامِّ، وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ رَدْعاً لِلسُّفَهاءِ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنْماةً لِلعَدَدِ[٤] وَالقِصاصَ حَقْناً لِلدِّماءِ، وَإِقامَةَ الحُدُودِ إِعْظاماً لِلمَحارِمِ، وَتَرْكَ شُرْبِ الخَمْرِ تَحْصيناً لِلعَقْلِ، وَمُجانَبَةَ السَّرِقَةِ إِيجاباً لِلعِفَّةِ،

---

(١) العقود: جمع عقد؛ بمعنى النية تنعقد على فعل أمر، والعزائم: جمع عزيمة، وفسخها: نقضها، ولولا ان هناك قدرة سامية فوق إرادة البشر – وهي قدرة الله – لكان الانسان كلما عزم على شيء أمضاه، لكنه قد يعزم والله يفسخ.

(٢) حلاوة الدنيا باستيفاء اللذات، ومرارتها بالعفاف عنها. وفي الأول مرارة العذاب في الآخرة، وفي الثاني حلاوة الثواب فيها.

(٣) سبباً لتقرب أهل الدين بعضهم من بعض؛ اذ يجتمعون من جميع الأقطار في مقام واحد لغرض واحد. وفي نسخة «تقوية» فان تجديد الألفة بين المسلمين في كل عام بالاجتماع والتعارف مما يقوي الاسلام.

(٤) فانه إذا تواصل الأقرباء على كثرتهم كثر بهم عدد الأنصار.

وَتَرْكَ الزِّنَا تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ ، وَتَرْكَ اللِّوَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ ، وَالشَّهَادَةَ اسْتِظْهَاراً عَلَى الْمُجَاحَدَاتِ[1] ، وَتَرْكَ الْكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ ، وَالسَّلَامَ أَمَاناً مِنَ الْمَخَاوِفِ ، وَالْأَمَانَاتِ نِظَاماً لِلْأُمَّةِ[2] ، وَالطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلْإِمَامَةِ .

٢٥٣ ـ وقال عليه السلام يقول : أَحْلِفُوا الظَّالِمَ ـ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَه ـ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِباً عُوجِلَ الْعُقُوبَةَ ، وَإِذَا حَلَفَ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعَاجَلْ ، لِأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَى .

٢٥٤ ـ وقال عليه السلام : يَا ابْنَ آدَمَ ، كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ فِي مَالِكَ ، وَاعْمَلْ فِيهِ مَا تُؤْثِرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ[3] .

٢٥٥ ـ وقال عليه السلام : الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ .

---

(١) إنما فرضت الشهادة ـ وهي الموت في نصر الحق ـ ليستعان بذلك على قهر الجاحدين له فيبطل جحوده .

(٢) لأنه إذا روعيت الأمانة في الأعمال أدى كل عامل ما يجب عليه فتنتظم شؤون الأمة . أما لو كثرت الخيانات فقد فسدت وكثر الاهمال فاختل النظام .

(٣) أي اعمل في مالك وأنت حي ما تؤثر ـ أى تحب ـ أن يعمل فيه خلفاؤك . ولا حاجة أن تدخر ثم توصي ورثتك أن يعملوا خيراً بعدك .

٢٥٦ – وقال عليه السلام: صِحَّةُ الْجَسَدِ، مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ.

٢٥٧ – وقال عليه السلام لكميل بن زياد النخعي: يَا كُمَيْلُ، مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ، وَيُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ [١] فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلَّا وَخَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا [٢] كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الْإِبِلِ.

٢٥٨ – وقال عليه السلام: إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللهَ بِالصَّدَقَةِ [٣].

٢٥٩ – وقال عليه السلام: الْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللهِ، وَالْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللهِ.

٢٦٠ – وقال عليه السلام: كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ. وَمَا ابْتَلَى

---

(١) الرواح: السير من بعد الظهر، والادلاج: السير من أول الليل، والمراد من المكارم: المحامد، وكسبها بعمل المعروف، وكأنه يقول: أوص أهلك أن يواصلوا أعمال الخير فرواحهم في الاحسان وإدلاجهم في قضاء الحوائج وإن نام عنها أربابها.

(٢) الضمير في «جرى» للطف، وفي «إليها» للنائبة وغريبة الابل لا تكون من مال صاحب المرعى فيطردها من بين ماله.

(٣) أي إذا افتقرتم فتصدقوا؛ فان الله يعطف الرزق عليكم بالصدقة فكأنكم عاملتم الله بالتجارة. وههنا سر لا يعلم.

أَللهُ سُبْحَانَهُ أَحَداً بِمِثْلِ الإِمْلاَءِ لَهُ .

قال الرضي : وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم ، إلا أن فيه ههنا زيادة جيدة مفيدة .

فصل نذكر فيه شيئاً من اختيار غريب كلامه المحتاج الى التفسير

١ - في حديثه عليه السلام :

فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ ، فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ .

قال الرضي - اليعسوب : السيد العظيم المالك لأمور الناس يومئذ ، والقزع : قطع الغيم التي لا ماء فيها .

٢ - وفي حديثه عليه السلام :

هٰذَا الْخَطِيبُ الشَّحْشَحُ .

يريد الماهر بالخطبة الماضي فيها ، وكل ماض في كلام أو سير فهو شحشح ، والشحشح في غير هذا الموضع : البخيل الممسك .

٣ - وفي حديثه عليه السلام :

إِنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحَماً .

يريد بالقحم المهالك ، لأنها تقحم أصحابها في المهالك والمتالف في الأكثر ومن ذلك « قحمة الأعراب » وهو أن تصيبهم السنة فتتعرق أموالهم [1] فذلك تقحمها فيهم . وقيل فيه وجه آخر ، وهو أنها تقحمهم بلاد الريف ، أي : تحوجهم إلى دخول الحضر عند محول البدو .

٤ ـ وفي حديثه عليه السلام :

إِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الْحِقَاقِ فَالْعَصَبَةُ أَوْلَى .

والنص : منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها كالنص في السير لأنه أقصى ما تقدر عليه الدابة . وتقول : نصصت الرجل عن الأمر ، اذا استقصيت مسألته عنه لتستخرج ما عنده فيه . فنص الحقائق يريد به الادراك لأنه منتهى الصغر والوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حد الكبير ، وهو من أفصح الكنايات عن هذا الأمر (وأغربها . يقول :) فاذا بلغ النساء ذلك فالعصبة أولى بالمرأة من أمها إذا كانوا محرماً مثل الأخوة والأعمام ، وبتزويجها إن أرادوا ذلك والحقاق محاقة الأم للعصبة في المرأة وهو الجدال والخصومة وقول كل واحد منهما للآخر « أنا أحق منك بهذا » يقال منه : حاققته حقاقا ، مثل جادلته جدالا . وقد قيل : إن « نص الحقائق » بلوغ العقل ، وهو الادراك ، لأنه عليه السلام إنما أراد منتهى

---

(١) تتعرق أموالهم : من قولهم « تعرق فلان العظم » أي أكل جميع ما عليه من اللحم .

الأمر الذي تجب فيه الحقوق والأحكام ، ومن رواه « نص الحقائق » فانما أراد جمع حقيقة .

هذا معنى ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام والذي عندي أن المراد بنص الحقاق هنا بلوغ المرأة إلى الحد الذي يجوز فيه تزويجها وتصرفها في حقوقها ، تشبيها بالحقاق من الابل ، وهي جمع حقة وحق[1] وهو الذي استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة ، وعند ذلك يبلغ إلى الحد الذي يتمكن فيه من ركوب ظهره ، ونصه في السير ، والحقائق أيضاً : جمع حقة . فالروايتان جميعا ترجعان إلى معنى واحد ، وهذا أشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور .

٥ ـ وفي حديثه عليه السلام :

إِنَّ الْإِيمَانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِي الْقَلْبِ كُلَّمَا ازْدَادَ الْإِيمَانُ ازْدَادَتِ اللُّمْظَةُ[2] .

واللمظة مثل النكتة أو نحوها من البياض . ومنه قيل : فرس ألمظ ، إذا كان بجحفلته شيء من البياض[3] .

---

(١) بكسر الحاء فيهما .

(٢) اللمظة : بضم اللام وسكون الميم .

(٣) الجحفلة ـ بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء الساكنة ـ للخيل والبغال والحمير بمنزلة الشفة للانسان .

٦ – وفي حديثه عليه السلام

إنَّ الرجُلَ إذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ الظَنُونُ يَجِبُ عَلَيْهِ أن يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى إذَا قَبَضَهُ .

فالظنون (الذي لا يعلم صاحبه أيقضيه من الذي هو عليه أم لا ، فكأنه) الذي يظن به مرة يرجوه ومرة لا يرجوه . وهذا من أفصح الكلام ، وكذلك كل أمر تطلبه ولا تدري على أي شيء أنت منه فهو ظنون [١] وعلى ذلك قول الأعشى :

مَا يُجْعَلُ الْجُدُّ الظَّنُونُ الَّذِي ... جُنِّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الْمَاطِرِ

مِثْلَ الْفُرَاتِيِّ إِذَا مَا طَمَا ... يَقْذِفُ بِالْبُوصِيِّ وَالْمَاهِرِ

والجد : البئر [٢] (العادية في الصحراء) والظنون : التي لا يعلم هل فيها ماء أم لا .

٧ – وفي حديثه عليه السلام

أنه شيع جيشاً يغزيه فقال : اعْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُمْ . ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء [٣] وشغل القلب بهن ، وامتنعوا

---

(١) هو بفتح الظاء .
(٢) الجد – بضم الجيم – وتقدم تفسير الأبيات في الخطبة الشقشقية فراجعه
(٣) اعذبوا واصدفوا بكسر عين الفعل : أي أعرضوا واتركوا .

من المقاربة لهن، لأن ذلك يفت في عضد الحمية[1] ويقدح في معاقد العزيمة، ويكسر عن العدو، ويلفت عن الابعاد في الغزو، وكل من امتنع من شيء فقد أعذب عنه. والعاذب والعذوب الممتنع من الاكل والشرب.

٨ – وفي حديثه عليه السلام:

كَالْيَاسِرِ الْفَالِجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ.

الياسرون: هم الذين يتضاربون بالقداح على الجذور[2]، والفالج: القاهر والغالب، يقال: فلج عليهم وفلجهم، وقال الراجز:

* لما رأيت فالجا قد فلجا *

٩ – وفي حديثه عليه السلام:

كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ.

ومعنى ذلك أنه إذا عظم الخوف من العدو واشتد عضاض

---

(١) الفت: الدق والكسر، وفت في ساعده – من باب نصر – أي اضعفه كأنه كسره، ومعاقد العزيمة: مواضع انعقادها وهي القلوب، وقدح فيها بمعنى خرقها كناية عن أوهنها. والعدو – بفتح فسكون – الجري، و «يكسر عنه»

(٢) الجزور – بفتح الجيم –: الناقة المجزورة، أي المنحورة. والمضاربة بالسهام: المقامرة على النصيب من الناقة، وفلج: من باب ضرب ونصر.

الحرب[1] فزع المسلمون إلى قتال رسول الله صلى الله عَلَيه وآله وسلم بنفسه[2] ، فينزل الله عليهم النصر به ، ويأمنون مما كانوا يخافونه بمكانه .

وقوله « إذا احمر الباس » كناية عن اشتداد الأمر ، وقد قيل في ذلك أقوال أحسنها : أنه شبه حمى الحرب بالنار[3] التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها ، ومما يقوي ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد رأى مجتلد الناس يوم حنين[4] وهي حرب هوازن : « الآن حمى الوطيس » فالوطيس : مستوقد النار ، فشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما استحر من جلاد القوم[5] باحتدام النار وشدة التهابها .

* انقضى هذا الفصل ، ورجعنا إلى سنن الغرض الأول في هذا البـاب .

٢٦١ ـ وقال عليه السلام : لما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار ، فخرج بنفسه ماشياً حتى أتى النخيلة[6] فادركه الناس ، وقالوا : يا أمير

---

(١) العضاض ـ بكسر العين ـ : أصله عض الفرس ، مجاز عن إهلاكها للمتحاربين .

(٢) فزع المسلمون : لجأوا إلى طلب رسول الله ليقاتل بنفسه .

(٣) الحمى ـ بفتح فسكون ـ مصدر « حميت النار » اشتد حرها .

(٤) مجتلد : مصدر ميمي من الاجتلاد ، أي الاقتتال .

(٥) استحر : اشتد ، والجلاد : القتال .

(٦) النخيلة ـ بضم ففتح ـ : موضع بالعراق اقتتل فيه الامام مع الخوارج بعد صفين .

المؤمنين، نحن نكفيكهم، فقال: مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ؟ إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا، وَإِنَّنِي الْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي كَأَنَّنِي الْمَقُودُ وَهُمُ الْقَادَةُ، أَوِ الْمَوْزُوعُ وَهُمُ الْوَزَعَةُ[1]!

فلما قال عليه السلام هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب، تقدم إليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما: إني لا أملك إلا نفسي وأخي فمر بأمرك يا أمير المؤمنين ننقد له فقال عليه السلام: وَأَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ؟[2].

٢٦٢ ـ وقيل إن الحارث بن حوت أتاه فقال: أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة[3]؟

فقال عليه السلام: يَا حَارِثُ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ[4]! إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ، وَلَمْ

---

(١) المقود: اسم مفعول، والقادة: جمع قائد، والوزعة ـ محركة ـ جمع وازع بمعنى الحاكم، والموزع: المحكوم.

(٢) أي أين انتما وما هي منزلتكما من الأمر الذي أريده؟ وهو يحتاج الى قوة عظيمة فلا موقع لكما منه.

(٣) أتراني ـ بضم التاء «مبني للمجهول» ـ أي أتظنني.

(٤) نظرت الخ: أي أصاب فكرك أدنى الرأي ولم يصب أعلاه؛ و«حار» أي تحير، وأتى الحق: أخذ به.

تَعْرِفَ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ ، فقال الحارث : فإني أعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر ؟ فقال عليه السلام : إِنَّ سَعِيداً وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَخْذُلاَ الْبَاطِلَ .

٢٦٣ — وقال عليه السلام : صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الأَسَدِ : يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ [١] .

٢٦٤ — وقال عليه السلام : أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ [٢] ..

٢٦٥ — وقال عليه السلام : إِنَّ كَلاَمَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً كَانَ دَوَاءً ، وَإِذَا كَانَ خَطأً كَانَ دَاءً [٣] .

٢٦٦ — وسأله رجل أن يعرفه الايمان فقال عليه السلام : إِذَا كَانَ الْغَدُ فَأْتِنِي حَتَّى أُخْبِرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ النَّاسِ ، فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَفِظَهَا عَلَيْكَ غَيْرُكَ ، فَإِنَّ الْكَلاَمَ كَالشَّارِدَةِ يَنْقُفُهَا هٰذَا [٤] وَيُخْطِئُهَا هٰذَا .

---

(١) يغبط — مبنى للمجهول — أي يغبطه الناس ويتمنون منزلته لعزته ، ولكنه أعلم بموضعه من الخوف والحذر ، فهو وإن أخاف بمركوبه إلا أنه يخشى أن يغتاله .

(٢) أي كونوا رحماء بأبناء غيركم يرحم غيركم أبناءكم .

(٣) لشدة لصوقه بالعقول في الحالين .

(٤) نقفه : ضربه ، أي يصيبها واحد فيصيدها ، ويخطئها الآخر فتنفلت منه .

وقد ذكرنا ما أجابه به فيما تقدم من هذا الباب وهو قوله « الايمان على أربع شعب » .

٢٦٧ ــ وقال عليه السلام : يَا ابْنَ آدَمَ ، لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ مِنْ عُمُرِكَ يَأْتِ اللهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ .

٢٦٨ ــ وقال عليه السلام : أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَا ، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَا[1] .

٢٦٩ ــ وقال عليه السلام : النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلَانِ : عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا ، قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ ، يَخْشَى عَلَى مَنْ يَخْلُفُهُ الْفَقْرَ وَيَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنْفَعَةِ غَيْرِهِ ، وَعَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ ، فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعاً ، وَمَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعاً فَأَصْبَحَ وَجِيهاً عِنْدَ اللهِ[2] ، لَا يَسْأَلُ اللهَ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ .

٢٧٠ ــ وروي أنه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبة

---

(١) الهون ــ بالفتح ــ : الحقير ، والمراد منه هنا الخفيف لا مبالغة فيه ؛ أي لا تبالغ في الحب ولا في البغض فعسى أن ينقلب كل إلى ضده فلا تعظم ندامتك على ما قدمت منه .

(٢) « وجيهاً » أي ذا منزلة علية من القرب إليه سبحانه .

وكثرته، فقال قوم: لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر وما تصنع الكعبة بالحلي؟ فهم عمر بذلك، وسأل أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عليه السلام: إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَالْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ: أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ، وَالْفَيْءُ فَقَسَّمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ، وَالْخُمُسُ فَوَضَعَهُ اللهُ حَيْثُ وَضَعَهُ، وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللهُ حَيْثُ جَعَلَهَا، وَكَانَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ، فَتَرَكَهُ اللهُ عَلَى حَالِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَاناً، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكَاناً[1]، فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ. فقال له عمر: لولاك لافتضحنا، وترك الحلي بحاله.

٢٧١ ـ وروي أنه عليه السلام رفع إليه رجلان سرقا من مال الله: أحدهما عبد من مال الله، والآخر من عروض الناس[2] فقال عليه السلام: أَمَّا هٰذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ اللهِ وَلَا حَدَّ عَلَيْهِ، مَالُ اللهِ أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَمَّا الآخَرُ فَعَلَيْهِ الْحَدُّ الشَّدِيدُ فَقَطَعَ يَدَهُ.

٢٧٢ ـ وقال عليه السلام: لَوْ قَدِ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هٰذِهِ

---

(١) أي لم يكن مكان حلي الكعبة خافياً على الله. فمكاناً تميز نسبة الخفاء الى الحلي.

(٢) أي إن السارقين كانا عبدين أحدهما عبد لبيت المال. والآخر عبد لأحد الناس، من عروضهم: جمع عرض ـ بفتح فسكون ـ وهو المتاع غير الذهب والفضة، وكلاهما سرق من بيت المال.

الْمَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ [1].

٢٧٣ ـ وقال عليه السلام : اعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنَّ اللّٰهَ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ ـ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ ، وَاشْتَدَّتْ طِلْبَتُهُ ، وَقَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ ـ أَكْثَرَ مِمَّا سَمَّى لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ [2] ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقِلَّةِ حِيلَتِهِ ، وَبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ . وَالْعَارِفُ لِهٰذَا الْعَامِلُ بِهِ أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعَةٍ ، وَالتَّارِكُ لَهُ الشَّاكُّ فِيهِ أَعْظَمُ النَّاسِ شُغُلاً فِي مَضَرَّةٍ ، وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَى [3] ، وَرُبَّ مُبْتَلًى مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَى ، فَزِدْ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ فِي شُكْرِكَ ، وَقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ [4] ، وَقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقِكَ .

---

(١) المداحض : المزالق ، يريد بها الفتن التي ثارت عليه ، ويقول : إنه لو ثبتت قدماه في الأمر وتفرغ لغير أشياء من عادات الناس وأفكارهم التي تبعد عن الشرع الصحيح .

(٢) الذكر الحكيم : القرآن ، وليس لانسان أن ينال من الكرامة عند الله فوق ما نص عليه القرآن ، ولن يحول الله بين أحد وبين ما عين في القرآن وإن أشتد طلب الأول وقويت مكيدته الخ ، وضعف حال الثاني ؛ فكل مكلف مستطيع أن يؤدي ما فرض الله في كتابه وينال الكرامة المحمودة له ، وقد يراد من الذكر الحكيم علم الله ، أي ما قدر لك فلن تعدوه ولن تقصر عنه .

(٣) أي لا يغتر المنعم عليه بالنعمة فربما تكون استدراجا من الله له يمتحن بها قلبه ثم يأخذه من حيث لا يشعر ، ولا يقنط مبتلى فقد تكون البلوى صنعا من الله له يرفع بها منزلته عنده .

(٤) أي قصر من العجلة في طلب الدنيا .

٢٧٤ – وقال عليه السلام: لَا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً، وَيَقِينَكُمْ شَكّاً[1] إِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا، وَإِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا.

٢٧٥ – وقال عليه السلام: إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ[2]، وَضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ، وَرُبَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيِّهِ[3]، وَكُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ، وَالأَمَانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ، وَالْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ.

٢٧٦ – وقال عليه السلام: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ تُحَسِّنَ فِي لَامِعَةِ الْعُيُونِ عَلَانِيَتِي، وَتُقَبِّحَ فِيمَا أُبْطِنُ لَكَ سَرِيرَتِي، مُحَافِظاً عَلَى رِثَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي، فَأُبْدِي لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي، وَأُفْضِي إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي، تَقَرُّباً إِلَى عِبَادِكَ وَتَبَاعُداً مِنْ مَرْضَاتِكَ[4].

---

(١) من لم يظهر أثر علمه في عمله فكأنه جاهل وعلمه لم يزد على الجهل؛ ومن لم يظهر أثر يقينه في عزيمته وفعله فكأنه شاك متردد؛ اذ لو صح اليقين ما مرض العزم.

(٢) أي من ورده هلك فيه، ولم يصدر عنه.

(٣) شرق – كتعب – أي غص، تمثيل لحالة المطامع بحال الظمآن: فربما يشرق بالماء عند الشرب قبل ان يرتوي به، وربما هلك الطامع في الطلب قبل الانتفاع بالمطلوب.

(٤) يستعيذ بالله من حسن ما يظهر منه للناس وقبح ما يبطنه لله من السريرة. وقوله «محافظاً» حال من الياء في «سريرتي» و «رثاء الناس» بهمزتين، أو بياء بعد الراء –: إظهار العمل لهم ليحمدوه، وقوله «بجميع» متعلق برثاء.

٢٧٧ ـ وقال عليه السلام : لَا وَالَّذِي أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِي غُبْرِ لَيْلَةٍ دَهْمَاءَ تَكْشِرُ عَنْ يَوْمٍ أَغَرَّ مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا (١) .

٢٧٨ ـ وقال عليه السلام : قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ (٢) مِنْهُ .

٢٧٩ ـ وقال عليه السلام : إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا .

٢٨٠ ـ وقال عليه السلام : مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ .

٢٨١ ـ وقال عليه السلام : لَيْسَتِ الرَّوِيَّةُ كَالْمُعَايَنَةِ مَعَ الْإِبْصَارِ (٣) فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا ، وَلَا يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ .

---

(١) غبر الليلة ـ بضم الغين وسكون الباء ـ : بقيتها ، والدهماء : السوداء ، وكشر عن أسنانه ـ كضرب ـ : أبداها في الضحك ونحوه ، والاغر : أبيض الوجه . يحلف بالله الذي أمسى بتقديره في بقية ليلة سوداء تنفجر عن فجر ساطع الضياء ، ووجه التشبيه ظاهر .

(٢) اعمل قليلا وداوم عليه فهو أفضل من كثير تسأم منه فتتركه .

(٣) الروية ـ بفتح فكسر فتشديد ـ : إعمال العقل في طلب الصواب ، وهي أهدى اليه من المعاينة بالبصر ؛ فان البصر قد يكذب صاحبه فيريه العظيم البعيد صغيراً ، وقد يريه المستقيم معوجاً كما في الماء . أما العقل فلا يغش من طلب نصيحته وفي نسخة « ليست الرؤية ـ بضم فهمز ـ مع الابصار » أي إن الرؤية الصحيحة ليست هي رؤية البصر ، وليس العلم مقصوراً على شهود المحسوس ، فان البصر قد يغش ، وإنما بصر العقل فهو الذي لا يكذب ناصحه .

٢٨٢ – وقال عليه السلام : بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْغِرَّةِ [(١)] .

٢٨٣ – وقال عليه السلام : جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ ، وَعَالِمُكُمْ مُسَوِّفٌ [(٢)] .

٢٨٤ – وقال عليه السلام : قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ .

٢٨٥ – وقال عليه السلام : كُلٌّ مُعَاجَلٌ يَسْأَلُ الْإِنْظَارَ ، وَكُلٌّ مُؤَجَّلٌ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ [(٣)] .

٢٨٦ – وقال عليه السلام : مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ « طُوبَى لَهُ » إِلَّا وَقَدْ خَبَأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سُوءٍ .

٢٨٧ – وسئل عن القدر فقال : طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوهُ ، وَبَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجُوهُ ، وَسِرُّ اللهِ فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ [(٤)] .

---

(١) الغرة – بالكسر – : الغفلة .

(٢) أي جاهلكم يغالي ويزداد في العمل على غير بصيرة ، وعالمكم يسوف بعمله – أي يؤخره عن أوقاته – وبئست الحال هذه .

(٣) « كل » بالتنوين في الموضعين – : مبتدأ خبره « معاجل » بفتح الجيم – في الأولى ، و« مؤجل » بفتحها كذلك في الثاني ؛ أي كل واحد من الناس يستعجله أجله ولكنه يطلب الأنظار – أي التأخير – وكل منهم قد أجل الله عمره وهو لا يعمل تعللا بتأخير الأجل والفسحة في مدته وتمكنه من تدارك الفائت في المستقبل .

(٤) فليعمل كل عمله المفروض عليه ، ولا يتكل في الأعمال على القدر .

٢٨٨ ـ وقال عليه السلام : إِذَا أَرْذَلَ ٱللهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ (١) .

٢٨٩ ـ وقال عليه السلام : كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي ٱللهِ ، وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ ، وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً ، فَإِنْ قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ (٢) وَنَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ ، وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً ! فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ وَصِلُّ وَادٍ (٣) ، لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً (٤) ، وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَداً عَلَى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ ٱعْتِذَارَهُ (٥) ، وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَلَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ ، وَكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ ، وَكَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَكَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ (٦) يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى ٱلْهَوَى فَخَالَفَهُ ،

---

(١) أرذله : جعله رذيلا ، و « حظر عليه » أي : حرمه منه .

(٢) « بدهم » أي : كفهم عن القول ومنعهم ، ونقع الغليل : أزال العطش .

(٣) الليث : الأسد ، والغاب جمع غابة ، وهي الشجر الكثير الملتف يستوكر فيه الأسد ، والصل ـ بالكسر ـ : الحية . والوادي معروف ، والجد ـ بالكسر ـ : ضد الهزل .

(٤) أدلى بحجته : أحضرها .

(٥) أي : كان لا يلوم في فعل يصح في مثله الاعتذار إلا بعد سماع العذر.

(٦) بدهه الأمر : فجأه وبغته .

فَعَلَيْكُمْ بِهٰذِهِ الْخَلَائِقِ فَالْزَمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ .

٢٩٠ ـ وقال عليه السلام : لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللّٰهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ[١] لَكَانَ يَجِبُ أَنْ لَا يُعْصَى شُكْراً لِنِعَمِهِ .

٢٩١ ـ وقال عليه السلام : وقد عزي الأشعث بن قيس عن ابن له :

يَا أَشْعَثُ ، إِنْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِكَ فَقَدِ اسْتَحَقَّتْ مِنْكَ ذٰلِكَ الرَّحِمُ ، وَإِنْ تَصْبِرْ فَفِي اللّٰهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ . يَا أَشْعَثُ ، إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ ، وَإِنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ[٢] ، يَا أَشْعَثُ ابْنُكَ سَرَّكَ وَهُوَ بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ[٣] وَحَزَنَكَ وَهُوَ ثَوَابٌ وَرَحْمَةٌ .

٢٩٢ ـ وقال عليه السلام على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساعة دفنه :

إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلَّا عَنْكَ ، وَإِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ ،

---

(١) التوعد : الوعيد . أي لو لم يوعد على معصيته بالعقاب .

(٢) أي مقترف للوزر ، وهو الذنب .

(٣) « سرك » أي أكسبك سروراً ، وذلك عند ولادته ، وهو إذ ذاك بلاء بتكاليف تربيته ، وفتنة بشاغل محبته ، وحزنك : أكسبك الحزن . وذلك عند الموت .

وَإِنَّ الْمُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ ، وَإِنَّهُ قَبْلَكَ وَبَعْدَكَ لَجَلَلٌ[1] .

٢٩٣ — وقال عليه السلام : لَا تَصْحَبِ الْمَائِقَ[2] فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ ، وَيَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ .

١٩٤ — وقد سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب ، فقال عليه السلام : مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ .

٢٩٥ — وقال عليه السلام : أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ ، وَأَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ : فَأَصْدِقَاؤُكَ صَدِيقُكَ ، وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ ، وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ . وَأَعْدَاؤُكَ عَدُوُّكَ وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ ، وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ .

٢٩٦ — وقال عليه السلام لرجل رآه يسعى على عدو له بما فيه إضرار بنفسه : إِنَّمَا أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ[3] .

٢٩٧ — وقال عليه السلام : مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وَأَقَلَّ الِاعْتِبَارَ !

٢٩٨ — وقال عليه السلام : مَنْ بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظُلِمَ[4] ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَنْ خَاصَمَ .

---

(١) أي إن المصائب قبل مصيبتك وبعدها هينة حقيرة ، والجلل ـ بالتحريك ـ الهين الصغير . وقد يطلق على العظيم ، وليس مراداً هنا .

(٢) المائق : الأحمق .

(٣) الردف ـ بالكسر ـ : الراكب خلف الراكب .

(٤) قد يصيب الظلم من يقف عند حقه في المخاصمة فيحتاج للمبالغة حتى يرد إلى الحق ، وفي ذلك إثم الباطل ، وإن كان لنيل الحق .

٢٩٩ ــ وقال عليه السلام : مَا أَهَمَّني ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ [١] وَأَسْأَلَ ٱللهَ الْعَافِيَةَ .

٣٠٠ ــ وسئل عليه السلام : كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم ؟ فقال عليه السلام : كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ ، فقيل : كيف يحاسبهم ولا يرونه ؟ فقال عليه السلام : كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ .

٣٠١ ــ وقال عليه السلام : رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ !

٣٠٢ ــ وقال عليه السلام : مَا الْمُبْتَلَى الَّذي قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلاءُ بِأَحْوَجَ إِلَى الدُّعَاءِ مِنَ الْمُعَافَى الَّذي لَا يَأْمَنُ الْبَلاءَ !

٣٠٣ ــ وقال عليه السلام : النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا ، وَلَا يُلَامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ .

٣٠٤ ــ وقال عليه السلام : إِنَّ الْمِسْكِينَ رَسُولُ ٱللهِ [٢] فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ ٱللهَ ، وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَى ٱللهَ .

٣٠٥ ــ وقال عليه السلام : مَا زَنَى غَيُورٌ قَطُّ .

---

(١) كان إذا كسب ذنباً فأحزنه وأعطى مهلة من الأجل بعده صلى ركعتين تحقيقاً للتوبة .

(٢) لأن الله هو الذي حرمه الرزق فكأنه أرسله إلى الغنى ليمتحنه به .

٣٠٦ ــ وقال عليه السلام: كَفَى بِالْأَجَلِ حَارِساً.

٣٠٧ ــ وقال عليه السلام: يَنامُ الرَّجُلُ عَلَى الثُّكْلِ وَلا يَنامُ عَلَى الْحَرَبِ[١]!

قال الرضي: ومعنى ذلك أنه يصبر على قتل الاولاد ولا يصبر على سلب الأموال.

٣٠٨ ــ وقال عليه السلام: مَوَدَّةُ الآباء قَرَابَةٌ بَيْنَ الْأَبْنَاء[٢] وَالْقَرَابَةُ إِلَى الْمَوَدَّةِ أَحْوَجُ مِنَ الْمَوَدَّةِ إِلَى الْقَرَابَةِ.

٣٠٩ ــ وقال عليه السلام: اتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ.

٣١٠ ــ وقال عليه السلام: لا يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ[٣].

٣١١ ــ وقال عليه السلام: لأنس بن مالك، وقد كان بعثه إلى طلحة

---

(١) الثكل ــ بالضم ــ: فقد الأولاد، والحرب ــ بالتحريك ــ: سلب المال.

(٢) إذا كان بين الآباء مودة كان أثرها في الأبناء أثر القرابة من التعاون، والمرافدة، والمودة أصل في المعاونة، والقرابة من أسبابها. وقد لا تكون مع القرابة معاونة إذا فقدت المحبة. فالأقرباء في حاجة إلى المودة. أما الأولاد فلا حاجة بهم إلى القرابة.

(٣) أي حتى تكون ثقته بما عند الله من ثواب وفضل أشد من ثقته بما في يده.

والزبير لما جاء إلى البصرة يذكرهما شيئاً مما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معناهما ، فلوى عن ذلك ، فرجع إليه ، فقال[1] إِنِّي أُنْسِيتُ ذٰلِكَ الْأَمْرَ فقال عليه السلام : إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَضَرَبَكَ ٱللهُ بِهَا بَيْضَاءَ لَامِعَةً لَاتُوَارِيهَا الْعِمَامَةُ .

قال الرضي : يعني البرص ، فأصاب أنساً هذا الداء فيما بعد في وجهه فكان لايرى إلا مبرقعا .

٣١٢ — وقال عليه السلام : إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالاً وَإِدْبَاراً[2] : فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ .

٣١٣ ـ وقال عليه السلام : وَفِي الْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ[3] .

٣١٤ ـ وقال عليه السلام : رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ ، فَإِنَّ

---

(١) الضمير في « قال » ولوى » لأنس . روي أن انساً كان في حضرة النبي ﷺ وهو يقول لطلحة والزبير : إنكما تحاربان عليا وأنتما له ظالمان .

(٢) إقبال القلوب : رغبتها في العمل ، وإدبارها : مللها منه .

(٣) « نبأ ما قبلنا » أي خبرهم في قصص القرآن ، و « نبأ ما بعدنا » الخبر عن مصير أمورهم ، وهو يعلم من سنة الله فيمن قبلنا ، و « حكم ما بيننا » في الأحكام التي نص عليها .

الشَّرَّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ[1].

٣١٥ – وقال عليه السلام لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع: أَلِقْ دَوَاتَكَ، وَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ[2]، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ، وَقَرْمِطْ بَيْنَ الْحُرُوفِ فَإِنَّ ذٰلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ الْخَطِّ.

٣١٦ – وقال عليه السلام: أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ.

قال الرضي: ومعنى ذلك أن المؤمنين يتبعونني والفجار يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها، وهو رئيسها.

٣١٧ – وقال له بعض اليهود: مادفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه؟ فقال عليه السلام له: إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ[3]، وَلٰكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ: (اجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ فَقَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ).

٣١٨ – وقيل له: بأي شيء غلبت الأقران؟ فقال عليه السلام:

---

(١) رد الحجر: كناية عن مقابلة الشر بالدفع على فاعله ليرتدع عنه، وهذا إذا لم يمكن دفعه بالأحسن.

(٢) جلفة القلم – بكسر الجيم – : ما بين مبراه وسنته، وإلاقة الدواة: وضع الليقة فيها، والقرمطة بين الحروف: المقاربة بينها وتضييق فواصلها.

(٣) أي في أخبار وردت عنه لا في صدقه وأصول الاعتقاد بدينه.

مَا لَقِيتُ رَجُلاً إِلَّا أَعَانَنِي عَلَى نَفْسِهِ .

قال الرضي : يومىء بذلك إلى تمكن هيبته في القلوب .

٣١٩ – وقال عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية : يَا بُنَيَّ ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْهُ فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ(١) مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ .

٣٢٠ – وقال عليه السلام لسائل سأله عن معضلة(٢) : سَلْ تَفَقُّهاً ، وَلَا تَسْأَلْ تَعَنُّتاً ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ الْمُتَعَنِّتِ .

٣٢١ – وقال عليه السلام لعبد الله بن العباس ، وقد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه : لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى ، فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَأَطِعْنِي(٣) .

٣٢٢ – وروي أنه عليه السلام لما ورد الكوفة قادماً من صفين

---

(١) إذا اشتد الفقر فربما يحمل الخيانة ، أو الكذب ، أو احتمال الذل ، أو القعود عن نصرة الحق ، وكلها نقص في الدين .

(٢) أي أحجية يقصد المعاياة لا بقصد الاستفادة .

(٣) وذلك عند ما أشار عليه أن يكتب لابن طلحة بولاية البصرة ، ولابن الزبير بولاية الكوفة ، ولمعاوية باقراره في ولاية الشام حتى تسكن القلوب وتتم بيعة الناس وتلقى الخلافة بوانيها ، فقال امير المؤمنين : لا افسد ديني بدنيا غيري ، ولك أن تشير الخ .

مر بالشباميين[1] فسمع بكاء النساء على قتلى صفين وخرج إليه حرب بن شرحبيل الشبامي وكان من وجوه قومه فقال عليه السلام له : أَتَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ[2] ؟ أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هٰذَا الرَّنِينِ ، وأقبل حرب يمشي معه وهو عليه السلام راكب فقال عليه السلام : ارْجِعْ فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ[3] .

٣٢٣ ـ وقال عليه السلام ، وقد مر بقتلى الخوارج يوم النهروان : بُؤْساً لَكُمْ ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ ، فقيل له : من غرهم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ وَالْأَنْفُسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ ، غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي ، وَوَعَدَتْهُمُ الْإِظْهَارَ فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ .

٣٢٤ ـ وقال عليه السلام : اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللهِ فِي الْخَلَوَاتِ ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ .

٣٢٥ ـ وقال عليه السلام : لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر : إِنَّ حُزْنَنَا

---

(١) شبام ـ ككتاب ـ : اسم حي .

(٢) على ما أسمع من البكاء ، وتغلبكم عليه ، أي يأتينه قهراً عنكم ، والرنين : صوت البكاء .

(٣) أي مشيك وأنت من وجوه القوم معي وأنا راكب فتنة للحاكم تنفخ فيه روح الكبر ، ومذلة ، أي موجبة لذل المؤمن ، ينزلونه منزلة العبد والخادم .

عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ، إِلَّا أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضاً وَنَقَصْنَا حَبِيباً.

٣٢٦ ــ وقال عليه السلام: الْعُمْرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللهُ فِيهِ إِلَى ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً (١).

٣٢٧ ــ وقال عليه السلام: مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الْإِثْمُ بِهِ، وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ (٢).

٣٢٨ ــ وقال عليه السلام: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ: فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ، وَاللهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذٰلِكَ.

٣٢٩ ــ وقال عليه السلام: اَلِاسْتِغْنَاءُ عَنِ الْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ (٣).

٣٣٠ ــ وقال عليه السلام: أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلهِ أَنْ

---

(١) إن كان يعتذر ابن آدم فيما قبل الستين بغلبة الهوى عليه وتملك القوى الجسمانية لعقله فلا عذر له بعد الستين إذا اتبع الهوى ومال إلى الشهوة لضعف القوى وقرب الأجل.

(٢) إذا كانت الوسيلة لظفرك بخصمك ركوب إثم واقتراف معصية فانك لم تظفر حيث ظفرت بك المعصية فألقت بك إلى النار، وعلى هذا قوله: الغالب بالشر مغلوب.

(٣) العذر وإن صدق لا يخلو من تصاغر عند الموجه اليه، فانه اعتراف بالتقصير في حقه. فالعبد عما يوجب الاعتذار أعز.

لَاتَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ .

٢٣١ ــ وقال عليه السلام : إِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةَ الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجَزَةِ [(١)] .

٣٣٢ ــ وقال عليه السلام : السُّلْطَانُ وَزَعَةُ ٱللهِ فِي أَرْضِهِ [(٢)] .

٣٣٣ ــ وقال عليه السلام : في صفة المؤمن : الْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ [(٣)] وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ ، أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً ، وَأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً [(٤)] ، يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ ، وَيَشْنَأُ السُّمْعَةَ ، طَوِيلٌ غَمُّهُ ، بَعِيدٌ هَمُّهُ ، كَثِيرٌ صَمْتُهُ ، مَشْغُولٌ وَقْتُهُ ، شَكُورٌ صَبُورٌ ، مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ [(٥)] ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ [(٦)] ، سَهْلُ الْخَلِيقَةِ ، لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ !

---

(١) العجزة : جمع عاجز ، وهم المقصرون في أعمالهم لغلبة شهواتهم على عقولهم ، والأكياس : جمع كيس ، وهم العقلاء ، فاذا منع الضعيف إحسانه على فقير مثلاً كان ذلك غنيمة للعاقل في الاحسان اليه ، وعلى ذلك بقية الاعمال الخيرية .

(٢) الوزعة ــ بالتحريك ــ : جمع وازع ، وهو الحاكم يمنع من مخالفة الشريعة ، والاخبار بالجمع لأن أل في السلطان للجنس .

(٣) البشر ــ بالكسر ــ : البشاشة والطلاقه ، أي لا يظهر عليه إلا السرور وإن كان في قلبه حزيناً ، كناية عن الصبر والتحمل .

(٤) ذل نفسه لعظمة ربه وللمتضعين من خلقه ، وللحق إذا جرى عليه ، وكراهته للرفعة . بغضه للتكبر على الضعفاء ، ولا يحب أن يسمع أحد بما يعمل لله فهو يشنأ ــ أي يبغض ــ السمعة ، وطول غمه خوفاً مما بعد الموت ، وبعد همه لأنه لا يطلب إلا معالي الأمور .

(٥) « مغمور » أي غريق في فكرته لأداء الواجب عليه لنفسه وملته .

(٦) الخلة ــ بالفتح ــ الحاجة . أي بخيل باظهار فقره للناس ، والخليقة : الطبيعة ، والعريكة : النفس .

نفسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ [1] وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ .

٣٣٤ ـ وقال عليه السلام: لَوْ رَأَى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَمَصِيرَهُ لَأَبْغَضَ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ .

٣٣٥ ـ وقال عليه السلام : لِكُلِّ امْرِيءٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ : الْوَارِثُ ، وَالْحَوَادِثُ .

٣٣٦ ـ الْمَسْئُولُ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَ .

٣٣٧ ـ وقال عليه السلام : الدَّاعِي بِلاَ عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلاَ وَتَرٍ [2] .

٣٣٨ ـ وقال عليه السلام : الْعِلْمُ عِلْمَانِ : مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ ، وَلَا يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ [3] .

٣٣٩ ـ وقال عليه السلام : صَوَابُ الرَّأْيِ بِالدُّوَلِ : يُقْبِلُ بِإِقْبَالِهَا ، وَيَذْهَبُ بِذَهَابِهَا [4] .

---

(١) الصلد : الحجر الصلب : ونفس المؤمن أصلب منه في الحق ، وإن كان في تواضعه أذل من العبد .

(٢) الرامي من قوس بلا وتر يسقط سهمه ولا يصيب ، والذي يدعو الله ولا يعمل لا يجيب الله دعاءه .

(٣) مطبوع العلم : ما رسخ في النفس وظهر أثره في اعمالها ، ومسموعه : منقوله ومحفوظه ، والأول هو العلم حقاً .

(٤) إقبال الدولة : كناية عن سلامتها وعلوها ، كأنها مقبلة على صاحبها تطلبه للأخذ بزمامها ، وإن لم يطلبها ، وعلو الدولة يعطي العقل مكنة الفكر

٣٤٠ – وقال عليه السلام : الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى .

٣٤١ – وقال عليه السلام : يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ !

٣٤٢ – وقال عليه السلام : الْغِنَى الْأَكْبَرُ الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ .

٣٤٣ – وقال عليه السلام : الْأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ ، وَالسَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ (١) ، وَكُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ، وَالنَّاسُ مَنْقُوصُونَ مَدْخُولُونَ (٢) إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ : سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ ، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ ، يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْياً يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَا وَالسُّخْطُ (٣) ، وَيَكَادُ أَصْلَبُهُمْ عُوداً تَنْكَؤُهُ اللَّحْظَةُ ، وَتَسْتَحِيلُهُ

ويفتح له باب الرشاد ، وإدبارها يوقع في الحيرة والارتباك فيذهب عنه صائب الرأي ، ويروى « ويدبر بادبارها .

(١) بلاها الله واختبرها وعلمها ؛ يريد ان ظاهر الأعمال وخفيها معلوم لله ، والأنفس مرهونة بأعمالها : فان كانت خيراً خلصتها ، وان كانت شراً حبستها.

(٢) المدخول : المغشوش ، مصاب بالدخل – بالتحريك – وهو مرض العقل والقلب ، والمنقوص : المأخوذ عن رشده وكماله ، كأنه نقص منه بعض جوهره .

(٣) لو كان فيهم ذو رأي غلب على رأيه رضاه وسخطه : فاذا رضى حكم لمن استرضاه بغير حق ، وإذا سخط حكم على من أسخطه بباطل .

الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ[1] !

٣٤٤ ـ وقال عليه السلام : مَعَاشِرَ النَّاسِ ، اتَّقُوا اللهَ فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَالَا يَبْلُغُهُ ، وَبَانٍ مَالَا يَسْكُنُهُ ، وَجَامِعٍ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ : أَصَابَهُ حَرَاماً ، وَاحْتَمَلَ بِهِ آثَاماً ، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ ، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ آسِفاً لَاهِفاً ، قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

٣٤٥ ـ وقال عليه السلام : مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعَاصِي[2] .

٣٤٦ ـ وقال عليه السلام : مَاءُ وَجْهِكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤَالُ ، فَانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ .

٣٤٧ ـ وقال عليه السلام : الثَّنَاءُ بِأَكْثَرَ مِنَ الاسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ[3] ، وَالتَّقْصِيرُ عَنْ الاسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ .

٣٤٨ ـ وقال عليه السلام : أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ .

٣٤٩ ـ وقال عليه السلام : مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ

---

(٤) أصلبهم عوداً : أشدهم بدينهم تمسكا ، واللحظة : النظرة إلى مشتهى ، وتنكؤه ـ كتمنعه ـ أي تسيل جرحه وتأخذ بقلبه ، وتستحيله : تحوله عما هو عليه أي نظرة إلى مرغوب تجذبه إلى مواقعة الشهوة ، وكلمة من عظيم تميله الى موافقة الباطل .

(١) هو من قبيل قولهم « إن من العصمة ألا تجد » ورُوي حديثاً .

(٢) ملق ـ بالتحريك ـ : تملق ، والعي ـ بالكسر ـ : العجز .

عَيْبِ غَيْرِهِ ، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ وَمَنْ كَابَدَ الأُمُورَ عَطِبَ [١] وَمَنْ اقْتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ ، وَمَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ . وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ [٢] وَالْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ .

٣٥٠ ــ وقال عليه السلام : لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلاثُ عَلامَاتٍ : يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ [٣] ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ ، وَيُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّلَمَةَ .

٣٥١ ــ وقال عليه السلام : عِنْدَ تَنَاهِي الشِّدَّةِ تَكُونُ الْفَرْجَةُ ، وَعِنْدَ تَضَايُقِ حَلَقِ الْبَلاءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ .

---

(١) كابدها : قاساها بلا إعداد أسبابها ، فكأنه يحاذيها وتطارده .

(٢) لأنه قد أقام الحجة لغيره على نفسه ، ورضي برجوع عيبه على ذاته .

(٣) معصية أوامره ونواهيه ، أو خروجه عليه ورفضه لسلطته ، وذلك ظلم ؛ لأنه عدوان على الحق ، والغلبة : القهر ، و « يظاهر » أي يعاون ، والظلمة : جمع ظالم .

٣٥٢ – وقال عليه السلام لبعض أصحابه : لَا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغُلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ : فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ ، وَإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ ٱللَّهِ فَمَا هَمُّكَ وَشُغُلُكَ بِأَعْدَاءِ ٱللَّهِ ؟ !

٣٥٣ – وقال عليه السلام : أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ

٣٥٤ – وهنأ بحضرته رجل رجلا بغلام ولد له فقال له : لِيُهْنِئْكَ الْفَارِسُ فقال عليه السلام : لَا تَقُلْ ذٰلِكَ ، وَلٰكِنْ قُلْ شَكَرْتَ الْوَاهِبَ ، وَبُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ ، وَرُزِقْتَ بِرَّهُ .

٣٥٥ – وبنى رجل من عماله بناء فخماً (١) فقال عليه السلام : أَطْلَعَتِ الْوَرِقُ رُؤُوسَهَا (٢) إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْغِنَى .

٣٥٦ – وقيل له عليه السلام : لو سد على رجل باب بيته وترك فيه من أين كان يأتيه رزقه ؟ فقال عليه السلام : مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ .

٣٥٧ – وعزّى قوماً عن ميت مات لهم فقال عليه السلام : إِنَّ هٰذَا الْأَمْرَ لَيْسَ لَكُمْ بَدَأَ ، وَلَا إِلَيْكُمْ انْتَهَى (٣) ، وَقَدْ

---

(١) أي عظيما ضخماً .

(٢) الورق – بفتح فكسر – : الفضة ، أي ظهرت الفضة ، فأطلعت رءوسها كناية عن الظهور ، ووضح هذا بقوله « أن البناء يصف لك الغنى » أي يدل عليه

(٣) « هذا الأمر » أي الموت – لم يكن تناوله لصاحبكم أول فعل له ولا آخر فعل له ، بل سبقه ميتون وسيكون بعده ، وقد كان ميتكم هذا يسافر لبعض حاجاته .

كَانَ صَاحِبُكُمْ هٰذَا يُسَافِرُ فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَانْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ .

٣٥٨ ـ وقال عليه السلام : أَيُّهَا النَّاسُ ، لِيَرَكُمُ اللّٰهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجِلِينَ كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّقْمَةِ فَرِقِينَ (١) ! إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذٰلِكَ اسْتِدْرَاجاً فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً ، وَمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذٰلِكَ اخْتِبَاراً فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولاً .

٣٥٩ ـ وقال عليه السلام : يَا أَسْرَى الرَّغْبَةِ أَقْصِرُوا (٢) فَانَّ الْمُعَرِّجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ (٣) . أَيُّهَا النَّاسُ ، تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا وَاعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا (٤) .

---

(١) وجلين : خائفين ، وفرقين : فزعين ، كونوا بحيث يراكم الله خائفين من مكره عند النعمة كما يراكم فزعين من بلائه عند النقمة ؛ فان صاحب النعمة إذا لم يظن نعمته استدراجاً من الله فقد أمن مكر الله ، ومن كان في ضيق فلم يحسب ذلك امتحاناً من الله فقد أيس من رحمة الله وضيع أجراً مأمولاً .

(٢) أسرى : جمع أسير ، والرغبة : الطمع ، واقصروا : كفوا .

(٣) المعرج : المائل إليها أو المعول عليها أو المقيم بها ، ويروعه : يفزعه والصريف : صوت الاسنان ونحوها عند الاصطكاك . والحدثان ـ بالكسر ـ النوائب .

(٤) الضراوة : اللهج بالشيء والولوع به ، أي : كفوا أنفسكم عن أتباع ما تدفع إليه عاداتها .

٣٦٠ ــ وقال عليه السلام: لَا تُظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءاً وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلاً.

٣٦١ ــ وقال عليه السلام: إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللهِ، سُبْحَانَهُ، حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ فَإِنَّ اللهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ[(١)] فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْأُخْرَى.

٣٦٢ ــ وقال عليه السلام: مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ الْمِرَاءَ[(٢)].

٣٦٣ ــ وقال عليه السلام: مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ الْإِمْكَانِ وَالْأَنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ[(٣)].

٣٦٤ ــ وقال عليه السلام: لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَكُونُ فَفِي الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغُلٌ[(٤)].

---

(١) الحاجتان: الصلاة على النبي وحاجتك، والأولى مقبولة مجابة قطعاً.

(٢) ضن: بخل، والمراء: الجدال في غير حق، وفي تركه صون للعرض عن الطعن.

(٣) الخرق ــ بالضم ــ: الحمق وضد الرفق، والأناة: التأني، والفرصة: ما يمكنك من مطلوبك، ومن الحكم ألا تتعجل حتى تتمكن، وإذا تمكنت فلا تمهل.

(٤) لا تتمن من الأمور بعيدها، فكفاك من قريبها ما يشغلك.

٣٦٥ ـ وقال عليه السلام: الْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ، وَالاعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ[١] وَكَفَى أَدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ.

٣٦٦ ـ وقال عليه السلام: الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ: فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ: فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلاَّ ارْتَحَلَ عَنْهُ[٢].

٣٦٧ ـ وقال عليه السلام: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ[٣]! قُلْعَتُهَا أَحْظَى مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا[٤]، وَبُلْغَتُهَا أَزْكَى مِنْ ثَرْوَتِهَا[٥]. حُكِمَ عَلَى مُكْثِرٍ بِالْفَاقَةِ[٦]، وَأُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا بِالرَّاحَةِ[٧]. وَمَنْ رَاقَهُ زِبْرِجُهَا أَعْقَبَتْ نَاظِرَيْهِ كَمَهاً[٨]، وَمَنِ اسْتَشْعَرَ الشَّغَفَ بِهَا مَلأَتْ ضَمِيرَهُ

---

(١) الاعتبار: الاتعاظ بما يحصل للغير ويترتب على اعماله.

(٢) العلم يطلب العمل ويناديه: فان وافق العمل العلم وإلا ذهب العلم، فحافظ العلم العمل.

(٣) الحطام ـ كغراب ـ: ما تكسر من يبس النبات، و «موبىء» اي: ذو وباء مهلك، ومرعاه: محل رعيه والتناول منه.

(٤) القلعة ـ بالضم ـ: عدم سكونك للتوطن، و «أحظى» اي: اسعد.

(٥) البلغة ـ بالضم ـ: مقدار ما يتبلغ به من القوت.

(٦) المكثر بالدنيا حكم الله عليه بالفقر؛ لأنه كلما أكثر زاد طمعه وطلبه، فهو في فقر دائم الى ما يطمع فيه.

(٧) غني ـ كرضي ـ: استغنى: وغنى القلب عن الدنيا راحة تامة.

(٨) الزبرج ـ بكسر فسكون فكسر ـ: الزينة، وراقه: أعجبه وحسن في عينه، والكمه ـ محركة ـ العمى؛ فمن نظر لزينتها بعين الاستحسان أعمت عينيه عن الحق.

أَشْجَانًا [١]. لَهُنَّ رَقْصٌ عَلَى سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ [٢] هَمٌّ يَشْغَلُهُ، وَهَمٌّ يَحْزُنُهُ، كَذٰلِكَ حَتَّى يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ فَيُلْقَى بِالْفَضَاءِ [٣] مُنْقَطِعاً أَبْهَرَاهُ، هَيِّناً عَلَى اللهِ فَنَاؤُهُ، وَعَلَى الْاِخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ [٤]، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الاِعْتِبَارِ وَيَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الْاِضْطِرَارِ [٥]، وَيَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ وَالْإِبْغَاضِ إِنْ قِيلَ أَثْرَى قِيلَ أَكْدَى [٦]! وَإِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ! هٰذَا وَلَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ [٧].

٣٦٨ ـ وقال عليه السلام: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ [٨] وَحِيَاشَةً لَهُمْ إِلَى

---

(١) الشغف ـ بالغين محركة ـ: الولوع وشدة التعلق، والأشجان: الاحزان.

(٢) رقص ـ بالفتح وبالتحريك ـ: حركة واثب، وسويداء القلب: حبته و «لهن» اي: للأشجان فهي تلعب بقلبه.

(٣) الكظم ـ محركة ـ: مخرج النفس، اي: حتى يخنقه الموت فيطرح بالفضاء. والأبهران: وريدا العنق، وانقطاعها: كناية عن الهلاك.

(٤) إلقاؤه: طرحه في قبره.

(٥) اي: يأخذ من القوت ما يكفي بطن المضطر، وهو ما يزيل الضرورة.

(٦) بيان لحال الانسان في الدنيا، فلا يقال «فلان أثرى» ـ اي: استغنى ـ حتى يسمع بعد مدة بأنه أكدى ـ اي: افتقر ـ وصف لقلب الحال.

(٧) أبلس: يئس وتحير؛ ويوم الحيرة: يوم القيامة.

(٨) ذيادة ـ بالذال ـ أي: معنا لهم عن المعاصي الجالبة للنقم.

جَنَّتِهِ[1] .

٣٦٩ ـ وقال عليه السلام : يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ ، وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى ، سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ : مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ ، يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا ، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا ، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ : فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولٰئِكَ فِتْنَةً تَتْرُكَ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ وَقَدْ فَعَلَ ، وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ .

٣٧٠ ـ وروي أنه عليه السلام قلما اعتدل به المنبر إلا قال أمام الخطبة : أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللهَ فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُو ، وَلَا تُرِكَ سُدًى فَيَلْغُو ![2] وَمَا دُنْيَاهُ الَّتِي تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلَفٍ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِي قَبَّحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ ، وَمَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ كَالْآخَرِ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدْنَى سُهْمَتِهِ[3]

---

(١) حياشة : من « حاش الصيد » جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحبالة ويسوقه اليها ليصيده ، أي : سوقا الى جنته .

(٢) لها : تلهى بلذاته ، ولغا : أتى باللغو ، وهو مالا فائدة فيه .

(٣) السهمة ـ بالضم ـ : النصيب ، وأدنى حظ من الآخر أفضل من أعلاه في الدنيا ، والفرق بين الباقي والفاني ـ وإن كان الأول قليلا والثاني كثير ـ لا يخفى .

٣٧١ ـ وقال عليه السلام : لَاشَرَفَ أَعْلَى مِنَ الإِسْلَامِ ، وَلَا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى ، وَلَا مَعْقِلَ أَحْسَنُ مِنَ الْوَرَعِ ، وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَلَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ ، وَلَا مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَا بِالْقُوتِ ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدِ انْتَظَمَ الرَّاحَةَ (١) وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ . وَالرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ (٢) وَمَطِيَّةُ التَّعَبِ ، وَالْحِرْصُ وَالْكِبْرُ وَالْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ ، وَالشَّرُّ جَامِعُ مَسَاوِي الْعُيُوبِ .

٣٧٢ ـ وقال عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري : يَاجَابِرُ ، قِوَامُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ : عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ ، وَجَاهِلٍ لَايَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَجَوَادٍ لَا يَبْخَلُ بِمَعْرُوفِهِ ، وَفَقِيرٍ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ ، فَاذَا ضَيَّعَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ (٣) ، وَإِذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ (٤) .

---

(١) من قولك « انتظمه بالرمح » أي : أنفذه فيه كأنه ظفر بالراحة وتبو أنزل الخفض ـ أي : السعة ـ والدعة ـ بالتحريك ـ كالخفض ، والاضافة على حد « كرى النوم » .

(٢) الرغبة : الطمع ، والنصب ـ بالتحريك ـ : أشد التعب .

(٣) لاستواء العلم والجهل في نظره .

(٤) لأنه يضطر للخيانة أو الكذب حتى ينال بها من الغنى شيئاً .

يَاجَابِرُ ، مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إلَيْهِ ، فَمَنْ قَامَ لِلهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ وَالْبَقَاء[1] وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ وَالْفَنَاء .

٣٧٣ ـ وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه ـ وكان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الأشعث ـ أنه قال فيما كان يحض به الناس على الجهاد : إني سمعت عليا عليه السلام يقول يوم لقينا أهل الشام :

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَراً يُدْعَى إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِيءَ[2] ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى ، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ .

٣٧٤ ــ وفي كلام آخر له يجري هـذا المجرى : فَمِنْهُمُ الْمُنْكِرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ الْخَيْرِ ،

---

(١) «عرضها» أي : جعلها عرضة ، أي نصبها له .

(٢) بريء من الاثم وسلم من العقاب ، إن كان عاجزاً .

وَمِنْهُمْ الْمُنْكِرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ وَمُضَيِّعٌ خَصْلَةً ، وَمِنْهُمُ الْمُنْكِرُ بِقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَذٰلِكَ الَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ[1] ، وَمِنْهُمْ تَارِكٌ لِإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ فَذٰلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ . وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ[2] وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ .

٣٧٥ – وعن أبي جحيفة قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول أَوَّلُ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَراً قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَأَسْفَلُهُ أَعْلَاهُ .

٣٧٦ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ

---

(١) « أشرف الخلصتين » : من إضافة الصفة للموصوف ، أي الخلصتين لفائقتين في الشرف عن الثالثة ، وليس من قبيل إضافة اسم التفضيل إلى متعدد.

(٢) النفثة كالنفخة : يراد ما يمازج النفس من الريق عند النفخ .

خَفِيفٌ وَبِيءٌ[1] .

٣٧٧ ـ وقال عليه السلام : لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللّٰهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّٰهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) وَلَا تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هٰذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ[2] لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) .

٣٧٨ ـ وقال عليه السلام : الْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ .

٣٧٩ ـ وقال عليه السلام : الرِّزْقُ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ ، وَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ ! كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ عَلَى مَا فِيهِ ، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَإِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ لِمَا لَيْسَ لَكَ ، وَلَنْ يَسْبِقَكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ ، وَلَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ .

---

(١) مريء : من « مرأ الطعام » ـ مثلثة الراء ـ مراءة ، فهو مريء ، أي هنيء حميد العاقبة ، والحق وإن ثقل إلا أنه حميد العاقبة ، والباطل وإن خف فهو وبيء وخيم العاقبة ؛ وتقول : أرض وبيئة ، أي كثيرة الوباء وهو المرض العام .

(٢) روح الله ـ بالفتح ـ : رحمته .

قال الرضي : وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب ، إلا أنه ههنا أوضح وأشرح ، فلذلك كررناه على القاعدة المقررة في أول الكتاب .

٣٨٠ ـ وقال عليه السلام : رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ ، وَمَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ[1] .

٣٨١ ـ وقال عليه السلام : الكَلَامُ فِي وِثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ[2] فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ وِثَاقَهُ ، فَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وَجَلَبَتْ نِقْمَةً .

٣٨٢ ـ وقال عليه السلام : لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ فَإِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ القِيَامَةِ .

٣٨٣ ـ وقال عليه السلام : اِحْذَرْ أَنْ يَرَاكَ اللهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ

---

(١) ربما يستقبل شخص يوماً فيموت ، ولا يستدبره ـ أي : لا يعيش بعده فيخلفه وراءه ـ والمغبوط : المنظور إلى نعمته ، وقد يكون المرء كذلك في أول الليل فيموت في آخره فتقوم بواكيه : جمع باكية .

(٢) الوثاق ـ كسحاب ـ : ما يشد به ويربط ، أي : أنت مالك لكلامك قبل أن يصدر عنك ، فاذا تكلمت به صرت مملوكا له ؛ فأما نفعك أو ضرك ، وخزن ـ كنصر ـ : حفظ ومنع الغير من الوصول إلى مخزونه ، والورق ـ بفتح فكسر ـ : الفضة .

وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ[1] فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وَإِذَا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ ، وَإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ .

٣٨٤ ــ وقال عليه السلام : الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا تُعَايِنُ مِنْهَا جَهْلٌ[2] وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ إِذَا وَثِقْتَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ ، وَالطُّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الِاخْتِبَارِ عَجْزٌ .

٣٨٥ ــ وقال عليه السلام : مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا ، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا .

٣٨٦ ــ وقال عليه السلام : مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ[3] .

٣٨٧ ــ وقال عليه السلام : مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ ، وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ[4] ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ فَهُوَ مَحْقُورٌ ، وَكُلُّ

---

(١) فقده يفقده ؛ أي عدمه فلم يجده ، والكلام من الكناية . أي : إن الله يراك في الحالين فاحذر أن تعصيه ولا تطعيه .

(٢) تعاين من الدنيا تقلبا وتحولا لا ينقطع ولا يختص بخير ولا شرير ، فالثقة بها عمى عما تشاهد منها ، والغبن ــ بالفتح ــ الخسارة الفاحشة ، وعند اليقين بثواب الله لاخسارة أفحش من الحرمان بالتقصير في العمل مع القدرة عليه .

(٣) : إن الذي يطلب ويعمل لما يطلبه ويداوم على ذلك لا بد أن يناله أو ينال بعضاً منه .

(٤) « ما » استفهامية إنكارية ؛ أي لا خير فيما يسميه أهل الشهوة خيراً : من الكسب بغير الحق ، والتغلب بغير شرع ، حيث إن وراء ذلك النار . ولا شر فيما يدعوه الجهلة شراً : من الفقر ، أو الحرمان مع الوقوف عند الاستقامة ، فوراء ذلك جنة ، والمحقور : الحقير المحقر .

بلَاَء دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ .

٣٨٨ ـ وقال عليه السلام : أَلا وَإِنَّ مِنَ الْبَلاَءِ الْفَاقَةَ، وَأَشَدُّ مِنَ الْفَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ ، وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ ، أَلا وَإِنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةُ الْمَالِ . وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ الْمَالِ صِحَّةُ الْبَدَنِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ .

٣٨٩ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ . وفي رواية أُخْرَى : مَنْ فَاتَهُ حَسَبُ نَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعْهُ حَسَبُ آبَائِهِ .

٣٩٠ ـ وقال عليه السلام : لِلْمُؤْمِنِ ثَلاَثُ سَاعَاتٍ : فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ ، وَسَاعَةٌ يَرُمُّ مَعَاشَهُ[1] وَسَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً إِلَّا فِي ثَلاَثٍ : مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ ، أَوْ خُطْوَةٍ فِي مَعَادٍ أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ .

٣٩١ ـ وقال عليه السلام : ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبَصِّرْكَ اللَّهُ عَوْرَاتِهَا ، وَلا تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ !

---

(١) يرم ـ بكسر الراء وضمها ـ أي يصلح ، والمرمة ـ بالفتح ـ الاصلاح والمعاد : ما تعود إليه في القيامة .

٣٩٢ ـ وقال عليه السلام: تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ.

٣٩٣ ـ وقال عليه السلام: خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ[١].

٣٩٤ ـ وقال عليه السلام: رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ[٢].

٣٩٥ ـ وقال عليه السلام: كُلُّ مُقْتَصَرٍ عَلَيْهِ كَافٍ[٣].

٣٩٦ ـ الْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّنِيَّةُ! وَالتَّقَلُّلُ وَلَا التَّوَسُّلُ[٤] وَمَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِداً لَمْ يُعْطَ قَائِماً[٥]، وَالدَّهْرُ يَوْمَانِ. يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطَرْ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ!

٣٩٧ ـ وقال عليه السلام: نِعْمَ الطِّيبُ الْمِسْكُ خَفِيفٌ مَحْمِلُهُ، عَطِرٌ رِيحُهُ.

---

(١) أي فان رغبت في طلب ما تولى وذهب عنك منها فليكن طلبك جميلا واقفاً بك عند الحق.

(٢) الصول ـ بالفتح ـ السطوة.

(٣) مقتصر ـ بفتح الصاد ـ اسم مفعول، وإذا اقتصرت على شيء فقنعت به فقد كفاك.

(٤) «المنية» أي الموت؛ يكون ولا يكون ارتكاب الدنية كالتذلل والنفاق، و «التقلل» أي الاكتفاء بالقليل يرضى به الشريف ولا يرضى بالتوسل إلى الناس.

(٥) كنى بالقعود عن سهولة الطلب، وبالقيام عن التعسف فيه.

٣٩٨ ـ وقال عليه السلام : ضَعْ فَخْرَكَ ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ ، وَاذْكُرْ قَبْرَكَ .

٣٩٩ ـ وقال عليه السلام : إنَّ لِلْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ حَقّاً ، وَإنَّ لِلْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ حَقّاً ، فَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، إلَّا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ ، وَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ ، وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ ، وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ .

٤٠٠ ـ وقال عليه السلام : الْعَيْنُ حَقٌّ ، وَالرُّقَى حَقٌّ ، وَالسِّحْرُ حَقٌّ ، وَالْفَأْلُ حَقٌّ ، وَالطِّيَرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ ، وَالْعَدْوَى لَيْسَتْ بِحَقٍّ ، وَالطِّيبُ نُشْرَةٌ ، وَالْعَسَلُ نُشْرَةٌ ، وَالرُّكُوبُ نُشْرَةٌ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْخُضْرَةِ نُشْرَةٌ .

٤٠١ ـ وقال عليه السلام : مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ (١) .

٤٠٢ ـ وقال عليه السلامُ : لبعض مخاطبيه — وقد تكلم بكلمة

---

(١) المنافرة في الاخلاق والمباعدة فيها مجلبة للعداوات ، ومن عاداه الناس وقع في غوائلهم ، فالمقاربة لهم في اخلاقهم حافظة لمودتهم ، لكن لا تجوز الموافقة في غير حق .

يستصغر مثله عن قول مثلها [1] : لَقَدْ طِرْتَ شَكِيراً ، وَهَدَرْتَ سَقْباً .

قال الرضي : والشكير هنا : أول ماينبت من ريش الطائر قبل أن يقوى ويستحصف [2] والسقب : الصغير من الابل ، ولا يهدر إلا بعد أن يستفحل .

٤٠٣ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ الْحِيَلُ [3]

٤٠٤ ـ وقال عليه السلام : وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ « لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ » ـ إِنَّا لَانَمْلِكُ مَعَ ٱللّٰهِ شَيْئاً ، وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَّكَنَا فَمَتَى مَلَّكَنَا مَاهُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا [4] وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا .

٤٠٥ ـ وقال عليه السلام لعمار بن ياسر ، وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاما : دَعْهُ يَا عَمَّارُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَاقَارَبَهُ مِنَ

---

(١) كلمة عظيمة : مثله في صغره قاصر عن قول مثلها .

(٢) كأنه قال : لقد طرت وانت فرخ لم تنهض .

(٣) أومأ : أشار ، والمراد طلب وأراد ، والمتفاوت : المتباعد ، اي : من طلب تحصيل المتباعدات وضم بعضها الى بعض خذلته الحيل فيما يريد فلم ينجح فيه .

(٤) اي : متى ملكنا القوة على العمل – وهي في قبضته اكثر ممـا هي في قبضتنا – فرض علينا العمل .

الدُّنْيَا ، وَعَلَى عَمْدٍ لَبَسَ عَلَى نَفْسِهِ[1] لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَاذِراً لِسَقَطَاتِهِ .

٤٠٦ ـ وقال عليه السلام : مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعُ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللهِ ! وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ اتِّكَالاً عَلَى اللهِ[2] .

٤٠٧ ـ وقال عليه السلام : مَا اسْتَوْدَعَ اللهُ امْرَأً عَقْلاً إِلَّا اسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْماً[3] !

٤٠٨ ـ وقال عليه السلام : مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ .

٤٠٩ ـ وقال عليه السلام : الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ[4] .

٤١٠ ـ وقال عليه السلام : التُّقَى رَئِيسُ الْأَخْلَاقِ .

٤١١ ـ وقال عليه السلام : لَا تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ ، وَبَلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ[5] .

---

(١) « على عمد » متعلق بلبس ، اي : أوقع نفسه في الشبهة عامداً لتكون الشبهة عذراً له في زلاته .

(٢) لان تيه الفقير وأنفته على الغني أدل على كمال اليقين بالله ، فانه بذلك قد أمات طمعاً ومحا خوفاً ، وصابر في بأس شديد ، ولا شيء من هذا في تواضع الغني

(٣) أي : إن الله لا يهب العقل إلا حيث يريد النجاة ، فمتى أعطى شخصاً عقلاً عقلاً خلصه به من شقاء الدارين .

(٤) أي : ما يتناوله البصر يحفظ في القلب كأنه يكتب فيه .

(٥) الذرب : الحدة والتسديد : التقويم والتثقيف ، أي لا تطل لسانك على من علمك النطق ، ولا تظهر بلاغتك على من ثقفك وقوم عقلك .

٤١٢ – وقال عليه السلام : كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ .

٤١٣ – وقال عليه السلام : مَنْ صَبَرَ صَبْرَ الْأَحْرَارِ ، وَإِلَّا سَلَا سُلُوَّ الْأَغْمَارِ [1] .

٤١٤ – وفي خبر آخر أنه عليه السلام قال للأشعث بن قيس معزياً : إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ الْأَكَارِمِ ، وَإِلَّا سَلَوْتَ سُلُوَّ الْبَهَائِمِ .

٤١٥ – وقال عليه السلام في صفة الدنيا : تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لِأَوْلِيَائِهِ ، وَلَا عِقَاباً لِأَعْدَائِهِ ، وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ بَيْنَاهُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا [2] .

٤١٦ – وقال لابنه الحسن عليه السلام : لَا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّكَ تُخَلِّفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ : إِمَّا رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ، وَإِمَّا رَجُلٍ عَمِلَ فيه بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، وَلَيْسَ أَحَدُ هٰذَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ .

قال الرضي : ويروى هذا الكلام على وجه آخر وهو :

---

(١) الأغمار : جمع غمر – مثلث الأول – وهو الجاهل لم يجرب الأمور ، ومن فاته شرف الجلد والصبر فلا بد يوماً أن يسلو بطول المدة ، فالصبر أولى .

(٢) أي : بيناهم قد حلوا يفاجئهم صائح الأجل وهو سائقهم بالرحيل فارتحلوا .

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلٍ بَعْدَكَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ اللهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، أَوْ رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَشَقِيتَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ، وَلَيْسَ أَحَدُ هٰذَيْنِ أَهْلاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللهِ، وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللهِ.

٤١٧ — وقال عليه السلام لقائل قال بحضرته «أَسْتَغْفِرُ اللهَ» ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ أَتَدْرِي مَا الاِسْتِغْفَارُ؟ الاِسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ، وَهُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ: أَوَّلُهَا النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى، وَالثَّانِي الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً، وَالثَّالِثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ، وَالرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا، وَالْخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ (١) فَتُذِيبَهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ، وَالسَّادِسُ أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَقُولُ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ».

٤١٨ — وقال عليه السلام: الْحِلْمُ عَشِيرَةٌ (٢).

---

(١) السحت — بالضم — : المال من كسب حرام.

(٢) خلق الحلم يجمع اليك من معونة الناس لك ما يجتمع لك بالعشيرة، لأنه يوليك محبة الناس فكأنه عشيرة.

٤١٩ - وقال عليه السلام: مِسْكِينُ ابْنُ آدَمَ، مَكْتُومُ الأَجَلِ مَكْنُونُ الْعِلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ تُؤْلِمُهُ الْبَقَّةُ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ، وَتُنْتِنُهُ الْعَرْقَةُ [١].

٤٢٠ - وروي أنه عليه السلام كان جالساً في أصحابه، فمرت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال عليه السلام: إِنَّ أَبْصَارَ هٰذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ [٢]، وَإِنَّ ذٰلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلَامِسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَةٍ، فقال رجل من الخوارج «قاتله الله كافراً ما أفقهه» فوثب القوم ليقتلوه، فقال عليه السلام: رُوَيْداً إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ [٣]!

٤٢١ - وقال عليه السلام: كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ.

٤٢٢ - وقال عليه السلام: افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَداً

---

(١) «مكنون» أي: مستور العلل والأمراض لا يعلم من أين تأتيه: إذا عضته بقة تألم، وقد يموت بجرعة ماء إذا شرق بها، وتنتن ريحه اذا عرق عرقه.

(٢) جمع طامح او طامحة وتقول: طمح البصر، إذا ارتفع، وطمح: أبعد في الطلب. «وإن ذلك» أي: طموح الأبصار سبب هبابها - بالفتح -: أي: هيجان هذه الفحول لملامسة الأنثى.

(٣) إن الخارجي سب أمير المؤمنين بالفكر في الكلمة السابقة، فأمير المؤمنين لم يسمح بقتله ويقول: إما أن أسبه أو أعفو عن ذنبه.

أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَاللهُ كَذٰلِكَ . إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلاً فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ [1] .

٤٢٣ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلاَنِيَتَهُ ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَحْسَنَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .

٤٢٤ ـ وقال عليه السلام : الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ ، وَالْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ ، وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ .

٤٢٥ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ لِلهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمُ اللهُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا [2] ، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ .

٤٢٦ ـ وقال عليه السلام : لاَ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ الْعَافِيَةِ ، وَالْغِنَى ، بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافًى إِذْ سَقِمَ ، وَبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيّاً إِذِ افْتَقَرَ .

٤٢٧ ـ وقال عليه السلام : مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّهُ شَكَاهَا إِلَى اللهِ ، وَمَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَا اللهَ .

---

(١) ما تركتموه من الخير يقوم أهله بفعله بدلكم ، وما تركتموه من الشر يؤديه عنكم أهله . فلا تختاروا أن تكونوا للشر أهلاً ، ولا ان يكون عنكم في الخير بدلاً .

(٢) « يقرها » أي : يبقيها ويحفظها مدة بذلهم لها .

٤٢٨ ـ وقال عليه السلام في بعض الاعياد : إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ ٱللهُ صِيَامَهُ وَشَكَرَ قِيَامَهُ ، وَكُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى ٱللهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ .

٤٢٩ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالاً فِي غَيْرِ طَاعَةِ ٱللهِ فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ وَدَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ .

٤٣٠ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً (١) وَأَخْيَبَهُمْ سَعْياً رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ مَالِهِ ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ ، وَقَدِمَ عَلَى الْآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ .

٤٣١ ـ وقال عليه السلام : الرِّزْقُ رِزْقَانِ : طَالِبٌ ، وَمَطْلُوبٌ فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا ، وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا .

٤٣٢ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا ، وَاشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا (٢)

---

(١) « الصفقة » أي البيعة ، أي : أخسرهم بيعاً وأشدهم خيبة في سعيه ذلك الرجل الذي أخلق بدنه : أي أبلاه ونهكه في طلب المال ولم يحصله ، والتبعة ـ بفتح فكسر ـ حق الله وحق الناس عنده يطالب به .

(٢) إضافة « الآجل » إلى « الدنيا » لأنه يأتي بعدها ، او لأنه عاقبة الأعمال فيها والمراد منه بعد الموت .

إذَا اُشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا ، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ[1] ، وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ وَرَأَوْا اُسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اُسْتِقْلاَلاً ، وَدَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتاً ، أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ وَسَلِمُ مَا عَادَى النَّاسُ[2] ! بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وَبِهِ عَلِمُوا ، وَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا ، لاَ يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ ، وَلاَ مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ[3] .

٤٣٣ ـ وقال عليه السلام : اُذْكُرُوا اُنْقِطَاعَ اللَّذَّاتِ ، وَبَقَاءَ التَّبِعَاتِ .

٤٣٤ ـ وقال عليه السلام : اُخْبُرْ تَقْلِهْ[4] .

قال الرضي : ومن الناس من يروي هذا للرسول صلى الله عليه وآله

---

(١) أماتوا قوة الشهوة والغضب التي لا يخشون ان تميت فضائلهم ، وتركوا اللذات العاجلة التي ستتركهم ، ورأوا ان الكثير من هذه اللذات قليل في جانب الأجر على تركه ، وإدراكه فوات؛ لأنه يعقب حسرات العقاب .

(٢) الناس يسالمون الشهوات ، وأولياء الله يحاربونها ، والناس يحاربون العفة والعدالة ، وأولياء الله يسالمونها وينصرونها .

(٣) أي مرجو فوق ثواب الله ؟ وأي مخوف اعظم من غضب الله ؟

(٤) اخبر ـ بضم الباء ـ أمر من « خبرته » من باب قتل ـ أي : علمته ، و « تقله » مضارع مجزوم بعد الأمر ، وهاؤه للوقف من « قلاه يقليه » كرماه يرميه ـ بمعنى أبغضه ، اي : إذا أعجبك ظاهر الشخص فاختبره فربما وجدت فيه ما لا يسرك فتبغضه ، ووجه ما اختاره المأمون أن المحبة ستر للعيوب ، فـاذا أبغضت شخصاً امكنك ان تعلم حاله كما هو .

وسلم ومما يقوي أنه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب عن ابن الأعرابي ، قال المأمون : لولا أن عليا قال « اخبر تقله » لقلت : أَقْلُهْ تَخْبُرْ .

٤٣٥ — وقال عليه السلام : مَا كَانَ ٱللهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ ، وَلَا لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْإِجَابَةِ [1] وَلَا لِيَفْتَحَ لِعَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ .

٤٣٦ ـ وقال عليه السلام : أَوْلَى النَّاسِ بِالْكَرَمِ مَنْ عُرِفَتْ بِهِ الْكِرَامُ .

٤٣٧ ـ وسئل عليه السلام : أيهما أفضل : العدل، أو الجود؟ فقال عليه السلام : الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا ، وَالْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا ، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا .

٤٣٨ — وقال عليه السلام : النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا .

٤٣٩ — وقال عليه السلام : الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ : قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ، وَلَا

---

(١) تكرر الكلام في ان الدعاء والاجابة والاستغفار والمغفرة إذا صدقت النيات وطابق الرجاء العمل ، وإلا فليست من جانب الله في شيء ، إلا ان تخرق سعة فضله سوابق سنته .

تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي [1] وَلَمْ يَفْرحْ بِالآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ .

٤٤٠ — وقال عليه السلام: مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ [2] .

٤٤١ ـ وقال عليه السلام : الْوِلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ [3] .

٤٤٢ ـ وقال عليه السلام : لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ [4] ، خَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ .

٤٤٣ — وقال عليه السلام ، وقد جاءه نعي الأشتر رحمه الله : مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ [5] وَاللهِ لَوْ كَانَ جَبَلاً لَكَانَ فِنْداً وَلَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً : لَا يَرْتَقِيهُ الْحَافِرُ ، وَلَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ .

قال الرضي : والفند : المفرد من الجبال .

٤٤٤ ـ وقال عليه السلام : قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ

---

(١) أي : لم يحزن على ما نفذ به القضاء .

(٢) تقدمت هذه الجملة بنصها ، ومعناها قد يجمع العازم على أمر فاذا نام وقام وجد الانحلال في عزيمته، أو ثم يغلبه النوم عن إمضاء عزيمته .

(٣) المضامير : جمع مضمار ، وهو المكان الذي تضمر فيه الخيل للسباق ، والولايات اشبه بالمضامير ؛ إذ يتبين فيها الجواد من البرذون .

(٤) يقول : كل البلاد تصلح سكناً ، وإنما أفضلها ما حملك ، أي : كنت فيه على راحة ، فكأنك محمول عليه .

(٥) مالك : هو الأشتر النخعي ، والفند ـ بكسر الفاء ـ : الجبل العظيم ، والجملتان بعده كناية عن رفعته وامتناع همته ، و« أوفى عليه » وصل اليه .

مَمْلُولٍ مِنْهُ .

٤٤٥ ــ وقال عليه السلام : إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِقَةٌ فَانْتَظِرُوا أَخَوَاتِهَا [١] .

٤٤٦ ــ وقال عليه السلام لغالب صعصعة أبي الفرزدق ، في كلام دار بينهما : مَا فَعَلَتْ إِبِلُكَ الْكَثِيرَةُ ؟ قَالَ : ذَعْذَعَتْهَا الْحُقُوقُ [٢] يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فقال عليه السلام : ذٰلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا .

٤٤٧ ــ وقال عليه السلام : مَنِ اتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدِ ارْتَطَمَ فِي الرِّبَا [٣] .

٤٤٨ ــ وقال عليه السلام : مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ ابْتَلَاهُ اللهُ بِكِبَارِهَا [٤] .

٤٤٩ ــ وقال عليه السلام : مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ .

---

(١) الخلة ــ بالفتح ــ : الخصلة ، أي إذا أعجبك خلق من شخص فلا تعجل بالركون إليه وانتظر سائر الخلال .

(٢) ذعذع المال : فرقه وبدده ؛ أي فرق إبلي حقوق الزكاة والصدقات ، وذلك أحمد سبلها ــ جمع سبيل ــ أي أفضل طرق إفنائها .

(٣) ارتطم : وقع في الورطة فلم يمكنه الخلاص ، والتاجر إذا لم يكن على علم بالفقه لا يأمن الوقوع في الربا جهلاً .

(٤) من تفاقم به الجزع ولم يحمل منه الصبر عند المصائب الخفيفة حمله الهم إلى ما هو أعظم منها .

٤٥٠ ــ وقال عليه السلام: مَا مَزَحَ امْرُؤٌ مَزْحَةً إلّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً [١].

٤٥١ ــ وقال عليه السلام: زُهْدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ [٢]، وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ.

٤٥٢ ــ وقال عليه السلام: الْغِنَى وَالْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْضِ عَلَى اللهِ [٣].

٤٥٣ ــ وقال عليه السلام: مَا زَالَ الزُّبَيْرُ رَجُلاً مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ حَتَّى نَشَأَ ابْنُهُ الْمَشْئُومُ عَبْدُ اللهِ.

٤٥٤ ــ وقال عليه السلام: مَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ: أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ، وَلَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ، وَلَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ.

٤٥٥ ــ وسئل من أشعر الشعراء؟ وقال عليه السلام: إنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعْرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا [٤] فَإِنْ كَانَ وَلا

---

(١) المزح والمزاحة والمزاح: بمعنى واحد، وهو المضاحكة بقول أو فعل، وأغلبه لا يخلو من سخرية، ومج الماء من فيه: رماه، وكأن المازح يرمي بعقله ويقذف به في مطارح الضياع.

(٢) بعدك عمن يتقرب منك ويلتمس مودتك تضييع لحظ من الخير يصادفك وأنت تلوى عنه، وتقربك لمن يبتعد عنك ذل ظاهر.

(٣) العرض على الله يوم القيامة، وهناك يظهر الغنى بالسعادة الحقيقية والفقر بالشقاء الحقيقي.

(٤) الحلبة ــ بالفتح ــ: القطعة من الخيل تجتمع للسباق، عبر بها عن الطريقة الواحدة، والقصة: ما ينصبه طلبة السباق حتى إذا سبق سابق أخذه ليعلم

بُدَّ فَالْمَلِكُ الضِّلِّيلُ (يريد امرأ القيس) .

٤٥٦ ـ وقال عليه السلام : أَلا حُرٌّ يَدَعُ هٰذِهِ اللُّمَاظَةَ لِأَهْلِهَا [١] ؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ ، فَلاَ تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا .

٤٥٧ ـ وقال عليه السلام : مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ [٢] : طَالِبُ عِلْمٍ ، وَطَالِبُ دُنْيَا .

٤٥٨ ـ وقال عليه السلام : الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ ، وَأَنْ لَا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ [٣] وَأَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ .

٤٥٩ ـ وقال عليه السلام : يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ [٤] حَتَّى تَكُونَ الْآفَةُ فِي التَّدْبِيرِ .

قال الرضي : وقد مضى هذا المعنى فيما تقدم برواية تخالف هذه الألفاظ .

بلا نزاع ، وكانوا يجعلون هذا من قصب ؛ أي لم يكن كلامهم في مقصد واحد ، بل ذهب بعضهم مذهب الترغيب ، وآخر مذهب الترهيب ، وثالث مذهب الغزل والتشبيب ، والضليل : من الضلال ، لأنه كان فاسقاً .

(١) اللماظة ـ بالضم ـ بقية الطعام في الفم ، يريد بها الدنيا ، اي لا يوجد حر يترك هذا الشيء الدنيء لاهله .

(٢) المنهوم : المفرط في الشهوة ، وأصله في شهوة الطعام .

(٣) أي لا تقول أزيد مما تفعل ، وحديث الغير : الرواية عنه ، والتقوى فيه : عدم الافتراء ، أو حديث الغير : التكلم في صفاته ، نهي عن الغيبة .

(٤) المقدار : القدر الالهي ، والتقدير : القياس .

٤٦٠ ـ وقال عليه السلام : الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ تَوْءَمَانِ يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ الْهِمَّةِ [١] .

٤٦١ ـ وقال عليه السلام : الْغِيبَةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ [٢] .

٤٦٢ ـ وقال عليه السلام : رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ .

٤٦٣ ـ وقال عليه السلام : الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا ، وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا [٣] .

٤٦٤ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مُرْوَداً يَجْرُونَ فِيهِ ، وَلَوْ قَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمُ الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ [٤] .

قال الرضي : والمرود هنا مفعل من الإرواد ، وهو الإمهال والإنظار ، وهذا من أفصح الكلام وأغربه ، فكأنه عليه السلام شبه المهلة التي هم

---

(١) الحلم ـ بالكسر ـ حبس النفس عند الغضب ، والأناة : يريد بها التأني ، والتوءمان : المولودان في بطن واحد ، والتشبيه في الاقتران والتولد من أصل واحد .

(٢) الغيبة ـ بالكسر ـ : ذكرك الآخر بما يكره وهو غائب ، وهي سلاح العاجز ينتقم به من عدوه ، وهي جهده : أي غاية ما يمكنه .

(٣) خلقت الدنيا سبيلاً الى الآخرة ، ولو خلقت لنفسها لكانت دار خلد .

(٤) مرود ـ بضم فسكون ففتح ـ : فسره صاحب الكتاب بالمهلة ، وهي مدة اتحادهم ، فلو اختلفوا ثم كادتهم ـ اي مكرت بهم ، او حاربتهم ـ الضباع دون الاسود لقهرتهم .

فيها بالمضمار الذي يجرون فيـه إلى الغاية ، فاذا بلغوا منقطعهـا انتقض نظامهم بعدها .

٤٦٥ — وقال عليه السلام في مدح الأنصار : هُمْ وَاللهِ رَبُّوا الإِسْلَامَ كَمَا يُرَبَّى الْفِلْوُ مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ وَأَلْسِنَتِهِمُ السِّلَاطِ [١] .

٤٦٦ — وقال عليه السلام : العين وكاء السه [٢] .

قال الرضي : وهـــذه من الاستعارات العجيبة ، كأنه يشبه السه بالوعاء ، والعين بالوكاء ، فإذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء ، وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد رواه قوم

---

(١) « ربوا » من التربية والانماء ، والفلو - بالكسر ، او بفتح فضم فتشديد أو بضمتين فتشديد - المهر إذافطم او بلغ السنة ، والغناء - بالفتح ممدوداً - : الغنى ، اي : مع استغنائهم ، و « بأيديهم » متعلق بربوا ، ويقـال : رجل سبط اليدين - بالفتح - اي : سخي والسباط - ككتاب - جمعه ، والسلاط : جمع سليط وهو الشديد واللسان الطويل .

(٢) السه - بفتح السين وتخفيف الهاء - : العجز ، ومؤخر الانسان ، والعين الباصرة . وإنما جعل العجز وعاء لأن الشخص إذا حفظ من خلفه لم يصب من امامه في الأغلب ، فكأنه وعاء الحياة والسلامة إذا حفظ حفظنا ، والباصرة وكاء ذلك الوعاء ؛ أي : رباطه ؛ لأنها تلحظ ما عساه يصل اليه فتنبه العزيمة لدفعـه والتوقي منه ، فاذا أهمل الانسان النظر الى مؤخرات أحواله أدركه العطب . والكلام تمثيل لفائدة العين في حفظ الشخص مما قد يعرض عليه خلفه ، وانها لا تختلف عن فائدتها في حفظه ممـــا يستقبله من امامه وإرشاده الى وجوب التبصر في مظنات الغفلة ، وهذا هو المحمل اللائق بمقام النبي ﷺ أو مقام أمير المؤمنين .

لأمير المؤمنين عليه السلام ، وذكر ذلك المبرد في كتاب « المقتضب » باب « اللفظ بالحروف » وقد تكلمنا على هـذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بـ« محاذات الآثار النبوية » .

٤٦٧ ـ وقال عليه السلام في كلام له : وَوَلِيَهُمْ وَالٍ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ ، حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ [(١)] .

٤٦٨ ـ وقال عليه السلام : يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ [(٢)] يَعَضُّ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذٰلِكَ ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : (وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) تَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ [(٣)] وَتُسْتَذَلُّ الْأَخْيَارُ ، وَيُبَايِعُ الْمُضْطَرُّونَ وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ [(٤)] .

٤٦٩ ـ وقال عليه السلام : يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ ،

---

(١) الجران ـ ككتاب ـ مقدم عنق البعير ، يضرب على الأرض عند الاستراحة كناية عن التمكن . والوالي يريد به النبي ﷺ : و « وليهم » أي : تولى أمورهم وسياسة الشريعة فيهم ، وقال قائل : يريد به عمر بن الخطاب .

(٢) العضوض ـ بالفتح ـ الشديد ، والموسر : الغنى ، ويعض على ما في يده : يمسكه بخلاً على خلاف ما أمره الله في قوله : (ولا تنسوا الفضل بينكم) أي : الاحسان .

(٣) « تنهد » أي : ترفع .

(٤) بيع ـ بكسر ففتح ـ : جمع بيعة ـ بالكسر ـ هيئة البيع ، كالجلسة لهيئة الجلوس .

وَبَاهِتٌ مُفْتَرٍ [1] .

قال الرضي : وهذا مثل قوله عليه السلام : هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ : مُحِبٌّ غَالٍ ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ .

٤٧٠ — وسئل عن التوحيد والعدل فقال عليه السلام : التَّوْحِيدُ أَنْ لَا تَتَوَهَّمَهُ ، وَالْعَدْلُ أَنْ لَا تَتَّهِمَهُ [2] .

٤٧١ — وقال عليه السلام : لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ .

٤٧٢ — وقال عليه السلام في دعاء استسقى به : اللَّهُمَّ أسْقِنَا ذُلُلَ السَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا .

قال الرضي : وهذا من الكلام العجيب الفصاحة ، وذلك أنه عليه السلام شبه السحاب ذوات الرعود والبوارق والرياح والصواعق بالابل الصعاب التي تقمص برحالها [3] وتقص بركبانها ، وشبه السحاب خالية

---

(١) بهته — كمنعه — : قال عليه مالم يفعل ، ومفتر: اسم فاعل من الافتراء .

(٢) الضمير المنصوب لله ؛ فمن توحيده الا تتوهمه ، أي : لا تصوره بوهمك ، فكل موهوم محدود ، والله لا يحد بوهم . واعتقادك بعدله : ألا تتهمه في أفعال بظن عدم الحكمة فيها .

(٣) قمص الفرس وغيره — كضرب ونصر — : رفع يديه وطرحهما معاً وعجن برجليه ، والرحال : جمع رحل ؛ أي إنها تمتنع حتى على رحالها فتقمص لتلقيها . ووقصت به راحلته تقص — كوعد يعد — تقحمت به فكسرت عنقه .

من تلك الروائع[1] بالابل الذلل التي تحتلب طيعة وتقتعد مسمحة[2] .

٤٧٣ ـ وقيل له السلام : لو غيرت شيبك يا أمير المؤمنين ، فقال عليه السلام : الْخِضَابُ زِينَـةٌ وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ ! (يريد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) .

٤٧٤ ـ وقال عليه السلام : مَا الْمُجَاهِدُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَعْظَمَ أَجْراً مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ : لَكَادَ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكاً مِنَ الْمَلاَئِكَةِ .

٤٧٥ ـ وقال عليه السلام : الْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَ يَنْفَدُ .

قال الرضي : وقد روى بعضهم هذا الكلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٤٧٦ ـ وقال عليه السلام لزياد بن أبيه ـ وقد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس وأعمالها ، في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقدم الخراج[3] : أَسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ ، وَاحْذَرِ الْعَسْفَ وَالْحَيْفَ ، فَإِنَّ

---

(١) جمع رائعة ، أي مفزعة .

(٢) طيعة ـ بتشديد الياء ـ : شديدة الطاعة ، والاحتلاب : استخراج اللبن من الضرع ، وتقتعد ـ مبنى للمجهول ـ من أقتعده : اتخذه قعدة ـ بالضم ـ يركبه في جميع حاجاته ، ومسمحة : اسم فاعل « أسمح » أي سمح ـ ككرم ـ بمعنى جاد ، وسماحها مجاز عن اتيان ما يريده الراكب من حسن السير .

(٣) تقدم الخراج : الزيادة فيه .

الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلاَءِ [1] وَالْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ .

٤٧٧ – وقال عليه السلام : أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهِ صَاحِبُهُ .

٤٧٨ – وقال عليه السلام : مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا [2] .

٤٧٩ – وقال عليه السلام : شَرُّ الْإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ .

قال الرضي : لأن التكليف مستلزم للمشقة ، وهو شر لازم عن الأخ المتكلف له ، فهو شر الاخوان .

٤٨٠ – وقال عليه السلام : إذا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ .

قال الرضي : يقال : حشمه وأحشمه إذا أغضبه ، وقيل : أخجله ، « او حتشمه » طلب ذلك له ، وهو مظنة مفارقته .

وهذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قطع المختار من كلام ، أمير المؤمنين عليه السلام ، حامدين لله سبحانه على ما من به من توفيقنا لضم ما انتشر من أطرافه ، وتقريب ما بعد من أقطاره ، وتقرر العزم كما شرطنا أولا على تفضيل أوراق من البياض في آخر كل باب من الأبواب ليكون

---

(١) العسف – بالفتح – : الشدة في غير حق ، والجلاء – بالفتح – : التفرق والتشتت ، والحيف : الميل عن العدل إلى الظلم ، وهو ينزع بالمظلومين إلى القتال لا نقاذ أنفسهم .

(٢) كما أوجب الله على الجاهل ان يتعلم أوجب على العالم أن يعلم .

لاقتناص الشارد ، واستلحاق الوارد ، وما عسى أن يظهر لنـــا بعض الغموض،ويقع إلينا بعد الشذوذ، وما توفيقنا إلا بالله : عليه توكلنا،وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وذلك في رجب سنة أربعمائة من الهجرة [1] ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل ، والهادي إلى خير السبل ، وآله الطاهرين ، وأصحابه نجوم اليقين .

---

(١) انتهى من جمعه في سنة أربعمائة ، وأبقي أوراقاً بيضاً في آخر كل باب رجاء أن يقف على شيء يناسب ذلك الباب فيدرجـه فيه . وجامع الكتاب هو الشريف الحسيني الملقب بالرضي ، وذكر في تاريخ أبى الفدا أنه : محمد بن الحسين ابن موسى بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم وقد يلقب « بالمرتضى » تعريفاً له بلقب جده إبراهيم، ويعرف أيضاً بالموسوي ، وهو صاحب ديوان الشعر المشهور، ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة،وتوفى سنة ست وأربعمائة،رحمه الله رحمة واسعة ، والحمد لله في البداية والانتهاء ، والشكر له في السراء والضراء . والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء ، وعلى آله وصحبه أصول الكرم وفروع العلاء ، آمين .

قد تم بحمد الله وحسن تيسيره طبع الجزء الرابع من كتاب « نهج البلاغة » وهو يشتمل على باب المختار من كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى أعدائه وأمراء بلاده ، وباب المختار من حكمه وأجوبـة مسائله وكلامـه القصير في سائر أغراضه ، وبتمام هـذا الجزء تم مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي من كلام أمير المؤمنين ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحـات . نسأل الله أن ينفع به ، وأن يجعل عملنا فيه سبباً لبلوغ مرضاته ، آمين .

فهرست الجزء الرابع

من كتاب

نهج البلاغة

وهو يشتمل على باب المختار من كتب أمير المومنين

أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام

وباب المختار من حكمه وأجوبة مسائله

تم كتاب نهج البلاغة

ويصدر قريباً

مستدرك نهج البلاغة

ودفع الشبهات عنه

